كتاب

شهداء المشرق

www.karozota.com

الأب ألبير أبونا

المقدمة

انتشر رسل المسيح الحواريون في أرجاء المعمورة، بعد أن امتلأو من الروح القدس يوم العنصرة، وراحوا يبشرون بالمسيح الحي المنبعث، ويدعون الأمم والشعوب إلى الانضواء تحت راية الحق، وإلى نبذ الأضاليل وعبادة الأصنام التي كانت ضاربةً أطنابها في المسكونة. وكان الرب يسوع قد سبق وأنبأهم بالاضطهادات التي سيلاقونها من الذين يفضلون الظلمة على النور والباطل على الحق: "سيكون لكم ضيق في العالم" (يوحنا ٣٣/١٦)، إذ "ليس تلميذ أفضل من معلمه" (متى ٢٤/١٠)، "فإذا اضطهدوني، يضطهدونكم أيضاً" (يوحنا ٢٠/١٥)، و"هأنذا أرسلكم كالخراف بين الذئاب" (متى ١٦/١٠). ولكنه شجعهم ليؤدوا الشهادة أمام الحكام والملوك، ولا يخافوا الذين يقتلون الجسد ولا يستطيعون قتل النفس، وكما أنه هو الرب غلب العالم بآلامه وموته وقيامته، كذلك وعد رسله بأن يغلبوا العالم بشجاعتهم وشهادتهم للحق.

وسار الرسل على نهج معلمهم، وتعرضوا للاضطهادات منذ بدء رسالتهم إلى أن ختموها بدمائهم. إلا أن شعلة الحق والقيم السامية لم تخب بموتهم، بل تناولتها الأجيال المسيحية ورفعتها عالياً ونقلتها وهاجة إلى الأجيال اللاحقة، دون أن تشوه حقيقة الإيمان القويم... وكان ثمن هذه الشجاعة باهضاً، لأنه كلّف المسيحية عشرات الألوف من الشهداء. ولكن دم هؤلاء الشهداء أصبح بذاراً أنبت عدداً أوفر من المسيحيين الجدد الذين واصلوا الجهاد ضد الباطل، ليس بالعنف والسلاح، بل بالحق والمحبة والصبر.

وإذا كان لمنطقة الروم قديسوها وشهداؤها، فإن البلاد الفارسية كانت مسرحاً لأعنف الاضطهادات التي شهدتها المسيحية. فقد تضافر عداء المجوس وحقدُ اليهود وغطرسة الملوك وأنصب ناراً على المسيحيين وحصدا أعداداً غفيرة منهم بقساوة وهمجية قلما شهد التاريخ لها مثيلاً، لا سيما ذلك الاضطهاد الرهيب الذي أثاره ضدهم الملك الفارسي شابور الثاني والذي دام نحو أربعين عاماً وسمي بالاضطهاد الأربعيني (٣٣٠-٣٧٩).

وفي هذا المجلد الأول، نذكر بعضاً من القديسين والشهداء الذين عاشوا منذ مطلع العهد المسيحي حتى نهاية الاضطهاد الأربعيني، وتنوي مواصلة نشر سِيَر القديسين والشهداء الآخرين في مجلدات لاحقة، بعون الله.

لقد اعتمدنا "سير الشهداء والقديسين" التي نشرها الأب بولس بيجان بالكلدانية في عدة مجلدات، في باريس وليبسيك، في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، والترجمة العربية الموجزة التي نشرها المثلث الرحمة المطران أدي شير بمجلدين تحت عنوان "شهداء المشرق" (الموصل ١٩٠٠-١٩٠٦). ولم نتوخ دراسة علمية أو نقدية لهذه القصص، إنما نرمي إلى

www.karozota.com

تقديمها لقرائنا الأحباء على بساطتها لتكون لهم غذاء روحياً وأمثلة جليلة تحدوهم إلى الشجاعة والإقدام والتمسك بالمبادئ السامية والقيم الروحية، مهما اقتضى ذلك من التضحيات.

واستخدمنا في عرض هذه السير أسلوباً بسيطاً وزودناها بهوامش ضرورية من شأنها أن تساعد القراء على تكوين فكرة أوضح عن الأزمنة والأمكنة التي عاش فيها هؤلاء الأبطال الذي هم آباؤنا في الإيمان.

وقسما هذا المجلد الأول على قسمين كبيرين: يتناول الأول سِيَر القديسين والشهداء الذين عاشوا في القرون الثلاثة الأولى، يتطرق الثاني سير الذين استشهدوا خلال الاضطهاد الأربعيني أو بعده بمدة وجيزة.

ومن البديهي أن العناصر التي وردت في هذه القصص ليس جميعها تاريخية. فإن هذه الكاتبات التي ترقى نواتها الأولى إلى أزمنة معاصرة للأحداث ذاتها، وقد كتب بعضاً منها شهود عيان، امتزجت عبر الأجيال بقصص وأساطير أضافتها إليها تقوى المسيحيين. إلا أن هذه الإضافات ذاتها جاءت متناسقة مع الروح البطولية التي دفعت هؤلاء الصناديد إلى استرخاص كل شيء في سبيل المسيح وللذود عن الإيمان والقيم السميا.

ونأمل أن تعدو هذه "السِيَر" بالفائدة الروحية على قرائنا الأحباء، فترسخ فيهم الإيمان وتذكي المحبة وتدفعهم إلى الشجاعة والبطولة في مختلف ميادين الحياة، ولا سيما أبان الصعوبات والملمات، وهم واثقون بأن الذين قال: "ها أنا معكم طوال الأيام حتى انقضاء الدهر" سيرافقهم في مراحل الحياة كلها، إلى أن يبلغ بهم إلى مشاركته المجد مع جميع الشهداء والقديسين.

الأب ألبير أبونا

(١)

في السنة الخامسة عشرة من حكم طيباريوس قيصر[١]، أوشكت أن تنتهي السنوات الثلاث من حياة سيدنا يسوع المسيح بين البشر، وقد انتشرت البشرى السارة ليس بين اليهود حسب، لدى الأمم أيضاً. وكان الناس يقصدونه وينالون منه الحياة. وكان يبشرهم بالحياة العتيدة ليس بالكلام حسب، بل بالأعمال أيضاً. فيعودون إلى بيوتهم وقد نالوا الفرج عن شدائدهم ومغفرة خطاياهم. وشرعوا يصورون صورة الرب بأشكال مختلفة، كما أطلعنا على ذلك أحد الصالحين وقال: "حينما ذهبت مرة إلى قيصرية فيلبس[٢]، رأيت هناك تمثالاً للمسيح المخلص.

---

[١] هو طيباريوس الأول، ثاني إمبراطور روماني، ولد في روما سنة ٤٢ ق.م، وأصبح إمبراطوراً سنة ١٤م، وتوفي سنة ٣٧م.

[٢] هي بلدة بانياس السورية الواقعة قرب نبع الأردن على سفح جبل الشيخ، وفيها اعترف القديس بطرس بلاهوت المسيح (أنظر متى ١٦/ ١٦).

أجل إني رأيت تمثالاً من نحاس فوق صخرة كبيرة على باب منزل تلك المرأة التي كتب عنها في الإنجيل[٣] إنها كانت منزوفة منذ اثنتي عشرة سنة. إنها كانت راكعة على ركبتيها وباسطة يديها بهيئة التضرع، وكان أمامها تمثال آخر من نحاس يمثل رجلاً لابساً راء وهو يمد يده نحو المرأة وكان هذا التمثال يشير إلى المخلص، حسبما جاء في شهادة الذين نالوا المساعدة من الرب. فقد صوروا صورته فبي أماكن مختلفة بأصباغ فاخرة ما تزال إلى اليوم".

فانتشر خبر العجائب والأشفية التي كان المخلص يصنعها حتى بلغ مسامع أبجر ملك الرها[٤] الذي كان مصاباً بداء الملوك (النقرس) ويعاني آلاماً شديدة. فلما بلّغه خبر العجائب التي كان المخلص يجريها، أرسل إليه وفداً وحمّله رسالة فيها يلتمس منه أن يأتي ويشفيه. وجاء في الرسالة: "من أبجر أوكاما زعيم البلاد، إلى يسوع المخلص، السلام، لقد بلغني أنك تطهر البرص، وتخرج الأرواح النجسة، وتطرد الشياطين، فظننت أنك إله وابن إله، وقد أتيت لشفاء الخليقة، وأنا مصاب بداء عضال، فأسألك أن تأتي إليّ وتشفيني من هذا المرض. كما أني سمعت أن اليهود مواطنيك يبغضونك وينوون الإساءة إليك، وإن أردت، فإن لي مدينة صغيرة تكفي لي ولك، فنحيا فيها بأمان". وجاء الموفدون ودخلوا أورشليم في الثاني عشر من نيسان ووجدوا المسيح جالساً في بيت أحد رؤساء كهنة اليهود. وتُليت الرسالة أمامه. وإذ لم يكن للرب مجال ليرسل إليه موفدين، ولم ير من المناسب أن تنشر بشارته بين الأمم قبل قيامته، فلم يرسل إليه أحداً، بل اكتفى بالرد عليه بالجواب التالي: "لقد كُتب عني: طوبى للذين لم يروني وآمنوا بي[٥]. فإني أريد أن أكمل عمل من أرسلني. وبعد قيامتي وصعودي إلى السماء سأرسل إليك واحداً من تلاميذي ليشفي مرضك ويمنحك الحياة أنت والذين معك، وتكون مدينتك مباركة ولا يتسلط العدو عليها".

ولدى وصول رسالة المسيح إلى أبجر الملك، تلقاها بفرح عظيم. وروى له الموفدون الأمور الخارقة التي كان المسيح يجريها في أرض اليهودية، فتعجب أبجر ودهش مما قيل له. ولكنه تحسر كثيراً لأنه لم يستحق تلك المشاهدة. بيد أن رغبته الشديدة دفعته إلى اختيار مصورين حاذقين وأمرهم بأن يذهبوا مع موفديه ويرسموا صورة الرب ويأتوه بها ليفرح بها وكأنه بواسطتها يلتقي المسيح نفسه. ولما وصل المصورون مع موفدي الملك، عجزوا عن تصوير المسيح في بهائه البشري. وإذ رأى الرب عجزهم وعلم ما في قلب أبجر من الرغبة الشديدة

---

[٣] متى ٩/ ٢٠-٢٢.

[٤] هو أبجر الخامس أوكاما (أي الأسود) ملك الرها (+ ٥٠م). والرها مدينة تقع في حوض الفرات في تركيا وتسمى الآن "اورفة".

[٥] يوحنا ٢٠/ ٢٩.

في مشاهدته، أخذ منديلاً ووضعه على وجهه، فانطبعت فيه صورة وجهه المقدس. وجيء بالمنديل إلى أبجر، فوضعه في كنيسة الرها وصار معينا للمساعدات.

وبعد صعود الرب، انتشر الرسل في أنحاء العالم، فدفعت نعمة الله توما أحد الاثني عشر لكي يرسل إلى مدينة الرها واحداً من الاثنين والسبعين تلميذاً اسمه أدي وكان يرافق توما. ولما وصل أدي إلى الرها، حل في بيت رجل يدعى "طوبانا" (سعيد)، وشرع يصنع العجائب. وسرعان ما انتشر خبره في المدينة كلها، وقيل لأبجر الملك أن رسول يسوع قد قدم إلى هنا. فاستدعى الملك طوبانا وقال له: "بلغني أن في بيتك رجلاً قديراً، فآتني به" وفي الحال ذهب الرجل وأتى بأدي، فمثل أمام الملك أبجر الذي كان يحيط به جيمع غفير، ولدى دخول أدي، شاهد الملك منظراً عجيباً على وجهه، فسجد أمام أدي. أما العظماء الذين لم ينعموا بهذه المشاهدة، فقد اعتراهم الدهش الشديد من أن رجلاً لابساً ثياباً رثة أثر في الملك هذا التأثير كله، ولم يعلموا أن المسيح أظهر لأبجر مجده في الرجل الذي أقبل عليه. فقال أدي للملك: "لماذا استدعيتني؟" فقال له الملك: "بلغني أنك تقوم بأمور عجيبة وتجري قوات خارقة، وعرفت أنك تلميذ يسوع الذي كتب إليّ في رسالته: إني بعد قيامتي سأرسل إليك واحداً من تلاميذي. فقد أتيت إلي الآن لكي تشفيني". فقال له أدي: "إن تؤمن، تنل مرامك. إذ أن كل شيء مستطاع لمن يؤمن". فقال له الملك: "إني آمنت به إلى حد إني لولا خوفي من مملكة الرومان، لأرسلت جيشاً لأبيد اليهود الذين صلبوه". فوضع أدي يده عليه وتعافى بقوة يسوع من جميع أمراضه. وتعجب أبجر وانذهل أمام تلك الآية البينة التي جرت له بشفائه من داء الملوك. وشفى أدى أيضاً أحد عبيد الملك وآخرين عديدين من سكان المدينة.

ولما عاين الملك وعظماؤه الآيات التي صنعها أدي، شرعوا يقولون له: "إننا نلتمس منك أنم تشرح لنا من هو يسوه، وماذا علّم، وماذا صنع؟" فقال أدي للملك: "إن الوقت الآن متأخر، وإذا شئت أن أشرح لك ذلك، فادعُ عساكرك، وأنا في الغد آتي وأشرح لك قصة يسوع". وقبل الملك كلامه بفرح، واستدعى جميع أعيانه. وفي صباح الغد، جاء أدي وشرع يحدثهم عن العناية الإلهية وكيف أبدع الله الكون وخلق البشر، وكلّمهم عن الوعود التي أبرمها للأولين، وعن مجيء المسيح والعجائب التي صنعها وعن قيامته وصعوده إلى السماء، وعن الموهبة التي منحها للأنبياء والرسل لكي يبشروا الأمم. وكان الملك يستحسن كلام الرسول، والروح القدس يؤيد تلك الأقوال بالعجائب.

وأمر الملك بأن يعطى أدي فضة وذهباً. فقال له أدي: " كيف نستطيع أن نأخذ ما ليس لنا؟ فإننا قد تركنا ما كان لنا، إذ أوصانا الرب أن نكون بغير أكياس ولا حقائب، وأن نحمل الصليب على أكتافنا ونعلن بشارته في المسكونة كلها".

وانضمت المدينة كلها وجميع البلدان المحيطة بها إلى الإيمان المسيحي، حتى أن منطقة ما بين النهرين برمتها كادت تنضم إلى الإيمان الصحيح، بسبب العجائب التي كانت تجري على يد مار أدي. وكان الذين آمنوا يتنافسون في الفضيلة والأعمال الصالحة.

وشيد أدي كنيسة في الرها، وزوّدها بكل المستلزمات، ورسم كهنة وشمامسة في المدينة وما يجاورها. بعد ذلك غادر أدي هذا العالم بالسلام، وفي يوم الخميس الموافق الرابع عشر من شهر أيار (؟)، مختتماً جهاده المجيد بالنصر والغلبة، ودُفن في قبر كبير في الكنيسة ذاتها. وكان المؤمنون يتوافدون لزيارة ضريحه ويحتفلون بتذكاره كل سنة[٦].

(٢) مار أجي الشهيد

من بين التلاميذ الذين تبعوا مار أدي الرسول كان أجي وفالوط وبرشلاما وبرسميا مع آخرين من رفاقهم. فقبلهم أدي معه في الخدمة وأوصاهم بالتزام جانب العفاف المترتب على اللذين يخدمون مذبح الله.

وقبل أن يغادر أدي هذا العالم، دعا أجي أمام جماعة للكنيسة كلها وأقامه خلفاً له في تدبير الكنيسة. أما فالوط الذي كان شماساً، فقد أقامه كاهناً، وأقام برشلاما شماساً. وأوصاهم أدي قائلاً: "احترسوا جيداً على الخدمة التي تقلدتموها، ولا تتهاونوا في القيام بالصلاة الفرضية، ولا تكف أنظار عقولكم عن الشخوص إلى العلى، لئلا تزداد عثراتكم. انشدوا الضال من خرافكم، وافرحوا بالموجود، وضمدوا الجريح، واحرسوا السمين، لأنكم ستؤدون حساباً عن قطيع المسيح. لا تنظروا إلى المجد الزائل. فإن الراعي الذي يتوخى إكرام رعيته، تسوء العلاقات بينه وبينها. وابذلوا جل اهتمامكم بالخراف الفتية، لأن ملائكتهم يتنظرون وجه الآب. لا تكونوا عثرة أمام العميان، ولا تغلبنكم أفكار الشياطين الذميمة".

وكان أجي قبل انضمامه إلى أدي يصنع ثياباً حريرية وخوذاً للملك. فتخلى عن مهنته هذه وصار مدبراً ورئيساً للكنيسة خلفاً لمعلمه. وأخذ يمارس السلطة التي تلقاها من أدي، فيرسم كهنة ومدبرين في بلاد ما بين النهرين كلها.

وبعد وفاة الملك أبجر، خلفه أحد أبنائه، ولم يسر على نهج أبيه في طريق الخير والسلام. وفي أحد الأيام، أرسل إلى أجي الذي كان جالساً في الكنيسة وقال له: "اصنع لي خوذة ذهبية، كما

---

[٦] ويقول أدي شير: "في هذه السنين الأخيرة، وُجد تحت ردم كنيسة مار كوركيس في خارج كرمليس صندوق فيه ذخائر مار أدي الرسول. فنُقلت ووُضعت في الكنيسة التي في وسط القرية، وبني لها هيكل فاخر على أسم القديس" (شهداء المشرق ١ ص ١٢).

وهناك مزارات أخرى أقيمت لإكرام هذا القديس، منها مزار شهير يقع في الجبل القريب من قرية يردا الواقعة في شمال زاخو. ويحتفل أهلا القرية حتى الآن بعيده الواقع في الأحد الخامس بعد عيد القيامة.

كنت تصنع لآبائي من قبل" فأجابه أجي: "إني لا أتخلى عن خدمة المسيح التي عهد بها إلـــي لأصنع خوذة الشر". ولما رأى الملك عدم إذعانه لأمره، أرسل فكسر ساقيه بينما كان جالســاً في الكنيسة يعلم الشعب. فتوفي أجي ودفن داخل باب الكنيسة الأوسط، بين الرجال والنســاء، وأقيم له حداد كبير وفي المدينة كلها..

(٣) مار ماري رسول المشرق

١- تنصر نصيبين وأرزون

كان أدي قد اختار قبل وفاته واحداً من تلاميذه اسمه "ماري" يتحلى بالفضــيلة وبمحبــة الله. فوضع يده عليه (رسمه) وأرسله إلى بلاد المشرق، إلى منطقة بابل[٧]، لينشر هناك كــلام الله والبشرى السارة.

فخرج مار ماري من الرها مبشراً حتى وصل إلى مدينة نصيبين[٨] حيث أعلن كــلام الحــق وحطم الأصنام والأنصاب وشيد الكنائس والأديرة وأقام معلمين ومدارس. ومنها توجه إلــى أرزون[٩] مع الكاهن أناسيمس الذي رافقه من الرها ومع تلاميذه فيلبس وملكيشوع وأدا وآخرين كثيرين. وأرسل فيلبس إلى قردو[١٠]. ولما وصل الطوباوي إلى أرزون، نصّر فيهــا كثيــرين بالآيات المدهشة التي كان يصنعها. وكان ملك أرزون طريح الفراش يعاني من داء الملــوك (النقرس). فلما سمع بالخوارق والأشفية التي تجري على يد الطوباوي، ذاب شوقاً إلى رؤيته، فأرسل يستدعيه. وحينما جاء ومثل أمامه، سر به الملك سروراً عظيماً، ولا سيما لأنه ســجد أمامه فرحاً. فسمع كلام الطوباوي، وازداد له إكراماً لأجل لطفه ووداعته وبشاشته. لأن مار ماري كان متواضعاً جداً ولطيفاً تجاه الجميع ولا أثر فيه للغضب فقال له الملك: "قل لي مــا هي ديانتك؟ فقد ظننتك إلهاً". فأجاب مار ماري وقال للملك: "حاشا، يا سيدي الملك، فأني لست إلهاً، بل إنسان وعبد للإله الحي. أما ديانتي فهي المسيحية. فأنا أؤمن بالمسيح ابن الله الــذي نزل في ملء الأزمنة من السماء وأعاد العالم من الضلال إلى معرفة الحق فأنا أعترف به، يا سيدي الملك، وباسمه أصنع هذه المعجزات، وأعيد الضالين إلى الإيمان به". فقال له الملــك: "أفيستطيع إذن سيدك، حسب قولك، إن يشفيني من هذا المرض الذي أعاني منــه منــذ أمــدٍ

---

[٧] منطقة بابل هي المنطقة الواقعة جنوبي بغداد بالقرب من مدينة الحلة العراقية.

[٨] نصيبين مدينة في ما بين النهرين، تقع في تركيا بالقرب من الحدود السورية تجاه القامشلي. وكانت مركزاً هاماً للمسيحية وللآداب السريانية.

[٩] أزرون بلدة تقع في أعالي دجلة على ضفته اليسرى، شرقي بلدة ميافارقين على منتصف الطريق بينها وبين مدينة سعرد في تركيا الحالية.

[١٠] قردو هي المنطقة التي تمتد على الشاطئ الأيسر من نهر دجلة بجوار جزيرة ابن عمر في تركيا الحالية.

طويل؟". قال له الطوباوي: "إن تؤمن به تستجب طلبتك". فجثا الملك أمام الطوباوي والتمس منه قائلاً: "أنا أؤمن، يا سيدي، فساعدني". فوضع الطوباوي يده على موضع الألم وقال: "باسم ربنا يسوع المسيح الذي صلبه اليهود في أورشليم، قف على رجليك". فشفى الملك حالاً، واقتبل العماد هو وأهل بيته. ولما عاين سكان المدينة أن الملك نال الشفاء، دنوا هم أيضاً من الطوباوي، فشفى عللهم ونصّر المدينة كلها وشيد فيها كنيسة وأقام فيها كهنة وشمامسة.

٢- تنصر منطقة الزوابي وأربيل

وخرج من هناك وجاء إلى بيث زبدى[١١] حيث نصّر خلقاً كثيراً. ثم غادر الموضع متوجهاً إلى بلاد بيث عربايي[١٢]، وهناك أيضاً نصّر كثيرين. ومن هناك نزل إلى أربيل[١٣] وآثور[١٤]. وكان ملك أربيل مصاباً بداء البرص، وكانت يده اليسرى شلاء. فلما دخل الطوباوي مار ماري إلى أربيل لينشر فيها كلام الحياة، ثار سكان المدينة عليه وقالوا: "من أين أتانا هذا الرجل الذي يبطل آلهتنا؟" وسعوا به لدى الملك وأخبروه بكل ما كان يجريه. فاضطرب الملك لدى سماعه هذا الكلام وأمر بإحضاره. فأسرعوا وأتوا به إلى الملك. فقال له الملك: "ما بالك تبطل الآلهة وتنادي بإله واحد صلبه اليهود في عهد هيرودس، حسبما سمعنا؟" حينئذ قال مار ماري: "صحيح ما سمعت من أن اليهود قتلوه ودفن. لكنك لا تعلم أيها الملك أنه قام من القبر وصعد بالمجد إلى السماء وهو جالس عن يمين الآب. والآن حينما تجري الآيات باسمه على يدي، تتأكد من أنه هو الإله الحق ولا إله سواه". فقال له الملك: "وما الآيات التي يستطيع إلهك أن يجريها؟" قال له الطوباوي مار ماري: "ليس عند الله أمر عسير. وكل ما تلتمسه منه بإيمان تنله". فقال له الملك: "إن أبرأتني من الداء الذي أنا مصاب به، آمنت بالمسيح وبرسله". فقال الطوباوي للملك: "أمهلني قليلاً." ثم جثا على ركبتيه وصلى قائلاً: "أتضرع إليك اللهم، يا أبا ربنا يسوع المسيح، أن تشفي عبدك هذا". ثم أخذ زيتاً وماء ورسم عليهما علامة الصليب وأعطاهما للملك الذي شرب منهما وتدهن بهما، فشفى على الفور وصار لحمه مثل لحم طفل صغير. وشفى مار ماري يده الشلاء أيضاً.

---

[١١] بيث زبدى هي المنطقة الواقعة على الضفة اليمنى من نهر دجلة إزاء قردو.

[١٢] بيث عربايي هي الجزء الشمالي من بين النهرين وتقع بين الموصل ودجلة وخابور. وكان مركزها الكنسي مدينة نصيبين. وسميت كذلك لسكنى بعض القبائل العربية فيها.

[١٣] أربيل مدينة شهيرة في العراق تقع على نحو ٨٠ كم شرقي الموصل. وكانت مركز مقاطعة حدياب القديمة.

[١٤] آثور اسم عام كان يطلق على المنطقة التي تشمل الموصل الحالية وأربيل وما فيهما من المقاطعات الكنسية والأبرشيات.

وكان بين الشهود هناك قائد اسمه "زرادش". فما أن عاين أن سيده الملك قد شفي، حتى رفع صوته وقال للطوباوي: "تبارك سيدك الذي أرسلك إلينا لتشفي أمراضنا، وتبارك المسيح الذي تنادي به، وتبارك مجده فوق كل الخلائق. فليكن مسجوداً في السماء والأرض إلى الأبد". ثم أحنى رأسه أمام الطوباوي وناشده وقال له أن له ابناً وحيداً رائع الجمال اسمه "داواي" تعذبه روح نجسة قد استحوذت عليه، مما يضطرهم إلى تقييده بسلسلتين، والتمس شفاءه منه. فقال له ماري: "اذهب وأتني به إلى ههنا، فترى محبة سيدي المسيح له. "ولما مثل الصبي أمامه، صرخ صرخة عظيمة وأزبد، وصرعه الشيطان حتى أضحى كالميت. فدنا منه مار ماري وقال لذاك الشيطان: "لك أقول أيها الشيطان اللعين، باسم يسوع المسيح الذي قضى على سلطتك: اخرج من خليقة الله دون أن تمسها بأذى". فصرخ الشيطان الرجيم وقال: "إلى أين تأمرني بأن أذهب؟" فقال له الطوباوي: اذهب أنت وزمرتك إلى أسافل الجحيم". فخرج الشيطان اللعين وصار مثل عاصفة ظلماء وتلاشى. فنهض الصبي وأخذ يسبح الله ووقع على قدمي مار ماري وأخذ يقبلهما.

وفي ذلك اليوم، اعتمد الملك من جميع ذويه، وكذلك زرادش وابنه وجميع أقاربهم وأمناء الملك وأعيانه. ولما عاين أحد أحبار الملك ما صنعه مار ماري من الآيات البينات، آمن بالمسيح هو وأهل بيته وحطّم الأصنام التي كان يعبدها ورمى بحطامها في الزاب الكبير. وهكذا أعاد مار ماري منطقة آثور ونينوى كلها إلى الإيمان القويم.

وانحدر الطوباوي مار ماري من الزاب الكبير ودخل قرية تدعى "بروجية" واقعة على الضفة الأخرى من الزوابي نحو منطقة أربيل، ومنها ذهب إلى قرية أخرى اسمها "وازيق" واقعة في جهتها السفلى.

٣- تنصر داسان وزوزان وكاوار

بينما كان الطوباوي يطوف في منطقة أربيل وهو يعلن البشرى السارة، ظهر له الرب ذات ليلة وقال له: "أرسل تلميذك طوميس إلى بلاد داسان ليذهب ويعيد سكانها عن ضلالهم، فإن تلك البلاد ومعتقداتها ذميمة جداً. فمنهم من يسجدون للأشجار، وغيره للحجارة والينابيع، حتى أنهم يحرقون أبنائهم وبناتهم، شأن ما كان يفعله أهل آثور وأربيل. فرسم مار ماري تلميذه طوميس وأرسله إلى بلاد داسان وزوزان[١٥] وحتى إلى أرمينية الخارجية (الصغرى) وإلى بلدان مادي[١٦]. وهناك استشهد الطوباوي طوميس في سبيل المسيح، في بلاد كاوار، في الساعة الثالثة من الأول من شهر تموز الموافق يوم الجمعة.

---

[١٥] داسان منطقة جبال كارا تقع غربي الزاب الكبير وجنوبي بلدة العمادية. وزوزان مقاطعة في داسان.

[١٦] هي بلاد الماديين الواقعة بجوار همدان في غيران الحالية.

٤- تنصر شهرقرد في بيث جرماي

حينما دخل مار ماري إلى قرية "بروجية" تلمذ هناك رئيس القرية الذي كان قد سمع بتنصر الملك وأعيانه، فآمن هو أيضاً واعتمد مع أهل البلدة كلهم. ثم اجتاز مار ماري إلى قريتي رعمسيس ووازيق وتلمذ سكانهما وفتح عيون رجلين أعميين من كبار القوم. وأقام هناك كنائس على اسم الرسل بطرس وبولس وأدي.

ومن هناك ذهب الطوباوي إلى بيث جرماي[١٧] بلد الظلام والضلال، ودخل أولاً مدينة شهرقرد[١٨]، وكان فيها ملك وثني قاسٍ رهيب، ولدى مجيء الطوباوي إليها، كان الأهلون يسجدون لشجرة يسكنها الشيطان ويقربون الذبائح لصنم نحاسي. ولم يكن للملك ولد، بل ابنة وحيدة اسمها "أفراطيا" عزيزة عليه جداً. ولكنها كانت مصابة بشلل كلي يتعذر عليها السير أو العمل. فوصل ماري والذين معه وحلوا عند قصر الملك. فدنا من القصر وقرع الباب. فأجابته الصبية من الداخل وقالت له: "من أنت؟" قال لها مار ماري: "افتحي لنا الباب، يا ابنتي وخذي منا هذا الطحين واعجنيه واخبزيه لنا رغيفاً، فيكون لك أجر، لأننا قادمون من بعيد ولم نستطيع شراء خبز في هذه المدينة." فقالت له الفتاة: "لا أستطيع أن أقوم وأفتح لك الباب، لأني كسيحة اليدين والرجلين، وقد خرج أهل الدار كلهم ليقربوا الذبائح للآلهة". فأجابها الطوباوي: "باسم ربنا يسوع المسيح لتتشدد جميع أعضائك". وما أن نطق الطوباوي بهذه الكلمات، حتى بارحها داؤها. فقامت حالاً وفتحت الباب بفرح ودهشة. ثم قالت له: "وما العمل أيهال الرجل الصالح؟ فإن قانون ملكنا ومملكتنا يقضي بعد إضرام النار في هذه الأيام الثلاثة المخصصة بعبادة الآلهة. ومن تجاسر وخالف هذا الأمر، يحرق هو وكل ما له". فقال لها الطوباوي: "لا تخافي، فما من أحد يستطيع إحراقكم بالنار". وما أن قال لها ذلك، حتى أخذت منه الطحين وأوقدت ناراً وشرعت تهيئ الخبز. فارتفع الدخان فوق سطوح المدينة، ورآه القائمون على تنفيذ أمر الملك، فأتوا وتعقبوا الأمر وعرفوا أنه صادر عن بيت الملك.

فجاءوا إلى الملك وهموا باطلاعه على الأمر، ولكنهم خافوا. ولما رأى الملك ارتباكهم، قال لهم: "ما شأنكم؟" فقالوا له: "أيها الملك، ها أن الدخان يتصاعد من دارك كالأتون". فأسقط الملك في يده، وهو يدري أن لا أحد في الدار ما خلا ابنته أفراطيا. فقام مرتعد وأقبل إلى بيته مع عشرة من أعيانه، وما أن دخلوا الدار حتى توجهوا على الفور إلى التنور. فرأوا ابنته التي لم تمش قط واقفة عند التنور، والطوباوي مار ماري جالساً هناك. فانذهل الملك في بادئ

---

[١٧] بيث جرماي (اوباجرمي) هي المنطقة الواقعة شرقي دجلة بين هذا النهر والزاب الصغير وجبال حمرين وديالى، وكان مركزها الكنسي مدينة كرخ سلوخ (كركوك الحالية).

[١٨] تقع شهرقرد في منطقة بيث جرماي، بين داقوق وأربيل.

الأمر، ثم قال له الملك: "ومن منح هذه الفتاة الشفاء وأولاها هذه القوة التي عجزت آلهتنا عن إعطائها؟" فأجاب مار ماري وقال: "إنما المسيح هو الذي منح ابنة الملك الشفاء" فقال له الملك: "ومن هذا المسيح الذي تتكلم عنه؟" قال له الطوباوي: "إنه ابن الله العلي الحي، خالق السماء والأرض وجميع البرايا". فقال له الملك: "ولم لا تستطيع آلهتنا أن تمنح الشفاء للمرضى؟" فقال له الطوباوي: "لأنها ليست آلهة، بل أصناماً يسكنها الشياطين الذين يضلون الناس لئلا يعرفوا الإله الحي الحق." فغضب الملك إذ قال له الطوباوي إنهم يسجدون للشياطين. وفي الحال ذهب بالطوباوي إلى معبد الأصنام حيث كان أهل المدينة كلهم مجتمعين وقال له: "إذا كان إلهك خيراً من هذه الآلهة، وأنت تقول عنه أنه لا يرى وهو يسكن ويجري الآيات، فادخل وأخرج الشيطان الذي ذكرته، لكي أراه فأومن بإلهك." فأجاب الطوباوي وقال للملك: "أحق أنك ستؤمن بالمسيح إذا أخرجت الشيطان؟" فقال له الملك: "أجل!".

فأوعز الطوباوي إلى تلميذه "أدا" وقال له: "أدخل وأطرد هذا المضل اللعين الساكن في هذه الأصنام مع جميع رفاقه". فدخل أدا حسب أمر مار ماري وقال لأولئك الشياطين: "هكذا يقول مار ماري رسول يسوع المسيح: لا يسمح لكم، بكلمة الرب، إلا أن تخرجوا بشكل قبيح أمام الجميع." فخرج الشياطين بمختلف أشكال البهائم والدبيب القذر أمام الملك والجمع الحاضر هناك، وكانوا اثنين وسبعين شيطاناً، وهم يصرخون ويولولون: "أف منك يا ابن مريم! لقد ملأت الأرض كلها من تعليمك، وتريد أن تطردنا حتى من البراري. فلا نعلم إلى أين نمضي." فانتهرهم مار ماري وقال: "باسم الرب آمركم بألا تُسمِعوا صوتكم، بل أمضوا إلى نار جهنم المعدة لكم ولأتباعكم." ولما سمع الملك ذلك، اعتراه خوف كبير، فهرع وجثا عند قدمي مار ماري وقال له: "عظيم هو المسيح إلهك، ولا إله لنا سواه!" وإذ ذاك عمد مار ماري الملك وسكان المدينة. وهدموا ذلك التنور الكائن في بيت الملك وجعله الطوباوي موضعاً للعماذ، وبنى فوقه كنيسة.

٥- تنصر داراباد في بيث جرمي

من هناك توجه مار ماري إلى بلاد داراباد[١٩]. وكان الموسم صيفاً. فأعيا الطوباوي ومرافقوه من حر الطريق وشرعوا يبحثون عن موضع يأخذون فيه قسطاً من الراحة. فوجد خارج القرية موضعاً يدعى "كلالا" أي نبع الماء، وحلوا هناك عند الماء، وكانت فوق النبع تينة يسجد لها أهل المكان، وكانت جميلة المنظر ومليئة بالثمر، ومن يتجاسر ويأكل من ثمارها ترجمه الشياطين الساكنة فيها. ولما خفت حرارة النهار، صعد الطوباوي إلى مرتفع ليرى كم تبعد عنهم البلدة. فرأى هناك صبياً ابن أربع عشرة صريعاً مائتاً. فأقامه باسم الرب يسوع،

[١٩] داراباد اسم كان يطلق على المنطقة المجاورة لشقلاوة الحالية في شمال العراق.

وسأله: "من الذي قتلك يا ابني ورمى بك في هذه البرية؟" فأجابه الصبي: "إني دنوت من بيت الآلهة هذه لآكل من ثماره، فهجمت عليّ قواته ورجمتني بالحجارة وقتلتني." فالتفت الطوباوي إلى تلك التينة وقال للشياطين: "يا أيها المتعندون، لماذا تضلون البشر وتقتلونهم؟ إني أقول لكم باسم كلمة الله الحية أن لا يُسمح لكم من الآن بالمكوث في هذه الشجرة ولا في هذا الموضع." ثم أرسلهم إلى النيل، ولعن تلك التينة، فانقلعت من جذورها.

وقام الطوباوي من هناك ودنا من القرية وبات في ظاهرها. وفي تلك الليلة، رفع الشياطين أصواتهم وقالوا: "لقد خرجت كلالا! وها نحن خارجون!" وبلغت أصواتهم إلى أهل القرية وإلى بيت الملك.

وفي صباح اليوم التالي، أرسل الطوباوي تلميذه أدا ليشتري لهم خبزاً من السوق. فذهب التلميذ وأبطأ في العودة. فقام مار ماري ومرافقوه وأتوا في أثره فألقوه جالساً أمام باب الملك. فقال له أناسيمس أحد تلاميذ الطوباوي: "ما بالك جالساً ههنا؟ ألا تهاب أمر معلمنا؟ فقد خرجت من الصباح إلى الآن ولم تفكر في العودة؟" فأجاب أدا وقال: "دعوني، فقد دخلت السوق ولم أجد فيه خبزاً، فرأتني امرأة وقالت لي: هلم معي وخذ ما تريده. ودخلت هذا البيت، وأنا بانتظارها." ولم يكد ينتهي من كلامه، حتى خرجت امرأة ومعها خبز، وسألها الطوباوي: "لمن هذا القصر؟" قالت له: "إنه بيت ملكنا."

وفي غضون ذلك، رأوا عبيداً يسندون ابنة الملك ويطوفون بها من فناء إلى آخر. فقال لهم مار ماري: "ما شأن هذه الصبية؟" فأجاب العبيد: "إنها مصابة بهذا الداء منذ سنين عديدة." فأشفق عليها الطوباوي وقال لها: "لكِ أقول أيتها الصبية، باسم يسوع المسيح الناصري، قفي على رجليك." وفي الحال تقوت قدماها وجميع أعضائها، وأتت مرتعدة وانطرحت على قدمي الطوباوي وشرعت تقبلهما. وكان أبوها الملك آنذاك في الصيد، فانطلق إليه مبشر يقول له: "ألا تدري بالفرحة العظيمة التي صنعها الله لك اليوم؟" فقال: "ماذا" قال له: "أتانا رجل متوشح بزي سماوي وأبرأ ابنتك بكلمة واحدة." فعاد الملك حالاً، ورأى الطوباوي جالساً على باب مع ابنته وجمع غفير. فأمر الملك بأن يدخل عنده، وسأله: "من أنت؟ إله أنت أم إنسان؟" فأجابه الطوباوي: "إني لست إلهاً، يا سيدي الملك، بل أنا عبد للإله الحي." فقال له الملك: "وما هو تعليمكم؟ ولأية آلهة تسجدون حتى يتسنى لكم صنع مثل هذه المعجزات؟" فقال له مار ماري: "نحن مسيحيون، ونسجد للمسيح ابن الله، وباسمه نصنع هذه الأمور." فأمر الملك بأن يأتوه بمرضى المدينة، وسأل الطوباوي أن يجري الآيات أمامه وأمام وجهائه، لكي يتأكد لديه الإيمان بالمسيح. فاجتمع إليه المرضى والأصحاء والشعب كله ليعاينوا المعجزات التي تجري على يد الطوباوي باسم يسوع الناصري. فأرسلهم الطوباوي جميعاً إلى بيوتهم معافين. وكانوا

www.karozota.com

يصرخون أمام الملك ويقولون: "إن الإله الذي يبشر به هذا لأعظم من جميع الآلهة وهو الإله الأوحد في السماء والأرض." وفي ذلك اليوم تنصر أهل المدينة كلهم مع الملك "آذار".

٦- تنصر بلاد رادان

بعد أن ترك الطوباوي تلميذه "أدا" في بلاد داراباد، توجه هو ومرافقوه إلى بلاد الفرس حيث نصَّر خلقاً كثيرين. ولم تكن قد ابتدأت سلالة الفرس الأخيرة التي انتهت بمجيء أردشير[٢٠]. فكان أمراء كثيرون يحكمون بلدان بابل وفارس ومدنها. وكان الفرثيون[٢١] يسيطرون على البلاد البابلية. وقد حكم في بابل في ذلك العهد أفراهاط بن أفراهاط الفرثي، وجعل مركز مملكته في ساليق وقطيسفون في بلاد الآراميين[٢٢]، وكانت بلاداً مزدهرة جداً قبل أن يدمر الغزاة مدينة ساليق القديمة.

وبعد أن طاف الطوباوي في بلاد السريان، نزل إلى بلاد الآراميين، وذهب أولاً إلى بلاد رادان[٢٣]، ودخل في بادئ الأمر إلى قرية اسمها "أباد" وتلمذ هناك شخصاً رئيس البلاد يدعى "لقنا" وكان ذا أموال كثيرة، فنصّره هو وأهل بيته، وبسببه انضم إلى الإيمان بالله كثيرون من سكان المنطقة والقرى الواقعة فوق ساليق وقطيسفون وفي سائر قرى رادان. ويقال أنه أقام في المنطقة ٣٦٥ كنيسة. وبعد أن ثبت الرادانيين في عبادة الله وأقام لهم كهنة وشمامسة، تبعه أحد أبناء لقنا مع آخرين كثيرين.

٧- تنصر ساليق وقطيسفون

---

[٢٠] أردشير هو مؤسس السلالة الساسانية (+ ٢٤١)، قضى على الفرثيين سنة ٢٢٦، وجعل المزدكية دين الدولة.

[٢١] الفرثيون شعب مزيج من السقيت والإيرانيين. استقروا في الألف الأول قبل الميلاد في بلاد خراسان. ثم أسس أحد زعمائهم وهو رشاق إمبراطورية كبيرة في القرن الثالث قبل الميلاد، وحكموا البلاد أكثر من خمسة قرون، إلى أن أطاح بهم ردشير الساساني سنة ٢٢٦.

[٢٢] بلاد الآراميين او بيث آرامايي، وتسمى بالفارسية سورستان، هي المنطقة الوسطى الواقعة جنوبي بغداد بين نهري دجلة والفرات. وقد أصبحت فيما بعد مقاطعة كنسية تخضع مباشرة لسلطة الجاثليق في المداين، وسميت بهذا الاسم لكونها في عهود سابقة أحد المراكز الهامة للقبائل الآرامية التي تعاونت مع البابليين على الآشوريين، ثم مع العيلاميين الفرس على البابليين.

وكانت ساليق وقطيسفون عاصمة الملوك الساسانيين، وهي على نحو ٣٠ كم جنوبي بغداد، على الضفة اليمنى من نهر دجلة، وكانت تُدعى أيضاً "ماحوزي" (أي المداين)، وتسميها النصوص السريانية "مذيناثا أو ترتين مذيناثا" وتلقت أيضاً اسماً رسمياً هو "فيه أردشير"، وغالباً ما يقرن اسمها باسم قطيسفون الواقعة إزاءها على الضفة اليسرى من دجلة. وكانت في ساليق "كوخي" (الأكواخ) التي أصبحت مركز كرسي جاثليق المشرق.

[٢٣] رادان منطقة تقع شمالي بغداد، بين نهري ديالى والعظيم. أما راداني فكانت أسقفية خاضعة لمقاطعة بيث جرماي.

www.karozota.com

ثم انحدر الطوباوي ومرافقوه إلى ساليق الواقعة على دجلة. وإذ لم تكن المسيحية قد دخلت البلاد، لم يكن ثمة من يقبلهم في بيته، فاضطروا إلى استئجار دار ليحلوا فيها. وكان سكان ساليق أشد الناس تعصباً للوثنية. وطاف الطوباوي في ساليق كلها دون أن يتلمذ أحداً. فكان جل اهتمام أهل المدينة منصباً على الأكل والشرب والسكر. ولما رأى أن أحداً لم يتبعه إذ كانوا سكارى في كل حين ولا يتسنى له التحدث إليهم عن الله، كتب رسالة ووجهها إلى الرسل رفاقه إلى مدينة الرها في ما بين النهرين قال فيها: "إن الأرض التي أرسلتموني إليها أرض الشر والشوك، وأهلها متكبرون قساة، فلا أستطيع أن أزرع فيهم بذار الحياة. فاسمحوا لي الآن بالعودة إليكم أو بالذهاب إلى بلد آخر". فتشاور الرسل الذين كانوا مهتمين بخلاص سكان المدينة واتخذوا قراراً صائباً وكتبوا إلى مار ماري قائلين: "لا يحق لك أن تأتي إلى ههنا ولا أن تذهب إلى مكان آخر، إلى أن ترتقي فوق تلك الجبال والآكام فتحتلها وتزرعها فتأتي بثمار وافرة".

فحينما رأى الطوباوي أن لا مجال له للذهاب إلى موضع آخر، فكر في انتهاج خطة سديدة. فكان في ساليق ثلاثة مجالس: الأول للشيوخ، والثاني للشباب، والثالث للصبيان، ففكر في التردد إلى مجلس الشيوخ لعله بذلك يكتسب نفوسهم، فذهب إليهم، فأجلسوه في آخر المجلس وقالوا: "إنه رجل غريب". أما هو فكان يشاركهم الغناء والفرح كل يوم.

وبعد مدة وجيزة، مرض رئيس المجلس واشتدت عليه وطأة الداء حتى أشرف على الموت. وكان أهل المدينة يتوافدون لزيارته، والطوباوي أيضاً يفعل مثلهم. وفي إحدى الزيارات، قال له الطوباوي: "إني أضع يدي عليك باسم الإله الحق فتشفى". وإذ لم يكن بوسع الرجل أن يجيب بشيء لكونه مدنفا، وضع مار ماري يده باسم رب يسوع المسيح. وفي ذلك الوقت رأى الرجل المريض أن السماء قد انفتحت وأن رجلاً يشبه الطوباوي نزل وأمسكه بيده وأقامه. وشفي الرجل حالاً وقام من فراشه. فحرضه مار ماري ليصير مسيحياً. فقال الرجل: "وما المسيحية؟ أتريد أن تُدخل إلهاً جديداً في العالم؟" فقال له مار ماري: "إن الله ليس بجديد، لأنه موجود منذ البدء وباقٍ إلى الأبد، هو الذي خلق السماء والأرض والبحار وما فيها. وهو لا يُفحَص ولا يُدرَك. والابن المولود من طبيعته، والذي يفوق إدراك البشر هو شعاع ألوهيته، وقد أرسله إلى العالم لكي يعلن الآب للناس. وبالروح القدس الواحد الذي نطق بالأنبياء يكون الخلاص الأبدي. والأقانيم الثلاثة متساوون في كل شيء، وقد خلقوا كل شيء وهم قادرون على كل شيء ويدينون الكل. هذا هو خلاص المسيحيين وباسمه نفعل كل شيء ونشفي المرضى ونطرد الأرواح الشريرة من البشر." فآمن رئيس المجلس بكلام الطوباوي وتنصّر هو وأهل بيته، فعمّدهم الطوباوي باسم الآب والابن والروح القدس. وقام ذلك الرجل وذهب إلى مجلسه مثل سابق عهده.

وبعد زمان قصير، داهم المرض نائب رئيس المجلس أيضاً حتى أشرف على الموت مثل رفيقه. فشفاه مار ماري بالطريقة نفسها التي بها شفى الرئيس، ونصّره هو وأهل بيته، وعاد إلى مجلسه حسب المعتاد. وجاء الطوباوي أيضاً وجلس في موضعه مثل سابق عهده. فقال الرجلان اللذان تتلمذا أحدهما للآخر: "إن هذا الرجل إله." ثم روى الرئيس للمجلس كله ما جرى له وكيف شفاه هذا الرجل. وقال لنائبه: "إننا لقد شفينا بواسطته، ولا يليق به المكان الأخير الذي يشغله. ونخشى التعرض لغضب سكان ساليق أن نحن أدنيناه منا، لأنه رجل غريب. فليأخذ أحد الخدم وسادة ويضعها له بيني وبينك.." وفعلا كما قالا.

وبعد مدة، بلغ دور مار ماري ليقيم له مأدبة، فقال له اللذان تنصرا: "إنها نوبتك، ففكر في ما تقدمه من الطعام حسب العادة الجارية عندنا." فقال لهما مار ماري: "أخبروني بالأمر قبل الوقت، فأصنع لكم ما تشاءون". وكتب رسالة إلى الرسل رفاقه، ووجهها إليهم إلى الرها وقال فيها: "كما قلت لكم، إن الأرض التي أرسلتموني إليها أرض مليئة من الشوك، ولا أستطيع السير عليها، وجبالها وآكامها عسيرة المنال. وقد أوعزتم إلي في عدم المجيء إليكم أو الذهاب إلى موضع آخر ما لم أستول على جبالها وآكامها وأزرع فيها بذار الحياة وأرسل منها ثماراً إلى السماء. وإذ رأيت أن لا مجال إلى القيام بذلك، ذهبت واتكأت في مجلس الشيوخ، وتصرف مثلهم في الأكل والشرب. وإني بقوة الله وبصلواتكم تلمذت اثنين من رؤساء المجلس. وقد جاء الآن دوري لأصنع لهم وليمة حسب عادتهم. فأرسلوا لي ما أحتاجه من المال لأفعل ذلك، إذ لا شيء لي ههنا." فلما سمع الرسل ذلك، فرحوا فرحاً عظيماً، وأرسلوا له ما أراده من المال.

وفي اليوم المعيّن، صنع مار ماري وليمة. وبعد أن أكل المجلس كله وشرب، شرعوا يقولون عنه أنه إله، لأنه يتميز في جميع تصرفاته. وإذ ذاك قال لهم القديس: "لي كلمة أقولها لكم، وإذا شئتم فاسمعوني." ثم دعاهم إلى الديانة المسيحية. فقالوا له: "وما المسيحية؟ فإننا لم نسمع قط بهذا الاسم". فشرع يقول لهم: آمنوا بالله الضابط الكل الذي صنع السماء والأرض، ولا إله سواه، وبابنه يسوع المسيح الذي نزل من المساء وتجسد وأعاد البشر إليه. وآمنوا بالروح القدس الذي أولانا القدرة على صنع المعجزات وعلى شفاء رئيس مجلسكم. إن الأمور التي تسجدون إليها ليست آلهة كما تظنون. فتوبوا من الضلال وآمنوا بالإله الأحد الحق. أما النار التي تعبدونها فليست سوى أحد خلائق الله، وهي صماء وليست بإله. فقالوا له: "أين إلهك؟" فقال لهم: "إن إلهي غير منظور ويسكن في مجد السماء ويفعل ما يشاء". فأجابوه: "إن هذه النار إلهنا، وهي منيرة ومحرقة، وهي ترانا ونحن نراها. فإننا لا نريد عبادة ما لا نراه". فقال لهم الطوباوي: "إني أستطيع بقوة إلهي غير المنظور أن أقضي على آلهتكم هذه دون أن تمسّني بأذى، فتعلمون أنها ليست آلهة، بما أنها تموت على يد إنسان بسيط. فلا تتكلوا عليها

إذن". قالوا له: "فنحن أيضاً قادرون على ذلك. ولكن إن كان إلهك أقوى منها، فقدّم برهاناً على ذلك، وادخل في لهيبها. فإذا قضيت عليها ولم تحترق، عرفنا أن إلهك أعظم وأقوى منها".

فرضي القديس الصنديد بشرطهم متكلاً على سيده، وفي اليوم التالي، اجتمعوا في ساحة المدينة، وأوقدوا لهيباً عظيماً وطلبوا منه أن يدخل فيه. فرسم القديس علامة الصليب على ذاته وعلى النار، ثم دخلها وخرج منها دون أن يصاب بأذى. فانقسمت الآراء حول الأمر: فمنهم من نسب ذلك إلى قوة إلهية، ومن قال أن النار لم تكن متأججة على ما يرام. وللقضاء على شكوكهم، رضي القديس بأن يدخلها ثانيةً. ففي اليوم الثاني، أضرموا النار بشدة، ودخلها القديس بعد أن رسم إشارة الصليب وشرع يطفئها. فالتمسوا منه ألا يطفئها، بل أن يمكث فيها إلى أن تطفئ بذاتها. ففعل حتى خمدت وانطفأت تماماً وخرج منها دون أن يُصاب بأذى. ولما عاينوا قوة الله، آمنوا بالله واقتبلوا العماد.

وفي صباح اليوم التالي، خرج الملك وجلس في الموضع المهيأ له. فوافاه جمع غفير، وشرع يذمون القديس، وغيرهم يكيلون له الثناء. فقال الملك للوشاة: "ماذا تريدون؟" أجابوه: "أن تسلمه إلينا لنقتله، أو أن تطرده من بلادنا. وإن لم تفعل ذلك، فإننا نحن خدمة آلهتك وآلهة آبائك نغادر المدينة". وإذ رأى الملك أن معظم الشعب متحزب لأحبار الأصنام، هدأهم بقوله: "إني فاعل كل ما تريدون." وصرفهم من عنده. ثم قال للطوباوي والذين معه: "أنا أعلم، يا أخوتي، أن سكان ساليق أناس أشرار وشرسون، لا سيما الكهنة منهم، فإن لم يعاينوا المزيد من العجائب لن يطيعوني. فامضوا الآن واظهروا لهم قوة يسوع الذي تبشرون به".

وما أن خرج الطوباوي من عند الملك، حتى لقيه أعميان. فوضع يده على أعينهما ونالا الشفاء باسم يسوع الناصري. فآمنا به، وتبعه كثيرون آخرون. وكان لحاكم المدينة ابنة ممسوسة يعذبها الشيطان منذ مدة طويلة. فجاء أناس أخبروه بأمرها، فذهب معهم إليها. وما أن وصل القديس إلى بيتها، حتى أخذ الشيطان يصرخ بلسان الصبية ويقول على مسمع من الجميع: "أف منكم يا عبيد المسيح! فإنكم تلاحقوننا في كل مكان، في المدن والجبال والآكام والبراري". ولما قال هذا، صرع الصبية. فاقترب الطوباوي وصلى عليها، وأعادها سالمة صحيحة إلى والديها. أما الذين عاينوا هذه الأعجوبة، فانطرحوا على قدمي الطوباوي وسجدوا له.

واستمر الطوباوي سنة كاملة يعلّم سكان ساليق ويصنع لهم شتى المعجزات. ثم طلب منهم موضعاً ليقيم فيه مسجداً للإله الحي. فخايروه في الأمر. فقال لهم: "أعطوني بيت الأصنام هذا الواقع خارج المدينة وأدفع لكم ثمنه." وكان بيت الأصنام يعود إلى الملك أفراهاط ويقوم على خدمته كهنة كثيرون، وتُصرف لهم نفقات طائلة بذريعة أن الأصنام هي التي تأكل وتشرب.

فذهب الطوباوي مع الملك ودخلا بيت الأصنام. فقال مار ماري للكهنة: "يا أيها الوقحون الكذابون، كيف تأكل الأصنام التي أنتم تدعونها آلهة؟ ألا تخجلون؟ ألا يكفيكم أنكم تأكلون ما يُقدَّم لها حتى تقولوا أيضاً أنها للآلهة؟ كلا إنها ليست آلهة كما تزعمون، بل هي تماثيل من خشب ونحاس يتكلم فيها الشياطين." فاغتاظ الكهنة وقالوا للطوباوي: "إن كانت هذه صماء كما تقول، فما قولك عن الشمس العظيمة؟" فأجابهم الطوباوي: "إن الشمس أيضاً خليقة الله الحي، وقد وضعها لإنارة العالم وللتمييز بين النهار والليل، وإلى أين تهرب في الليل إذا كانت إلهاً؟" وبعد كلام كثير، أعطى الملك بيت الأصنام للطوباوي مع ما يحتويه من التماثيل. فأخذ الأصنام وسحقها ورمى بترابها في نهر دجلة. وهدم المعبد وشيد في موضعه كنيسة صغيرة وأقام فيها كهنة وشمامسة، وأسس أيضاً في الموضع ذاته مدرسة وسلم إدارتها إلى أحد تلاميذ.

ولما رأى كهنة الأصنام أن معتقداتهم الذميمة تعرضت للزوال في المدن والقرى، اجتمعوا واجتازوا إلى قطيسفون عند الملك أرطبان الذي كان يقيم في قطيسفون وكوخي[٢٤]. ويقال أن الملك كان قاسياً جداً. وشرعوا يبكون أمامه ويصرخون ويولولون ويقولون: "لقد جاءنا رجل ساحر أبطل آلهتنا، وهو يبشر بإله واحد يسكن في السماء ولا يرى. فإذا لم تهتم بديانة آبائك، فإنها ستتلاشى شيئاً فشيئاً. فإن أفراهاط الملك الفاسد آمن به حالاً وطردنا من منطقته." فلما سمع الملك أرطبان هذه الأقوال، أرسل يستدعي الطوباوي من ساليق وقطيسفون. ولما مثل أمامه، قال له الملك: "ما هذا الاضطراب والشقاق الذي زرعته في بلادنا؟ فإنك تبشر شعبنا بآلهة غريبة. فإذا تركت ديانتك واعترفت بهذه الآلهة، نلت مني أجزل الهدايا، وإلا فستُقطع أنت ومن يعترف بإلهك إرباً إرباً." فقال له الطوباوي: "أيها الملك، إن الإله الذي أعبده هو الذي سينقذني من عذاباتك، فهو قادر أن يحيي ويميت، وأن يشفي كل مرض ووجع. فإنه يطهّر البرص، ويفتح عيون العميان، ويُخرج الشياطين، وله السلطة على كل شيء." فقال له الملك: "إن كان الأمر كما قلت، فأظهر ما تقوله بالأعمال. فإن لي أختاً عزيزة عليّ جداً. فإذا استطعت أن تشفيها جعلتك شريكاً في مملكتي." فقال له الطوباوي: "سيُلبى طلبُك إذا آمنت به بعد شفاء أختك." فقال له الملك: "إني سأومن به".

٨- في إقامة كنيسة دير قنّي

رضي الطوباوي بالذهاب إلى عند أخت الملك. فأمر الملك الجند والخدام بمرافقته إلى حيث كانت أخته. ولما وصل الطوباوي إلى نهر يدعى الزاب الأوسط، لم يستطع عبوره، لأن

---

[٢٤] هذه إشارة إلى أن كوخي كانت في ذلك العهد جزءاً من قطيسفون، قبل أن يغير نهر دجلة مجراه بين سنة ٧٩-١١٦م فيفصلها عن قطيسفون ويضمها إلى ساليق.

القارب كان في الضفة الأخرى من النهر. فنادى صاحب القارب أن يأتيه به. ولكن الرجل قال أنه لا يستطيع القيام بذلك لأن يديه ورجليه مجروحة فلا يتسنى لـــه الإمســـاك بالمجـــاديف. وحينما سأله الطوباوي عن اسمه، قال الرجل أنه يسمى "دوستي". فـــأوعز الطوبـــاوي إلـــى أناسيمس الكاهن أن يشفي الرجل. فشفاه حالاً بكلمة واحدة، وأتى بالقارب وعبّر مار مـــاري والذين معه إلى الجانب الآخر من النهر. وهناك تلمذه الطوباوي وشفاه من مرض آخر كـــان فيه..

وغادر الطوباوي المكان مع مرافقيه وأتوا إلى موضع يُدعى "دير قنّي"[٢٥]، نسبة إلـــى "قنـــي" أخت الملك. وقبل أن يدخل الموضع، جثا وصلى إلى المسيح قائلاً: "أتضرع إليك أيها الـــرب يسوع المسيح أن تساعدني لكي أنير هذه المنطقة المظلمة، وهبْ أن يعرفك أولئك الـــذين لـــم يعرفوك قط، وأن يعلموا أنك أنت الإله الحق وحدك الذي تريد أن يرجع جميع النـــاس إلـــى معرفة الحق." وإذا بصوت يقول له: "سيكون لك كما طلبت. فإني بواسطتك سأعيد كثيرين إلى معرفة الحق". فقام من صلاته حالاً ودخل على "قنّي" وقد بشرها مرافقوه بالطبيب الماهر الذي أرسله إليها أخوها الملك. وما أن رآها الطوباوي ودهنها بزيت الصلاة، حتى غادرها المرض وامتلأت غبطة برؤية الطوباوي، وعمّ الفرح جميع الذين معها.

وما أن استعادت "قنّي" صحتها، حتى كتبت بفرح إلى أخيها تقول له: "إن الرجل القدير الـــذي أرسلته جلالتك إليّ شفى جميع أمراضي، والآن وقد تحررت من جميع العيوب التـــي كانـــت سبب خجلي، فأرجو أن تطلعني على رأيك." وتلقى الملك أرطبان رسالة أخته بفـــرح عظـــيم وأرسل يقول لها: "الآن وقد شفيت من أمراضك، هلمّي إليّ مع رجـــل الله لكـــي أفـــي لـــه بوعودي، فينال الإكرام مني ومن أهل البلاط أجمعين".

وحينما تلقت "قني" أمر الملك، استعدت للرحيل مع الطوباوي والذين معه. وفي عشـــية يـــوم الرحيل، تراءى الرب يسوع للطوباوي وقال له: "لا تدع قنّي ومن معها يغادرون المكان. فإنه عتيد أن يصبح موضعاً عظيماً ومزدهراً ومدينة مزدحمة بالسكان فيه يتعظم اسمي القدوس." وفي الصباح، جاء الطوباوي إلى قنّي وأطلعها على أمر الرب بشأنها. فسمعت أمر الرب ولم تذهب. واقتبلت العماد هي والذين معها في ذلك الموضع نفسه، ثم قالت للطوبـــاوي: "بمـــاذا يمكنني أن أكافئك على كل ما أنعمت به عليّ؟" قال لها ماري: "ابنوا لي كنيسة للإله الحـــي." وانحدر قليلاً عن موضع سكنى قنّي، ووجد على ضفة النهر معبداً للأصنام كانت قنّي ومـــن معها يقربون الذبائح فيه. هناك أراد أن يقيم هيكلاً لله العلي لأسباب ثلاثة: أولاً لكي يهدم معبد

---

[٢٥] يقع دير قنّي – ويسمى أيضاً دير مار ماري – في الجانب الشرقي من دجلة على نحو ٩٠ كم جنوبي بغداد، وتشاهد اليوم أطلاله شمالي العزيزية الحالية ويسمى "تلول الدير".

الأصنام، ثانياً لكي يغير النهر من موضعه، ثالثاً لأنه شاهد في الرؤيا أن الإقبال سيكون شديداً على ذلك الموضع. وكان له ما أراد: فبنوا هيكلاً لله الحي بالقرب من دجلة، وكان بناؤه عسيراً بالنظر إلى رطوبة المكان. لذا فإن كنيسة دير قنّي تضاهي كنيسة كوخي منزلة، لأن القديس هو الذي بناها.

٩- تنصر كشكر وميشان

وبعد أن بشر الطوباوي ساليق وبنى فيها كنيسة كوخي، ذهب إلى منطقة الزوابي[٢٦] حيث نصّر كثيرين. ودخل قرية تقع على ضفة دجلة تدعى "وارتان قرد" بالنسبة إلى رئيسها وارتان الذي تلمذه مار ماري مع أهل بيته ورفاقه وكثيرين من اليهود. وبنى فيها كنائس وأقام كهنة وشمامسة. وانحدر إلى منطقة "شفلا" كلها. وبعد أن أمضى سنين عديدة في منطقة الآراميين وهدى كثيرين من اليهود والوثنيين إلى الإيمان بالمسيح، ذهب إلى بلاد كشكر[٢٧]، وكان الطوباوي قد زارها سابقاً حينما لم ير مجالاً لنشر إيمان المسيح في ساليق. وكان أهل كشكر أناس حكماء وأذكياء. وما أن سمعوا منه كلام الحق حتى قبلوه بحماس. وكانوا يمتازون عن سائر سكان المنطقة بحدة ذكائهم وسداد حكمهم. فرافقه منهم كثيرون وناشدوه أن يتلمذ مدينة كشكر التي كان سكانها يسجدون لشيطان بهيئة نسر ولصنم يُدعى "نيشار". فصنع هناك آيات كثيرة، حتى تنصر كاهن الصنم ذاته ونال العماد، وصار سبباً لهداية معظم فبنى الطوباوي هناك كنيسة.

وطاف في منطقة كشكر كلها مبشراً، وأقام فيها كنائس وكهنة وثبّت السكان في التعليم الصحيح. وهكذا فإن تنصّر كشكر سابق لتنصر ساليق وبلاد الآراميين. لذا فيقال أن كرسي هذه البلاد أقدم من سائر الكراسي. ثم جاء الطوباوي بصحبة تلاميذه من كشكر إلى ساليق، وبعد أن تلمذها، انحدر إلى دير قنّي وإلى منطقة الزوابي وشفلا، كما ذكرنا سابقاً.

وبعد أن تلمذ جميع هذه البلدان وبنى فيها كنائس وأقام فيها كهنة وشمامسة، انتقل إلى بلاد ميشان[٢٨] حيث عانى مشقات كثيرة ولم يَجنِ فيها سوى فائدة زهيدة، وقليلون هم الذين انضموا إلى الديانة المسيحية، لأن أهل تلك المنطقة كانوا متوحشين أغبياء ومتعصبين لعبادة الأصنام وأكثر الناس انغلاقاً عن سماع التعليم الصحيح.

١٠- تنصر بلاد الأهواز والفرس

---

[٢٦] الزوابي هي المنطقة الواقعة على الضفة اليمنى من نهر دجلة، بين ساليق وكشكر، ودعيت هكذا لكونها مسقية بقنوات عديدة.

[٢٧] كشكر وكسكر مدينة كانت بالقرب من واسط مدينة الحجاج، على نهر دجلة المندرس بين بغداد والبصرة.

[٢٨] ميشان أو فرات ميسان هي المنطقة الواقعة في جوار البصرة الحالية، وقد سميت أيضاً في بعض المصادر القديمة "دستميسان".

حينما رأى الطوباوي أنه لا يفيد شيئاً هناك، ترك ثمة تلميذه دانيال ليتفقد ويشجع المهتدين القلائل. أما هو فانتقل إلى بلاد الأهواز[٢٩] والفرس[٣٠] ولم يكن في ذلك العهد في منطقة الأهواز مدن وقرى كثيرة، بل شوش[٣١] وشوشتر[٣٢] وقرى أخرى قليلة. أما كرخ ليدان[٣٣] وبيث لافاط[٣٤] فلم تكونا قد شيدتا بعد. وكان في موضع كرخ ليدان قرية تدعى "ريدان"، وعلى اسمها دعيت المدينة الجديدة "كرخ ليدان". وكان في موضع بيث لافاط قرية تدعة "بيلابد". وكان التجار الفرس يسكنون هذه المدن، كما هو الشأن اليوم، وكانوا منتشرين أيضاً في منطقة فارس (بيث فارسايي). وقد قادت الشؤون التجارية بعضاً منهم إلى المنطقة الغربية حيث تلقوا تعليم الحياة من الطوباوي أدّي الرسول. ولدى عودة هؤلاء تجار المؤمنين الهوزبيين والفرس، تلمذوا كثيرين في هذه البلدان. ولما وصل الطوباوي مار ماري إلى بلاد الأهواز ورأى فيها مؤمنين وسمع أيضاً عن تنصر الفرس، غمره فرح عميق إذ وجد قليلاً من الحنطة بين الزؤان. فطاف في تلك البلدان ونصّر كثيرين.

ثم انحدر نحو البلدان السفلى حيث استنشق روائح مار توما الرسول. وهناك هدى أناساً كثيرين. وترك في تلك البلدان تلميذه أيوب. أما هو فعاد مع مرافقيه وصعد إلى بلاد الآراميين وأخذ يتردد في ساليق وقطيسفون وفي بلدان المشرق، وهو يتفقد التلاميذ ويضيف تلاميذ آخرين إلى الأولين، وبعد أن قضى على قوة الشيطان. وكان يفرح إذ يرى أولئك الذين كانوا يجهلوا الله يترددون الآن كل يوم إلى كنيسته، والذين كانوا يضحون بأولادهم للشيطان يستسلمون الآن إلى الله بكليتهم.

سبحان الله الذي ملأ الأرض معرفة الحق بواسطة أناس بسطاء وسذّج! فمن قال للمشرق بلاد السحر والتنجيم أن تخر ساجدة أمام الإله الحي الحق؟ ومن قال لبني نمرود الجبار أن يقدموا الشكر لله ويعترفوا به خالقاً، عوض البرج الذي بنوه ضد الله؟

---

[٢٩] بلاد الأهواز أو الأحواز "بيث هوزايي" (خوزستان) هي المنطقة الواقعة شمالي الخليج العربي في إيران الحالية.

[٣٠] بلاد فارس بالمعنى الحصري "بيث فارسايي" هي المقاطعة الواقعة شرقي الخليج العربي، وكان مركزها مدينة "رواردشير".

[٣١] شوش أو سوس مدينة في منطقة خوزستان (عربستان) الإيرانية، وكانت عاصمة العيلاميين ثم الأخمينيين.

[٣٢] شوشتر أو تستر تقع في المنطقة ذاتها على نهر جرجر.

[٣٣] كرخ ليدان تقع في منطقة خوزستان أيضاً فوق مدينة شوش بالقرب من الأطلال المسماة "إيوان كرخ" على نهر كرخا الذي استمد اسمه من المدينة.

[٣٤] بيث لافاط أو بيلافاط هي المدينة التي دعيت فيما بعد "كوندي شابور"، وتسمى اليوم أطلالها "شاهاباد"، وهي تقع بين شوش وشوشتر، وكانت مركز مقاطعة بيث هوزايي الكنسية.

١١- وفاة مار ماري

وبعد أن أمضى الطوباوي سنين عديدة في بلدان المشرق وأقام فيها كنائس ونضّم شؤونها، أوصى بأن يكون مدبر كنيسة كوخي هو الذي يترأس أساقفة المشرق، لأن هذه المدينة هي لأقدم في تقبل التعليم الروحي. ثم انحدر من مدينتي ساليق وقطيسفون وجاء إلى الكنيسة التي أسسها في دير قنّي. فدعا تلميذه فافا أمام الجمع كله وأقامه مدبراً خلفاً له. وخاطب المجتمعين حوله وقال: "كما عاينتم تصرفي معكم، هكذا تصرفوا أنتم أيضاً، واسلكوا حسب الرتب والقوانين التي وضعها التلاميذ في أورشليم دون أن تحيدوا عنها قيد أنملة. كونوا ساهرين علىالخدمة التي تقلدتموها، وواظبوا على الصلاة بأمانة ولا تصادقوا الضالين، لئلا تطالبوا معهم بدم ربنا يسوع المسيح".

فأجاب فافا مع رفاقه وقالوا له: "يشهد المسيح الذي أرسلك إلينا فعلّمنا الإيمان الحق الذي نحياه الآن، إننا سنعمل مثلما نسمع منك".

بعد هذا، غادر الطوباوي مار ماري هذا العالم وانتقل إلى الحياة الأبدية. ودُفن جثمانه المقدس في كنيسة دير قنّي قدام المذبح. ويجري الاحتفال بذكره إلى الأبد، حسب أمر فافا الذي خلفه. وواصل فافا عمل الطوباوي وأقام كهنة ومدبرين في بلاد المشرق كلها.

(٤) مار شربيل الشهيد

في السنة الخامسة عشرة لمُلك ترانياس قيصر[٣٥]، وهي السنة الثالثة لحكم الملك أبجر السابع، أي سنة ٤١٦ يونانية (١٠٥م)، وفي عهد حبرية شربيل وبرسميا، أصدر ترايانس قيصر أمراً إلى جميع حكام الولايات الخاضعة لسلطته بأن يكثروا من تقديم الذبائح للآلهة في كل المدن العائدة إليهم، وبأن يُلقى القبض على الذين يرفضون تقديم الذبائح وتُنزَل بهم أقسى العذابات ثم أن يقطع السيف رؤوسهم. ولما بلغ الأمر إلى مدينة الرها، أقيم عيد كبير في يوم الثلاثاء الموافق الثامن من نيسان. فاجتمع أهل المدينة كلهم للاحتفال بالتقدمة الكبيرة التي أقيمت في وسط المدينة حيث جُمعت الآلهة كلها بأبهى زينتها، ومن بينها الإلهان نابو وبيل. وكان الأحبار يقدمون البخور والسكائب، وتُنحَر الأغنام والثيران وتفوح رائحة الشواء في أرجاء المدينة كلها وترافقها أصوات الغناء وقرع الطبول. وكان شربيل رئيس جميع الأحبار يتيه بجلال، لابساً أفخر الحلل وواضعاً تاجاً ذهبياً على رأسه، وكان يصدر الأوامر كما يشاء.

---

[٣٥] تريانس (٥٣-١١٧م) إمبراطور روماني من السلالة الأنطونية. وسّع الإمبراطورية الرومانية وتوغل شرقاً في أرمينية والجزيرة العربية وما بين النهرين.

وكان الملك أبجر ابن الإلهة يترأس الشعب كله، والجميع يخضعون إلى شربيل الذين كان أدناهم من الآلهة، فينتقل إليهم ما يدّعي سماعه من تلك الآلهة.

وبينما كانت الأمور تجري هكذا بأمر الملك، دنا برسميا أسقف المسيحيين مع الكاهن تيردت والشماس شالولا من شربيل رئيس الأحبار الأوثان، وقال له: "ليطالبك المسيح رب السماء والأرض بجميع هؤلاء الناس الذين تضلهم وتخدعهم وتعبدهم عن الإله الحق وتميل بهم إلى الأصنام المخلوقة الباطلة التي تعجز عن القيام بشيء. إنك لا تشفق حتى على نفسك المحرومة من الحياة الإلهية الحقيقية وتقنع الشعب بأن الأصنام الصماء تحدّثك، فتقرب أذنك من كل منها وكأنها تخاطبك فتقول للشعب: إن الإله نابو يقول لي أن أبلغكم إنه يحقق السلام في البلاد لأجل ذبائحكم وقرابينكم، وأن بيل يقول أنه يحقق الرخاء في أرضكم. ولا يعرف سامعوك أنك بذلك تضلهم. فإن لهذه الآلهة فماً ولا تنطق، وعيوناً ولا ترى بها. وإنما أنتم الذين تحملونها وهي لا تستطيع أن تحملكم، وأنتم تقدمون لها الطعام وليست هي التي تقيتكم. والآن اسمع ما أقوله لك وأنصحك به، واترك الأصنام المخلوقة واسجد لله الخالق ولابنه يسوع المسيح، ولا تشمئز من السجود له لكونه تجسَّد وصار إنساناً ومات على خشبة الصليب. فأنا أحتمل هذا كله لأجل خلاص البشر. فإن الذي تسجد هو إله وابن الله ومساوٍ لأبيه في الأزلية والطبيعة. وهو شعاع لاهوته المسجود وظهور عظمته المجيدة. وهو كائن مع أبيه من الأزل وإلى الأبد، وهو ذراعه ويمينه وقوته وحكمته وبأسه. والروح المنبثق منه هو الذي يبرر ويقدس جميع الساجدين له. وهذا ما علمنا إياه فالوط الذي تعرفه وهو تلميذ أدي الرسول، وكان أبجر الملك السابق لهذا الذي يسجد الآن للأصنام يؤمن هو أيضاً بالمسيح الملك. فلا يجوز للمسيحيين أن يسجدوا للمخلوق الذي ليس بإله، كما تسجدون للأصنام التي صنعها البشر الذين هم مخلوقون. فاسمع كلماتي هذه التي هي إيمان الكنيسة. فأنا أعلم أن هؤلاء الناس كلهم ينظرون إليك، وإني لعلى يقين من أن كثيرين منهم سيحذون حذوك إذا أذعنت للإيمان المسيحي".

فقال له شربيل: "لقد استعذبت كلامك هذا وصار له أبلغ الواقع في قلبي. ولكن أعلم إني خسرت كل شيء فلا شفاء لي، وقد فقدت كل رجاء، فلماذا تتعب نفسك بشأن ميت لا رجاء في قيامته؟ فإن الوثنية قد قتلتني وأصبحت صريع الشيطان إذ أمضيت حياتي كلها في تقديم القرابين والسكائب الباطلة".

ولما سمع ولما سمع الأسقف برسميا هذه الأقوال، وقع على قدميه وقال له: "إن للتائبين رجاء وللجرحى شفاء. وأنا أضمن لك مراحم المسيح الذي يغفر لك كل ما أخطأت به إليه وسجودك وإكرامك لخلائقه عوضاً عنه. فإنه الرؤوف الذي مات على الصليب ولا يرفض حنانه على النفوس التي تلتجئ إلى جودته. وما فعله للص اليميني يستطيع أن يفعله لك ولأماثلك أيضاً".

فقال له شربيل: "إنك كالكبيب الماهر الذي يشارك ألم المتضايقين. ونعماً ما فعلت إذا اهتممت

بي. أما اليوم فعيد عام للجميع ولا أستطيع المجيء معك إلى الكنيسة. فاذهب الآن أنت وحدك، وسآتيك غداً في الليل. فإني قد كفرت بالآلهة المخلوقة، واعترف بالمسيح الرب خالق الناس أجمعين".

وبعد يوم، قام شربيل ونزل ليلاً عند برسميا مع أخته باباي. فاستقبلته الكنيسة كلها بابتهاج. وكان يقول لهم: "صلوا لأجلي ليغفر لي المسيح كل ما اقترفته من الأخطاء طوال هذه السنين". وإذ كانوا خائفين من المضطهدين، بادروا إلى منحه العماد وهو يعترف بالآب والابن والروح القدس. ولما شاع في المدينة كلها خبر نزول شربيل إلى الكنيسة، استحوذ الهلع على كثيرين، فقاموا ونزل عنده، فألقوه متوشحاً زي المسيحيين. وقال لهم: "ليغفر لي المسيح الابن كل ما أخطأت به إليه إذ خدعتكم بأن الآلهة تخاطبني وهي لم تفعل ذلك، وإذ صرت لكم مثالاً رديئاً سأكون لكم من الآن مثالاً صالحاً. وعوض سجودكم للأصنام المخلوقة، تسجدون من الآن لله الخالق". ولما سمعوا ذلك، مكث عنده جمع غفير من الرجال والنساء. وكان بينهم نابو وحفسي وبركلبا من أعيان المدينة، فقالوا له: "نحن أيضاً نكفر بما كفرت به، ونعترف بالمسيح الملك الذي اعترفت به".

ولما سمع لوسانيا حاكم المجينة ما أقدم عليه شربيل، أرسل رجالاً اختطفوه ليلاً من الكنيسة. ولكن جمهوراً غفيراً من المسيحيين تبعوه. فجلس الحاكم ليسمعه ويدينه في وسط المدينة، عند الموضع الذي فيه كان يقرب الذبائح للآلهة.

فقال له الحاكم: لماذا جحدت الآلهة التي كنت تسجد لها وتقرب لها الذبائح؟ لقد كنت عظيم أحبارها، وها أنك الآن تعترف بالمسيح الذي كنت تكفر به سابقاً. أنظر كيف أن المسيحيين الذين انضممت إليهم لا يكفرون بما هم متمسكون به، في حين أنك تكفر بما تربيت عليه. فإذا كانت الآلهة صادقة، فكيف كفرت بها اليوم، وإن لم تكن صادقة، كما تعتقد الآن، فكيف كنت تقرب لها الذبائح وتسجد لها؟

فأجابه شربيل: إذ كنت أعمى البصيرة، كنت أسجد لما لا أعرفه. أما اليوم، وقد استنارت علينا عقلي، فلا مجال من بعد التعثر بحجارة منحوتة أو أن أكون سبب عثرة للآخرين. فإنه لعار عظيم على البصير أن يسقط في حفرة مبيدة.

ح- لأنك كنت حبراً أميناً للآلهة الكريمة التي يسجد لها الملوك الأقوياء، فسأمهلك لكي تطيعني. وإلا فإني أقسم بالآلهة التي كفرت لها بأني سأعذبك مثل رجل قاتل وأنتقم منك الغبن الذي ألحقته بالآلهة إذ تمردت عليها وكفرت بها وأهنتها.

ش- إني لست راضياً بأن تنظر إليّ ساجداً للآلهة المخلوقة كما كنت في السابق. بل أنظر إليّ اليوم واستجوبني كرجل مسيحي يجحد الأصنام ويعترف بالمسيح الملك.

ح- ألا تخاف من الملوك؟ ألا تخجل من الذين يسمعونك تقول أنك مسيحي؟ فـــاعترف بأنـــك تقرب الذبائح للآلهة كسابق عهدك لكي يزداد إكرامك، وإلا فسأنكل بسببك بجميع الذين آمنوا مثلك.

ش- إني أخاف من ملك الملوك وليس من ملك الأرض ولا مت التهديدات التي تطلقها ضـــد الساجدين للمسيح الذي اعترفت به البارحة، وها إني اليوم أحاكم بسببه، كما حوكم هو لأجـــل الخطأة أمثالي.

ح- إن كنت لا تشفق على نفسك، فإني أشفق عليك فلا أقطع يدين اللتين بهما وضعت البخور للآلهة وأسدّ بدمك أذنيك اللتين سمعتا أسرارها وأبتر لسانك الذي شرح خفاياها. فإني أشـــفق عليك خوفاً من الآلهة. ولكنك إذا أصررت على موقفك، فإن الآلهة ذاتها تكون لي شاهدة لكي لا أشفق عليك.

ش- لا تشفق عليّ كرجل يخاف من الملوك ويضطرب من الآلهة. فلست أدري ما تقوله ولم يضطرب عقلي ويفزع من تهديداتك. فبدينونتك ينجو من الدينونة العتيـــدة جميـــع الـــذين لا يسجدون لما في طبيعته ليس إلهاً.

.. إذ ذاك أمر الحاكم بأن يُجلد شربيل بالسياط لكونه تجاسر وردّ عليه وقاوم أمر الملوك ولم يُقم وزناً للإكرام الذي أولته إياه الآلهة التي جحدها. فجلَده عشرة رجال قابضين عليه، حسب أمر الحاكم.

ش- ألا تشعر بعذاب عدالة العالم العتيد؟ فأنت تزول وأحكامك تحول. أما العدالة فلن تـــزول ونقماتها لن تحول.

ح- أنت سكران بالمسيحية إلى حد أنك لا تعرف الذين يدينوك ويعذبونك؟ إنهم أولئك الـــذين كانوا من قبل يسجدون أمامك بسبب خدمتك للآلهة. فلماذا أبغضت الإكـــرام وفضّـــلت هـــذا الهوان؟ وإذا كنت تتكلم دون قانون، فأنا لا أستطيع أن أخالف قوانين الملوك.

ش- كما أنك تحذر من مخالفة قوانين الملوك، وأنت عالم بما ينتظرك إن خالفتها، كذلك أنـــا أحذر الانحراف عن شريعة ذاك الذي قال: "لا تسجد لكل صنم وتمثال". لذا فـــإني أضـــحي للأصنام المخلوقة. كفاني ما قدمته لها في عهد غباوتي.

ح- لا تضف حكماً على حكمك. كفى قولك أنك لا تضحي، فلا تتجاسر وتهن الآلهة إذ تدعو أصناماً مخلوقة تلك التي يكرمها الملوك أنفسهم.

ش- لو أمرتني بالتضحية للملوك البعيدين الذين لا يشعرون بالذين يخالفون أوامرهم، لهـــان الآمر. ولكنك كيف تقول لي أن أضحي للأصنام القريبة والمنظورة ولكنها لا تـــرى؟ وبهـــذا برهنت أمام حاشيتك كلها أن لها فماً ولا تنطق، إنما أنت الذي تتكلم عوضها. فمثلهـــا يكـــون صانعوها وكل المتكلين عليها من أمثالك.

ح- إني لم أستدعيك لتُهين الملوك والآلهة بدل أن تكرمهم. فاقترب وضح وأشفق على نفسك، يا مهين ذاته.

ش- ما الحاجة إلى أسئلة كثيرة وقد قُلت لك أن لا أضحي. أما أنك دعوتني "مهين ذاته"، فيا ليتني من صغري على هذا الرأي وأهنت نفسي التائهة في الضلال.

فأمر الحاكم بأن يعلقوه ويجردوا جنبه بأمشاط حديدية. وفي وسط هذا العذاب الأليم كان شربيل يصرخ ويقول: "عوض المسيح الذي أضاء نوره في ظلمة عقلي". ثم أمر الحاكم بأ يجردوا وجهه أيضاً.

ش- لأن تعذبني أنت لكوني لا أضحي للآلهة خير لي من أن أدان في الآخرة على أني كنت أضحي لصنع أيادي البشر.

فأصدر الحاكم أمره بأن تلوى قامته إلى الوراء وأن تُشد يداه ورجلاه وأن يُجلد على بطنه. فنفذوا أمر الحاكم. ثم أمر بإلقائه في زنزانة مظلمة من السجن. فحمله الجلادون والمسيحيون الذين أتوا معه من الكنيسة، إذ لم يكن بوسعه السير على قدميه من شدة العذاب. وظل في السجن أياماً طويلة. وفي الثلاثاء ٢ أيلول، قام الحاكم ونزل إلى محكمته ليلاً مع حاشيته. وأمر حارس السجن بإحضار شربيل أمامه.

ح- بعد هذه المدة التي أمضيتها في السجن، ما رأيك بشأن ما سألتك عنه؟ أترضى بأن تخدم الآلهة حسب عادتك القديمة بمقتضى أمر الملوك؟

ش- لقد قر رأيي في السجن على أن أمضي حتى النهاية في ما بدأته أمامك دون أن أخالف كلامي. فإني لن أعترف ثانية بالأصنام التي كفرت بها، ولن أكفر بالمسيح الملك الذي اعترفت به.

فأمر الحكام بأن يُعلّق من يده اليمنى التي حبسها عن تقديم البخور للآلهة، إلى أن تنخلع اليد التي بها خدم الآلهة، لأنه أصر على رأيه، وبينما كان معلقاً بيده، سألوه هل يرضى بالتضحية للآلهة؟ ولكنه لم يستطع الجواب لانخلاع ذراعه. فأمر الحاكم بأن يحلوه وينزلوه. ولم يكن بوسعه أن يعيد ذراعه إلى جنبه، فطواها الجلادون قسراً.

ح- قدم البخور للآلهة، واذهب أينما شئت. فلا أحد يضطرك إلى أن تكون كاهناً وإلا فسأنزل بك عذابات أشد ضراوة من السابقة.

ش- لتبد من تحت السماء تلك الآلهة التي لم تصنع السماء والأرض، أما أنت، فلا تتوقف عند الوعيد، بل أظهر تهديدك بالفعل، لكي لا أسمع منك بعد اسم الآلهة الكاذبة.

فأمر الحاكم بأن يُكوى جبينه وخداه بالنار كياً أليماً. ففعل الجلادون، حتى فاحت رائحة الكي في المحكمة. ولكن شربيل رفض التضحية للآلهة.

ش- لقد قلت لك أنك لا تشعر برائحة شواء النار المعدة اللذين يعترفون مثلك بالآلهة المخلوقة ويكفرون مثلك بالإله الحي.

ح- من علّمك أن تقول هذا الكلام أمامي؟ لقد كنت صديق الآلهة وعدو المسيح، والآن قد غدوت مدافعاً عنه.

ش- إن المسيح الذي اعترفت به هو الذي علمني أن أقول ذلك. وهو لا يفتقر إلى دفاعي عنه، لأن مراحمه هي الشفيعة للخطأة أمثالي وهي قادرة على أن تتشفع بي في يوم الحساب الأخير.

فأمر الحاكم بأن يعلق ويُجرد على جراحه الأولى وأن تكوى جروح جنبيه بالملح والخل، ثم قال له: لا تكفر بالآلهة التي كنت تعترف بها.

ش- معاذ الله أن أقول بعد الآن أن ثمة آلهة وسلاطين وأقداراً وطوالع. بل إني أعترف بالإله الأوحد الذي خلق السماء والأرض والبحار وكل ما فيها، وبابنه يسوع المسيح الملك.

ح- إني لم أسألك أن تشرح لي الديانة المسيحية التي اعترفت بها، بل قلت لك ألا تكفر بالآلهة التي كنت كاهناً.

ش- أين حكمتك وحكمة الملوك الذين تفتخر بهم وأنتم تسجدون لما تنتجه أيادي الصناع وتعترفون به، بينما تهينون هؤلاء الصناع بالضرائب والجزية التي تفرضونها عليهم؟ فالصانع يقف إجلالاً لك، وأنت تقف إجلالاً لصنع يده وتحترمه وتسجد له!.

ح- لست المسؤول عن هذا، بل أنت تُسأل لماذا كفرت بالآلهة ولا تريد أن تقدم لها البخور شأن سائر الأحبار زملائك.

ش- إن الموت في سبيل المسيح حياة حقيقية للمعترفين به. فهو أيضاً سيعترف بهم أمام أبيه المجيد.

فأمر الحاكم بأن يأتوا بمشاعل ويكووا وجهه وجنبه من جديد. ففعلوا ذلك مدة طويلة.

ش- يا لسعدي بأن تحرقني بهذه النار لكي أنجو من تلك النار التي لا تنطفئ والتي هي معدة للساجدين للخلائق عوض الخالق. فلا يجوز للمسيحيين أن يؤدوا الإكرام والسجود لشيء آخر إلا الله العلي. فعلى المصنوع والمخلوق أن يسجد لخالقه، لا أن يكون مسجوداً مع خالقه، كما تعتقد.

ح- لم يأمرني الملوك بالتباحث معك في هذه الأمور، إنما أمروني بأن أعامل بالسيف والعذابات الصارمة كل من لا يضحي للآلهة ولا يقدم لها البخور.

ش- إن ملوك هذا العالم لا يفكرون إلا في هذا العالم. أما ملك الملوك فقد أظهر لنا أن هناك عالماً آخر ودينونة مهيأة لمكافأة الذين عبدوا الله ولمعاقبة الذين لم يعبدوه ولم يعترفوا به. لذا

www.karozota.com

فإني أعلن على الملأ إني لن أضحي للأصنام من بعد ولن أقدم السكائب للشياطين ولن أكــرم الأبالسة.

فأمر الملك بأن تُدّق أوتاد حديدية في جبين شربيل فيذهب إلى العــالم الــذي ينتظــره ونفــذ الجلادون الأمر وسمع صوت ضرب الأوتاد والتي كانت تغرز فيه بشدة.

ش- لقد غرزت أوتاداً في جبيني كما غُرزت مسامير في يدي رب الخلائق المجيد، فارتجت حينذاك عناصر الطبيعة كلها. فإن العذابات التي تنزلها بي هي كلا شيء إزاء تلك العتيدة أن تنزل بذوي الطرق الملتوية الذين لا يعترفون بالله ولا يفكرون في دينونته. لذا فهو أيضاً لــن يعترف بهم.

ح- أنت تتكلم زاعماً أن ثمة دينونة، وأنا أريك إياها بالفعل. فعوض الدينونة العتيــدة، خــف وارتعد من الدينونة التي أنت فيها الآن ولا تُكثر الكلام أمامي.

ش- من شاء أن يضع الله أمام عينيه سراً، كان الله عن يمينه. فأنا لا أخاف من العذابات التي تهددني وتخيفني بها.

ح- ليخلصك المسيح الذي اعترفت به من كل ما عذبتك وما سأعذبك به، وليُظهر خلاصه لك علناً ولنقذك من يدي.

ش- إن الخلاص الحقيقي الذي علمه لي المسيح هو القوة الخفية التي أعطــاني إياهــا لكــي أحتمل كل ما عذبتني وتنوي تعذيبي به. ومع أنك رأيت ذلك فلا تريد أن تصدق كلامي.

فأمر الحاكم بأن يُخرج من أمامه وأن يُعلّق على خشبة منكس الرأس ويُضرب بالعصي. ففعل له الجلادون ذلك عند باب المحكمة، ثم أمر الحاكم بإدخاله عنده وقال له: "قدم القرابين للآلهة وامتثل أمر الملوك، يا أيها الكاهن الذي يكره الإكرام ويفضل عليه الهوان".

ش- وما الجدوى من إعادة الكلام عليّ بتقديم الذبائح، بعد أن سمعت مني مراراً وتكراراً إني لن أضحي أبداً؟ فليس المسيحيون هم الذين اضطروني إلى اتخاذ هذا الموقف، بل حقهم هــو الذي خلصني من ضلال الوثنية.

فأمر الحاكم بوضعه داخل قفص حديدي كالقاتل وبضربه بالسياط كالمجرم. ففعل الجلادون ما أمرهم به حتى لم يبق في شربيل موضع سليم.

ش- إن هذه العذابات التي تظنها مرة، تجري لي من مرارتها ينابيع الخلاص والمراحم فــي يوم الحساب الأخير.

فأمر الحاكم بأن توضع أخشاب صغيرة مدورة بين أصابع يديه وأن تضــغط بشــدة. ففعــل المنفذون ذلك حتى انفجر الدم تحت أظافره.

ش- إن لم تشبع عينك من تعذيب الجسد، فأضف إلى ذلك ما شئت من العذابات.

www.karozota.com

فقال الحاكم للجلادين: حلوا أصابع يديه، وأجلسوه على الأرض، وشدّوا يديه على ركبتيه، وادخلوا خشبة تحت ركبتيه تمتد على أربطة يديه، ثم علقوه برجليه الملتويتين واجلدوه بالسياط. وامتثل الجلادون أمره.

ش- إن الذين يقاومون الله لا يفلحون، وإن الذين يتكلون عليه لا يخيبون. لذا فإني أقول: لا نار ولا سيف، لا موت ولا حياة، لا علو ولا عمق، لا شيء بوسعه أن يفصلني عن محبة الله بيسوع المسيح ربنا.

فقال الحاكم للجلادين: احموا كرى من رصاص ونحاس وضعوها تحت إبطيه. ففعلوا حتى احترق جسمه وظهرت أضلاعه.

ش- إن عذاباتك أخف من حنقك عليّ. إلا أن غضبك قد تضاءل وعذاباتك قد ازدادت.

ح- إنك لن تخدعني بهذه الأقوال. فإن لي مجالاً لكي أفكر في عذابات أشد ضراوة أنزلها بك لكونك لا تضحي للآلهة التي كنت تسجد لها.

ش- لا يسعك أن تسمع ما رددته مراراً وتكراراً أمامك، فكيف يتسنى لك أن تعلم ما في فكري؟

ح- لا يجديك النقاش نفعاً، بل يزيد لك العذابات.

ش- إن كانت واحدة من قصص آلهتك صحيحة، فإنها مدعاة للخزي والعار. فواحد من هذه الآلهة كان يتعاطى اللواط مع الصبيان/ وآخر اغتصب عذراء هربت منه ولاذت بشجرة، كما تروي قصصكم المخزية.

ح- يا له من مكرم للآلهة عاد فأهانها دون أن يخاف! ولم يتورع من مخالفة أمر الملوك أيضاً!.

ثم قال للجلادين: أوقفوه على طبق محمي بالنار. ففعلوا حتى احترقت أخامص قدميه تماماً.

ش- إن كنت تغضب لمجرد سماعك قصص آلهتك البغيضة، فما أحراك أن تخجل من أعمالها. فلو أن إنساناً اقترف ما اقترفه أحد آلهتك وقدموه أمامك، لحكمت عليه بالإعدام حتماً.

ح- اليوم أنتقم من تجديفك على الآلهة وإهانتك للملوك، ولن أكف عنك ما لم تقدم لها البخور كسابق عهدك.

ش- أنجز تهديداتك ولا تكذب، وبرهن تجاهي عن السلطة التي خوّلك إياها الملوك. ولا تهن الملك بكذبك فتحتقرك حاشيتك.

ح- إن تجديفك على الآلهة وجسارتك على الملوك جلبا عليك العذابات التي أنت الآن تكابدها. فإن تماديت في الجسارة ازدادت لك عذابات أشد من سابقتها.

ش- لك السلطة أيها الحاكم، وافعل ما بدا لك ولا تشفق.

www.karozota.com

ح- إن من لم يشفق على جسده من هذه العذابات، كيف يستطيع أن يخاف أو يخجل من مخالفة أوامر الملوك؟

ش- حسناً قلت إني لا أخاف. فإن مبرري قريب وهو قد سبى عقلي. وإذا أغظته سابقاً بذبائح الأصنام، فإني أرضيه اليوم بعذاباتي. أجل إن عقلي قد سباه الله الذي صار إنساناً.

ح- إني في الوقع أستجوب إنساناً معتوهاً ومجنوناً وأخاطب ميتاً محترقاً.

ش- إن كنت متأكداً من أني مجنون، فلا تسألني بعد. وهل يُسأل المجنون، ولا سيما أني ميت ومحروق كما قلت؟

ح- وكيف أحسبك ميتاً وأنت تصيح وتقول: إني لا أضحي للآلهة؟

ش- وأنا كذلك لا أدري كيف أجاوبك؟ فإنك دعوتني ميتاً وعدت تسألني كالحي؟

ح- إني بصواب دعوتك ميتاً. فرجلاك محترقتان وأنت لا تبالي، ووجهك مكوي وأنت ساكت، الأوتاد مغروزة في جبينك وأنت لا تبالي، وبرزت أضلاعك من الجلدات وأنت تهين الملوك، وجسمك محظم ومهشم بالعذابات وأنت تجدّف على الآلهة. فلأنك أبغضت جسدك تقول الآن كل ما يحلو لك.

ش- إنك دعوتني جسوراً لأني احتملت هذه الآلام، فأنت الذي سببتها لي ينبغي أن تُدعى قاتلاً بالفعل ومجدفاً بالقول.

ح- لقد أهنت الملوك والآلهة، وها أنك تهينني أنا كذلك، كي أعجّل في قتلك. ولكن عوض ما تنتظره، سأنزل بك أقسى العذابات وأشدها.

ش- لقد قلت لك مراراً عديدة أن تنجز نحوي التهديدات التي تسمعني إياها، لكي تبرهن عن كونك منصاعاً لإرادة الملوك.

فأمر الحاكم بأن تُمزّق ساقاه وفخذاه بمشط من حديد. وامتثل الجلادون أمره، حتى سال دم شربيل وانحدر على الأرض.

ش- نعماً ما تفعله بي الآن. فقد سمعت أحد معلمي الكنيسة يقول: إن جروح جسدي تؤدي بي إلى القيامة من بين الأموات، فها أن تنكيلاتك تبعثني أنا الذي كنت ميتاً بالخطيئة.

فأوعز الحاكم في تمزيق وجهه وخديه بمشط من حديد بالإضافة إلى الأوتاد المغروزة في جبينه.

ش- إني لا أطيع الملوك الذين يأمرون بالسجود لما ليس من طبيعته إلهاً، بل هو خليقة الله.

ح- اسجد كما يسجد الملوك، وأكرم كما يكرم الحكام.

ش- إن كنتُ أحتقر ما هو من صنع البشر وهو لا يحص ولا يتألم، فلا تحتقر أنت الله خالق الكل وتسجد معه لشيء ليس منه ولا من طبيعته.

ح- أهكذا يعلمكم مذهبكم أن تحتقروا النيرات أيضاً التي تنير الأرض كلها؟

ش- ليس المفروض علينا أن تحتقرها بل أن لا نسجد لها ونكرمها، لأنها خلائق. فإنه لإثم جسيم أن نسجد للمخلوق مع خالقه، وإنها لأهانة بشعة أن يؤدي الإكرام للخالق مع خلائقه.

ح- إن المسيح الذي اعترفت به عُلّق على الخشبة، فأعلقك على الخشبة مثل معلمك. وأمر الحاكم بتعليقه على خشبة مدة طويلة.

ش- إن المسيح الذي تسخر به قد انتصر على آلهتك العديدة التي أضحت أضحوكة وسخرية للذين كانوا يسجدون لها.

ح- كيف تكفر بالآلهة وتعترف بالمسيح الذي عُلّق على خشبة؟

ش- إن فخر المسيحيين الكبير هو صليب المسيح، وبه صار الخلاص لجميع الساجدين له، وبه اكتسبوا عويناً نيرة لكي لا يسجدوا للخلائق مع الخالق.

ح- احتفظ في داخلك بفخرك بالصليب وقدم البخور ظاهرياً للآلهة.

ش- لا يمكن للمخلَّصين بالصليب أن يسجدوا ثانية للأصنام المخلوقة. فلا تستطيع الخليقة أن تسجد للخليقة. لأنها إهانة للخالق أن يُسجَد معه للمخلوق، كما قلت سابقاً.

ح- دع عنك كتبك التي علمتك هكذا، وامتثل أمر الملك لئلا تعرض نفسك للموت حسب شريعة الملوك.

ش- أهذه عدالة الملوك التي أنت فخور بها أن نترك شريعة الله ونحافظ على شرائعهم؟

ح- إن تكرار الكتب التي آمنت بها هو الذي أفضى بك إلى هذه الحال المزرية. فلو كنت حبراً للآلهة، لازداد إكرامك كسابق عهدك.

ش- إن عقلك الكافر هو الذي يظنها حالة مزرية. أما العقل السليم فإن الضيق يُكسِبُ الصبر، ومنه الاختبار، ومن الاختبار رجاء الاعتراف.

فأمر الحاكم بتعليقه وتمشيطه على جراحه الأولى. ولشدة غضب الحاكم، بالغ الجلادون في تعذيبه حتى كادت أحشاؤه تظهر. ولئلا يموت في هذا العذاب فينجو من عذابات أخرى، أمر الحاكم بإنزاله. ولما رأى أنه قد سكت ولا يستطيع الإجابة عليه، أمهله قليلاً ريثما يستعيد أنفاسه.

ش- لم أشفقت عليّ هذه البرهة القصيرة ومنعتني من فائدة الاعتراف؟

ح- إني لم أمهلك قليلاً شفقة عليك. إنما سكوتك هو الذي حداني إلى الهدوء قليلاً. ولو استطعت تعذيبك أكثر مما تأمر به شريعة الملوك لفعلت، لأنتقم منك احتقارك للآلهة. فإذا احتقرتني احتقرت الآلهة، فأنا أيضاً أبقيتك لأذيقك ما تستحقه من العذابات.

.. وأمر الحاكم فأسدل ستار أمامه وقتاً وجيزاً فيه أعدّ قرار الحكم الذي سيصدره على شربيل علناً، ثم أزيح الستار، ورفع الحاكم صوته وقال: "إن شربيل هذا كان سابقاً كاهناً للآلهة، ثم عاد وجحدها اليوم وأعلن أنه مسيحي، ولم يتورع من التجديف على الآلهة ولم يخش أوامر

الملوك. وأوعزت إليه في التضحية للآلهة كعادته القديمة فرفض، بل احتقرها احتقاراً. فرأيت أن الرجل الذي يفعل هذا لا يجب الإشفاق عليه حتى إذا ضحى. فلا يحق له أن يرى شمس سياده لأنه ازدرى شرائعهم. لذا فقد أمرت بأن توضع حلقة في فمه حسب أوامر الملوك، كما توضع في فم قاتل، ويُسحَب خارج مدينة الملوك عاجلاً، ولأنه أهان أسياد المدينة وآلهتها، أمرت بأن يُنشَر بمنشار من خشب. وحينما يُشرف على الموت، يُقطع رأسه بحد السيف".

وما أن أصدر الحاكم هذا الحكم، حتى وضعوا حلقة في فم شربيل، وانتزعه الجلادون وأخذوا يركضون به بسرعة برجليه المحترقتين. وأخرجوه خارج المدينة والناس يقتفون آثاره وكان كل يوم يشاهدون محاكمته ويتعجبون من الفرح الذي يتجلى على وجهه وسط عذاباته.

ووصل الجلادون إلى موضع تنفيذ حكم الإعدام، وكان جمع غفير من سكان المدينة يرافقونهم لكي يروا تنفيذ حكم الإعدام بمقتضى أمر الحاكم، ولكي يسمعوا ما سيقوله شربيل في ذلك الوقت لكي ينقلوه إلى الحاكم. وقدم له الجلادون خمرة ليشرب حسب ما يفعلونه للقتلة. ولكنه امتنع وقال: "لا أشرب لأني أريد أن أحس بالنشر وبالسيف الذي يحز عنقي. وعوض الخمر، امنحوني مهلة لأصلي." فوقف شربيل والتفت نحو المشرق وصلى بصوت عالٍ وقال: "أيها المسيح، اغفر لي كل ما أغظتك به بتقدمتي الذبائح النجسة للأصنام المائتة. وأشفق عل ي وأنقذني من الدينونة العتيدة، وتحنن عليّ مثل تحننك على اللص التائب، واقبلني كما قبلت التائبين العائدين إليك، ولا تعادلني حسب صرامة عدلك لكوني دخلت كرمك في الساعة الحادية عشرة، وليكن موتك لأجل الخطأة هو الذي يبعثني في يوم مجيئك".

ولما سمع أمناء المدينة هذه الكلمات، غضوا على الجلادين لأنهم تركوا له المجال للصلاة. وكان شربيل في حال يُرثى لها والدماء تجري من كل أوصاله، وقد صار جسده جرحاً واحداً من الرأس حتى أخمص القدمين، وإذ ذاك جاءوا بأدوات النجارة، ووضعوا الطوباوي في لولب خشبي وعصروه حتى أنّت عظامه من الألم، ثم شرعوا ينشروه بمنشار من حديد. ولما أوشك أن يموت إذ بلغ المنشار إلى فمه، ضربوا رأسه بحد السيف وهو ما يزال محصوراً في اللولب. فدنت أخته باباي الحاضرة هناك وبسطت رداءها وتقبلت دمه والتمست منه أن تضم روحها إلى روحه لدى المسيح الذي أحبه وآمن به.

وعاد الأمناء إلى المدينة مسرعين وأطلعوا الحاكم على ما قاله شربيل في صلاته وكيف أن أخته تلقت دمه، فأمر الحاكم بأن يعودوا ويقولوا للجلادين أن ينفذوا حكم الموت فيها أيضاً في الموضع الذي فيه تلقت دم أخيها. فوثب عليها الجلادون وشرع كل منهم ينكّل بها حتى فاضت روحها وهي ما زالت تحمل دم أخيها. فخلطوا دمها بدمه. ولما عاد الجلادون إلى المدينة، أسرع الأخوة وبعض الشباب وسرقوا جثتيهما ووضعوها في ضريح والد الأسقف عبشلاما، وذلك يوم الجمعة الموافقة ٥ أيلول (سنة ١٠٥).

(نحن مارينوس وأناتول كتبنا هذا الاستجواب ووضعناه في مكتبة المدينة حيث تُحفظ أضابير الملوك).

(٥) برسميا أسقف الرها

في الخامس من شهر أيلول سنة ٤١٦ يونانية (١٠٥م)، وهي السنة الخامسة عشرة لملك ترايانس قيصر، وفي عهد قنصلية قومودس وقورلس، بعد اليوم الذي فيه حقق لوسانيا حاكم البلاد مع شربيل الكاهن، وبينما كان الحاكم جالساً في ديوانه، دخل عليه أمناء المدينة وقالوا له: "إننا نعلمك أن برسميا رئيس المسيحيين هو الذي اتصل بشربيل الكاهن بينما كان قائماً بخدمة الآلهة، ودعا إليه وشرح له الكتب التي يقرأونها في جماعتهم، وعرض عليه الديانة المسيحية وحرضه على عدم السجود لآلهة عديدة بل لإله واحد ولابنه يسوع المسيح، وأخيراً نصّره وجعله يجحد الآلهة التي كان يسجد لها سابقاً. وبسبب شربيل تنصر خلق كثير وانضموا إلى الكنيسة وهم الآن يعترفون بالمسيح، ومنهم عويدا ونابو وبركلبا وحفسي أعيان المدينة. ونحن أمناء المدينة نطلعك على ذلك لئلا نتعرض للقصاص بسبب إهمالنا. وعظمتك أدرى بما ينبغي القيام به في هذا الشأن".

وما أن سمع الحاكم هذا الكلام، حتى أرسل أمناء المدينة بصحبة شرطة لينزلوا إلى الكنيسة ويأتوه ببرسميا. فجاءوا واقتادوه إلى ديوان الحاكم. وصعد معه مسيحيون كثيرون وهم مصممون على الموت مع أسقفهم برسميا ومعلنين موافقتهم على ما كان شربيل قد صرح به. فدخل أعيان المدينة وقالوا للحاكم: "ها أن برسميا على باب محكمتك ومعه أعيان المدينة الذين تتلمذوا مع شربيل وهم يعلنون أنهم يريدون أن يموتوا مع برسميا معلمهم ورئيسهم".

حينما سمع الحاكم ما قله الأمناء، أمرهم بأن يخرجوا ويسجلوا أسماء الذين يريدون أن يموتوا مع برسميا. فلما خرجوا لتسجيل الأسماء، رأوا أن عددهم في تزايد مستمر حتى تعذر عليهم تسجيل جميع الأسماء. فعادوا وقالوا للحاكم أنهم لا يستطيعون تسجيل أسماءهم بالنظر إلى عددهم الغفير. فأمر الحاكم بأن يودعوا برسميا السجن لكي يتبدد الحشد المجتمع هناك، لئلا يحدث اضطراب في المدينة من جراء ذلك التجمع. فرافقه إلى السجن أولئك الذين تنصروا مع شربيل.

وبعد أيام عديدة، نزل الحاكم إلى محكمته، وأمر بإحضار برسميا من السجن. فدخل برسميا ومثل بين يدي الحاكم.

الحاكم– أأنت برسميا رئيس المسيحين الذي نصّر شربيل عظيم كهنة الآلهة؟

برسميا– نعم، أنا الذي فعلت ذلك ولا أنكر، وإني مستعد لأن أموت في سبيل هذه الحقيقة.

ح- أو لم تخف من أمر الملوك؟ فبينما الملوك يأمرون الجميع بتقديم الضحايا للآلهة، أنت دفعت شربيل الكاهن، وهو يضحي للآلهة ويقدم لها البخور، إلى جحودها والاعتراف بالمسيح؟

ب- إني أُقِمت راعياً للناس، ليس للمؤمنين حسب، بل كذلك للضالين عن الحظيرة والذين أصبحوا فريسة ذئاب الوثنية. فلم لم أتلمذ شربيل، لطولبت بدمه، ولو لم يسمعني لتبرأت من دمه.

ح- الآن وقد اعترفت بكونك قد تلمذت شربيل، فإني أنتقم منك موته. فيجب أن تُدان بأشد صرامة منه لأنك سبب الآلام القاسية التي تكبدها لكونه ترك أمر الملوك وسمع أقوالك.

ب- إن شربيل لم ينقد إلى كلامي، بل إلى كلام الله القائل: لا تسجد للأصنام والتماثيل التي يصنعها البشر. ولست أنا وحدي أشتاق إلى الاستشهاد مثل شربيل، بل جميع المسيحيين يشتاقون إليه، عالمين أنهم به يجدون حياتهم الحقة أمام الله.

ح- لا تجاوبني كما فعل تلميذك شربيل لئلا تكون عذاباتك أشد ضراوة من عذاباته، بل عدني بأنك تقدم القرابين عوضه للآلهة.

ب- أنا علّمت شربيل معرفة الله. أفتقول لي أن أكفر بالإله الذي أعرفه منذ نعومة أظفاري؟ معاذ الله أن أفعل ذلك.

ح- أنتم نشرتم تعليم المسيح في العالم كله وحملتم الناس على جحود الآلهة التي كانوا يسجدون لها. فتخلّ عن هذا الرأي، لئلا أدخل الرهبة في قلوب مشاهديك والذين يسمعون بعذاباتك.

ب- إن كان الله مع ملتمسيه، فمن يستطيع قهرهم؟ وماذا بوسع تهديداتك أن تفعل للذين، قبل إصدارك الحكم عليهم بالموت، قد وضعوا موتهم إزاء أعينهم وإليه يشتاقون كل يوم؟

ح- لا تأتي بذكر المسيح في محكمتي، بل اخضع عوضاً عن ذلك لأوامر الملوك التي تقضي بتقديم الذبائح للآلهة.

ب- حتى وإن لم نذكر المسيح أمامك، فإن آلامه مصورة دوماً في أذهان الساجدين له. فالمسيحيون أكثر خضوعاً للمسيح ملك الملوك منك لأوامر الملوك.

ح- لقد خضعت للمسيح وسجدت له حتى اليوم. ومن الآن اخضع للملوك واسجد للآلهة التي يسجدون لها.

ب- كيف تقول لي أن أجحد ما وُلدت فيه بينما انتقمت من شربيل لكونه كفر بالوثنية التي ولد فيها واعترف بالمسيحية الغريبة عنه؟ فقيل أن أمثل أمامك، سبقت وقلت لشربيل أن المسيحيين الذين انضم إليهملا يجحدون ما وُلدوا فيه. فاثبت إذن في كلامك.

www.karozota.com

إذ ذاك أمر الحاكم بأن يُجلد برسميا لأنه عصى أوامر الملوك وسبّب في تمرد الـذين كـانوا خاضعين لهم. وبينما كان خمسة رجال يجلدونه، قال له الحاكم: لا ترذل أوامر الملوك وتحتقر آلهتهم.

ب- ما أشد غباوتك أيها الحاكم وغباوة الملوك الذين خولّوك السلطة! إنكم لا ترون الأمـور جلية ولا تدرون أن الخليقة كلها سجدت للمسيح، وأنت تقول لي ألا أسجد له، وكأني الوحيـد الذي يسجد لذاك الذي تسجد له ملائكة العلى.

ح- إن كنتم قد علمتم الناس أن يسجدوا للمسيح، فمن الذين أقنع السماويين بالسجود له؟

ب- إن السماويين هم الذين بشروا وعلّموا الأرضيين أن يسجدوا معهم له ولأبيـه ولروحـه القدوس.

ح- دعوا ما كُتب لكم وتعلّمونه الآخرين واخضعوا لما أمر به الملوك ولا ترذلوا شـرائعهم لئلا تعدموا بالسيف من نور الشمس الجليلة.

ب- إن النور الزائل ليس بالنور الحقيقي، بل هو رمز للنور الحقيقي الذي لا يعـروه ظـلام وهو محفوظ للساجدين الحقيقيين للمسيح.

ح- لا تشوه الكلام أمامي لئلا أقضي عليك لأنك كفرت بالنور المنظـور وتعتـرف بـالنور اللامنظور.

ب- لا تستطيع التخلي عما تسألني والتطرق إلى ما لا تسألني. فأنت الذي كلّمتني عن نـور الشمس، فقلت أن في العلى شمساً تفوق نور الشمس التي تسجد لها وتكرمها. وإنك سـتُطالب على سجودك لخليقة مثلك عوض سجود الله خالقك.

ح- لا تحتقر الشمس التي تنير الخلائق وتزدري بأمر الملوك وتجادل أسياد البلاد.

ب- وما نفع نور الشمس للكفيف الذي لا يستطيع رؤيته. فإن أشعة الشمس لا تُرى إلا بعيون الجسد. وبهذا نعلم أنها خليقة الله ولا يسعها إظهار نورها للعميان.

ح- بعد أن أؤدبك كما تستحق، سأكتب بشأنك إلى الملك وأطلعه على إهانتك للآلهة وكيف أنك تلمذت شربيل كاهن الآلهة، وإنكم تحتقرون شرائع الملوك ولا تولون اعتبار لحكام البلـدان، وإنكم تسكنون مصل البرابرة في مملكة الرومان.

ب- لن تخيفني بكلامك هذا. فإني وإن لم أكن اليوم قريباً من الملوك، إلا أني ماثل أمام مـن خوّله الملوك هذه السلطة، وأنا أدان على أني قلت لن أكفر بالله خالق السماء والأرض وبابنه يسوع المسيح ملك الأرض كلها.

ح- إن كنت على يقين أنك واقف أمام سلطة الملوك، فاخضع لأوامرهم ولا تخالف شرائعهم، لئلا تعرض نفسك للموت كالمتمردين.

www.karozota.com

ب- إن كان الذين يتمردون بحق على الملوك يستحقون الموت بحسب قولك، فإن حكم الموت بالسيف قليل للذين يتمردون على الله ملك الملوك.

ح- إنك لم تمثل أمامي للمناقشة. فالوضع الذي أنت فيه بعيد عن المناقشة وقريب من قصاص الموت للذين يحتقرون الملوك ولا يخضعون لشرائعهم.

ب- ذلك لأنكم لم تضعوا الله أمام عيونكم ولا تريدون سماع كلمته، وتحسبون الأوثان ناطقة، في حين أن لها أفواهاً ولا تنطق، لأن بصيرتكم قد عميت بظلام الوثنية التي أنتم متسكعون بها.

ح- دع عنك هذه الأقوال التي لن تجديك نفعاً واسجد للآلهة قبل أن تنزل بك العذابات القاسية.

ب- امسك أنت أيضاً عن الأسئلة الكثيرة التي تطرحها عليّ، ومُرْ بإنزال العذابات التي تهددني بها. فإن عذاباتك أجدى لي من كلماتك.

فأمر الحاكم بأن يُعلّق برسميا ويُجرّد بأمشاط حديدية.

وفي تلك الغضون، بلغته رسائل من لوسيوس الوالي الأعظم في الملوك. فأمر الحاكم بإنزال برسميا قبل أن يُعذّب، وبإخراجه من المحكمة، ثم استدعى الحاكم أعيان المدينة ورؤساءها وعظماءها لكي يقرأ عليهم ما تلقاه من أوامر الملوك التي ؟؟؟ بواسطة الولاة المشرفين على إدارة البلدان في المملكة الرومانية. وجاء في رسائل الملوك إلى حكام البلدان: "بعد ما أمرنا باضطهاد المسيحيين، سمعنا وعلمنا من أمنائنا في البلدان الخاضعة لمملكتنا أن المسيحيين أناس يمتنعون عن القتل والسحر والزنى والسرقة والرشوة والمكر: وهذه أمور تعاقب شرائع مملكتنا مقترفيها، لذا فقد أمرنا بعدالتنا أن يكف عنهم اضطهاد السيف، فيستتيب الهدوء والسلام في مملكتنا كلها، ويؤذن للمسيحيين بممارسة عوائدهم دون مانع. إننا لسنا بمشفقين عليهم، بل نفعل ذلك لأجل تطابق شرائعهم مع شرائع مملكتنا. وإذا تصدى لهم أحد بعد هذا الأمر، فالسيف الذي كنا قد أمرنا بأن يقطع رأس المخالفين يقطع رأس من يحاول إلغاء أمرنا الرحوم هذا".

ولما تُلي أمر رحمة الملوك هذا، ابتهجت المدينة كلها لأجل السلام والهدوء اللذين خيما على الجميع. فأمر الحاكم بإطلاق سراح برسميا ليذهب إلى كنيسته. فصعد جمع غفير من المسيحيين إلى المحكمة واستقبلوا برسميا بإكرام عظيم وهم ينشدون أمامه المزامير كعادتهم، ويزدحمون للسلام عليه ويدعونه المعترف المضطهد زميل شربيل الشهيد. فقال لهم: "إني مضطهد مثلكم، ولكني بعيد عما قاساه شربيل من الآلام والعذابات". وكانوا يقولون له: لقد سمعنا منك أن معلم الكنيسة (بولس) قال: تقبل الإرادة كما هي.

ودخل برسميا إلى الكنيسة مع الشعب الذي يرافقه، وصلى وباركهم ثم صرفهم إلى بيوتهم فرحين وهم يسبحون الله على الخلاص الذي حققه لهم ولكنيسته..

.. وبعد يوم من استنطاق برسميا، عزل الحاكم لوسانيا من منصبه.
(نحن زينوفيلس وبطروفيلس قد سجلنا هذا الاستنطاق، ويشهد على ذلك أمينا المدينة ديودورس واوطروفيوس بتواقيعهما، كما تقتضي أوامر الملوك الأقدمين).

(٦) استشهاد الشماس حبيب

في شهر آب سنة ٦٢٠ يونانية (٣٠٩م)، في عهد ليقينوس[٣٦] وقسطنطين[٣٧]، وفي أيام قونا أسقف الرها، ثار ليقينوس اضطهاداً على المسيحيين، بعد الاضطهاد الأول الذي كان الملك ديوقلتيانس[٣٨] قد شنه، فأمر ليقينوس بأن تقدم الذبائح والسكائب في كل مكان، وبأن تُقَدّم البخور للإله "زُفس"[٣٩]. إلا أن المسيحيين لم يهابوا الاضطهاد، بل كانوا يعلنون بجرأة أنهم مسيحيون. وكان عدد المضطهدين يفوق عدد مضطهديهم..
كان في رقية (تلصهة) شماس يدعى حبيب، شرع يتفقد كنائس القرية خفية ويعلّم فيها ويقرأ الكتاب المقدس ويقوّي ويشجّع كثيرين، ويحرضهم على الثبات في حقيقة الإيمان دون أن يهابوا المضطهدين. وهكذا استطاع أن يسند الكثيرين في الإيمان. ولما بلغ الخبر إلى أعيان المدينة المكلفين بالإشراف على تنفيذ الأوامر، دخلوا على الحاكم لوسانياس الحاضر آنذاك في مدينة الرها وأخبره أن الشماس حبيب أن قرية تلصهة يتجول ويخدم في كل مكان ويقاوم أمر الملك دون خوف. فاحتلك الحاكم غيظاً لدى سماعه هذا عن حبيب، وكتب تقريراً وأرسله إلى الملك ليقينوس ليطلعه على ذلك ويستطيع رأيه بشأنه وبشأن الذين يرفضون تقديم الذبائح للأصنام، وكانوا قد سمعوا أن قسطنطين الحاكم على إيطاليا وبلاد غالية وأسبانيا كان مسيحياً ولا يقدم الذبائح للآلهة. وجاء أمر الملك إلى الالحاكم لوسانياس يقول: "لقد أمرنا بحرق من يتجاسر ويخالف أمرنا، والذين لا يطيعون ويقدمون الذبائح، فليموتوا بحد السيف".

---

[٣٦] ليقينوس إمبراطور روماني في الشرق (٣٠٧-٣٢٤). اتفق مع قسطنطين على سياسة التسامح مع المسيحيين، ولكنه تراجع عنه وانقلب مضطهداً. فحاربه قسطنطين وقتله.

[٣٧] قسطنطين الكبير (٢٧٤-٣٣٧) إمبراطور روماني استوى على العرش سنة ٣٠٦، وهزم خصمه ماكسانس. وأطلق الحرية للمسيحيين بمرسوم ميلانو الشهير سنة ٣١٣. تخلص من ليقينوس سنة ٣٢٤، فوحّد الإمبراطورية. أسس عاصمة جديدة سماها القسطنطينية (إسطنبول) سنة ٣٣٠ ومات مسيحياً سنة ٣٣٧.

[٣٨] ديوقلتيانس (٢٤٥-٣١٣) إمبراطور روماني حكم من سنة ٢٨٤ إلى ٣٠٥. شن أعنف اضطهاد على المسيحيين سنة ٣٠٣. واستقال سنة ٣٠٥.

[٣٩] "زفس" إنه رئيس في الميثولوجيا الإغريقية، ويدعوه الرومان جوبيترا أو المشتري وهو عندهم أبو الآلهة وسيدها، وإله السماء والأرض والنور والطقس. شيد له الرومان هيكلاً في الكابيتول في روما وآخر في بعلبك في لبنان.

ولما بلغ هذا الأمر إلى مدينة الرها، كان حبيب قد ذهب إلى بلاد الزوغماطيين ليخدم هناك أيضاً خفية. ولما فتشوا عنه في قريته في المناطق المجاورة ولم يجدوه، أمر الحاكم بإلقاء القبض على أقرباءه وعلى سكان قريته. فألقوا القبض على والدته وأقاربه وبعض من سكان قريته، وأتوا بهم إلى المدينة وزجوا بهم في السجن. ولما سمع حبيب بما جرى، أخذ يفكر ويقول في نفسه: "خير لي أن أذهب وأمثل أمام حاكم البلاد من أن أمكث في الخفية، فينال آخرون إكليل الشهادة بسبب وأنا أحرم منه. فماذا يجدي اسم المسيحية لمن يتهرب من الإقرار بالمسيحية؟ فإن هو فرّ من ذلك، فإن الموت الطبيعي يسبقه حيثما يمضي، ولا مفر من هذا الموت المحتم على البشر كلهم." وما أن قال هذا حتى قام وأتى إلى الرها سراً، وهو يتهيأ لشتى أنواع العذابات. وتوجه أولاً إلى تياطقنا الشيخ زعيم حاشية الحاكم وقال له: "أنا حبيب من تلصهة الذي تبحثون عنه." فقال له الشيخ: "إن لم يشاهدك أحد لدى مجيئك إليّ، فاسمع ما أقوله لك وعُدْ إلى حيث كنت وابق هناك الآن. ولا يعلمَنّ أحد بمجيئك إليّ وبما نصحتك به. ولا يهمك أمر أقاربك وسكان قريتك، إذ لن يمسهم أحد بأذى. فإنهم سيمكثون أياماً قليلة في السجن، ثم يطلق الحاكم سراحهم، إذ لم يأمر الملك بالإساءة إليهم. وإذا لم تسمع كلامي، فأنا بريء من دمك. فإذا رآك حاكم البلاد، فإنك لن تنجو من موت النار، حسب الأوامر التي أصدرها الملك عليك".

فقال حبيب لتياطقنا: "إني لست مهتماً بأقاربي وأهل قريتي، بل أهتم بألا تهلك حياتي. لذا فإني اغتممت جداً لعدم حضوري في القرية يوم طلبني الحاكم، وبسبب ألقاهم في السجن، وحُسبت أنا فاراً. وإذا لا تريد أن تدخلني عند الحاكم، فأنا وحدي أذهب وأمثل أمامه." ولما سمع الشيخ ما قاله حبيب، أوثقه وذهب به إلى المحكمة. ودخل تياطقنا أولاً وأخبر الحاكم بأن المطلوب حبيب من تلصهة قد أقبل. فقال له الحاكم: "ومن أتى به؟ وأين وجدوه؟ وماذا صنع حيث كان؟" فأجابه الشيخ: "إنه بحريته جاء إلى ههنا دون أن يعلم به أحد." فلما سمع الحاكم ذلك، استشاط غيظاً وقال: "إنه بهذا استخف بي واحتقرني. لذا فهو غير جدير بالرحمة، ولن أعجل في تنفيذ حكم الموت فيه، حسب أوامر الملك، بل سأتمادى معه لتزداد عذاباته هولاً، وأفزع به كثيرين لئلا يتجاسروا على الهرب من بعد." وكان على باب المحكمة جمع غفير من الشرط وأهل المدينة. ومنهم من كانوا يقولون لحبيب إنه بش ما فعل إذ جاء من نفسه وظهر أمام الحاكم، وغيرهم كانوا يقولون له إنه نعماً ما فعل إذ جاء بحريته ومثل أمام الحاكم، ليزهر أن اعترافه بالمسيح جاء طوعاً لا قسراً.

وسمع أعيان المدينة ما يقوله الناس على باب المحكمة، كما أنهم سمعوا عن مجيئه سراً إلى تياطقنا، دون أن يكشف هذا أمره. وأخبروا الحاكم بكل شيء. فغضب الحاكم على الذين كانوا يقلون لحبيب لماذا أتى وظهر أمام الحاكم من تلقاء نفسه، وقال لتياطقنا: "لا ينبغي للرجل الذي

أقيم رئيساً لزملائه أن يغدر برئيسه ويخالف أوامر الملك القاضية بإحراق حبيب المتمرد." فقال تياطقنا: "إني لم أغدر بزميلائي ولم أتوخ إبطال أوامر الملك، إنما سألته حسب أمرك هل أقبل إلى ههنا بحريته أم هل أن آخرين أتوا به قسراً. ولما سمعت منه أنه جاء طوعاً، أتيت به في الحال إلى محكمتك الموقرة".

فأمر الحاكم بإدخال حبيب أمامه. فسأله الحاكم:

- ما اسمك؟ ومن أين أنت؟ ومن أنت؟

حبيب- اسمي حبيب ، من قرية تلصهة، وأنا شماس.

ح- لماذا خالفت أمر الملك باستمرارك على خدمتك رافضاً تقدمة الذبائح لزفس الذي يسجد له الملوك؟

حب- نحن المسيحيين لا نسجد للأصنام التي صنعتها أيادي البشر. إنما نسجد لله الذي خلق البشر.

ح- لا تتجاسر أمامي وتهين زُفس الذي هو فخر الملوك.

حب- لو لم يكن زُفس صنماً من صنع الناس لصدقت قولك إني أهينه. ولكن إن كان نحته من خشب وتركيزه بالمسامير هي الشاهدة عليه أنه مصنوع، فكيف تقول أني أهينه؟ إنما عاره هو فيه ذاته.

ح- إنك تهينه حينما لا تريد السجود له.

حب- إن كنت أهينه بعدم سجودي له، فكم إهانة إذن ذاك النجار الذي نحته بفأس من حديد، والحداد الذي طرقه وركزه بالمسامير؟

وما أن سمع الحاكم هذا الكلام، حتى أوعز إلى خمسة رجال في جلده جلداً مبرحاً لا رحمة فيه، ثم قال له:

ح- أتطيع الآن أمر الملوك، وإلا فإني أجردك بمشط من حديد، وأنزل بك شتى العذابات وأخيراً بحرقك بالنار.

حب- إن تهديداتك أصغر وأخف بكثير مما زعمت على احتماله حينما جئت ومثلت أمامك.

فأمر الحاكم بوضعه في قفص من حديد وبجلده كما يستحق. وبينما كانت الضربات تنهال عليه، قالوا له: ضَحِّ للآلهة. أما هو فكان يصرخ ويقول: "نجسة هي أصنامكم وأنجاس أنتم مع الذين يسجدون لها مثلكم." ثم أمر الحاكم بزجه في السجن، دون أن يسمح له بالتحدث إلى ذويه وأهل قريته. وكان ذلك اليوم عيد الملوك.

وفي اليوم الثاني من شهر أيلول، أمر الحاكم بإحضاره من السجن.

ح- أكفر بما تعترف به وأطع أوامر الملوك، وإلا فسأرغمك على الطاعة بالعذابات الهائلة التي سأنزلها بك.

www.karozota.com

حب– إني لن أطعها ولا أنوي إطاعتها حتى إذا حكمت عليّ بإحكام أقسى مما أمره الملوك.
ح– قسماً بالآلهة أنك إن لم تقدم الذبائح، فإني لن أدع ما هو أقسى وأشد ما لم أعذبك به، ونرى هل يخلصك المسيح الذي تسجد له.
حب– جميع الساجدين للمسيح هم مخلصون بالمسيح لأنهم لا يسجدون للخلائق مع الخالق.
فأمر الحاكم بإضجاعه على الأرض وبضربه بالعصي حتى لم يبق في جسمه موضع صحيح.
حب– إن هذه العذابات التي ظننتها قاسية منها تُظفر أكاليل النصر للذين يحتملونها.
ح– كيف تدعون العذابات راحة والتنكيلات إكليل النصر؟
حب– ليس من شأنك أن تسألني عن هذا، لأنك كافر لا تستحق سماع برهانها. ولكني قلت وأقول إني لن أضحي للآلهة.
ح– إنك تستحق الأحكام التي أنت فيها. فإني أفقأ عينيك اللتين تنظران إلى زُفس دون وجل، وأصم أذنيك اللتين تسمعان شرائع الملوك دون فزع.
حب– إن الله الذي تكفر به ههنا علماً آخر. وهناك تعترف به مرغماً رسط العذابات.
ح– دع عنك العام الذي تذكره، واتهم الآن بالدينونة التي أنت فيها. إذ لا أحد يستطيع أن ينقذك منها إلا الآلهة إذا ما ضحيت لها.
حب– إن الذين يموتون في سبيل اسم المسيح ولا يسجدون للخلائق يجدون حياتهم أمام الله. أما الذين يفضلون الحياة الزمنية، فإن عذابهم يدوم إلى الأبد.
فأمر الحاكم بتعليقه ومشطه إلى أن تمزقت لحمانه. وظل معلقاً مدة طويلة حتى انخلعت مفاصل ذراعيه.
ح– أتطيع الآن وتقدم البخور أمام زُفس؟
حب– إني أقبل هذه الآلام لم أطِعك، والآن وقد تكبدتها كيف تظن أني أطيعك فأخسر ما اكتسبته بها؟
ح– إني مزمع أن أذيقك آلاماً أقسى وأمر، حسب أوامر الملوك، إلى أن أمتثل إرادتهم.
حب– أنت تدينني إني لم أمتثل أوامر الملوك، ولكنك أنت الذي عظّمك الملوك وأقاموك حاكماً قد خالفت أمرهم إذ لم تُنفِّذ في ما أمرك به الملوك.
ح– أفلأني صبرت عليك تقول لي هذا وكأنك تلومني؟
حب– لو لم تعذبني وتسجنني وتمزقني وتضع رجلي في مقطرة لظننت أنك صبرت عليّ. ولكنت إذ فعلت ذلك كله فأين طول أناتك معي؟
ح– لا تجديك هذه الأقوال نفعاً، لأن جميعها ضدك، وهي تجلب عليك عذابات أشد مما أمر به الملوك.
حب– لو لم أحس بنفعها لما قلتها أمامك.

ح- إني سأسكت صوتك في لحظة وأرضي بذلك الآلهة التي لم تسجد لها وأرضي الملوك الذين عصيت أوامرهم.

حب- إني لست أخشى الموت الذي ترهبني به. ولو خشيته لما طفت البيوت في خدمة قضية المسيح.

ح- كيف تسجد لإنسان وتحترمه وأنت لا تريد أن تسجد لزُفس وتكرمه؟

حب- أنا لا أسجد لإنسان، لأنه مكتوب: ملعون من يتكل على إنسان. ولكني أسجد للإله الذي تجسد وصار إنساناً.

ح- اعمل ما أمرك به الملوك، وفكّر حسبما شئت، فإن أردت تخليت عنه، وإن شئت احتفظ به.

حب- لا يمكن تواجد الأمرين سوية، لأن هذا مضاد للحقيقة، كما لا يمكن أن أتخلى عن الفكرة الثابتة في عقلي.

ح- إني سأحملك بعذابات قاسية على التخلي عما قلته مركزاً في عقلك.

حب- إن العذابات التي تظنها قادرة على استئصال الفكرة من عقلي، من شأنها أن تجعل الفكرة أكثر نضوجاً فيه.

ح- وماذا تنفعك العذابات والآلام، لا سيما حينما آمر بإضرام النار فيك دون شفقة؟

حب- ليست نظرتي مثل نظرتك، فإني أتأمل الأمور خفية. ولذلك أعمل بمشيئة الله الخالق وليس بمشيئة الصنم المخلوق وعديم الشعور.

ح- لأنه كفر بالآلهة التي يسجد لها الملوك، لتضف عذابات أخرى إلى عذاباته الأولى. فإنه نسي عذاباته الأولى إذ صبرت عليه واستنطقته.

وكان حبيب عند تمزيق جسمه يصرخ ويقول: "لا توازي آلام هذا الدهر ذلك المجد العتيد أن يظهر في الذين أحبوا المسيح." ولما رأى الحاكم أنه حتى في هذه العذابات لم يشأ التضحية للآلهة، قال له:

ح- أهكذا تعلمكم ديانتم أن تبغضوا أجسادكم؟

حب- إننا لا نبغض أجسادنا، فقد كتب لنا: إن من يهلك نفسه يجدها. ولكنه مكتوب أيضاً: أن لا نعطي القدس للكلاب ولا نلقي الجواهر أمام الخنازير.

ح- اعلم أنك إنما تقول هذا لكي تثير غضبي فأحكم عليك بالموت عاجلاً. ولكني لن أتسرع في الإجابة إلى رغبتك، بل أطيل أناتي، ليس بغية إراحتك، بل لكي يتفاقم ألم عذاباتك وترى لحمك يتناثر أمامك من جراء جرد جنبيك.

حب- إن جل ما أشتاق إليه هو أن تزيد تعذيبي كما قلت.

ح- أطع الملوك الذين لهم السلطة على عمل ما يشاءون.

www.karozota.com

حب- ليس بين البشر من يستطيع عمل كل ما يشاء، إلا الله وحده الذي يشمل سلطانه السماء وسكان الأرض قاطبة، وليس من يؤاخذه ويقول له: ماذا تصنع؟

ح- إن الموت بحد السيف لقليل لجسارتك هذه، لذا فإني مستعد أن آمر بموت أمر من السيف.

حب- إني أتوق إلى ذلك الموت الذي يستغرق مدة أطول من الموت بالسيف، فأصدره عليّ متى ما شئت.

بعد ذلك شرع الحاكم بإصدار حكم الموت عليه، وأعلن أمام حرسه وأعيان المدينة: "أن حبيب هذا الذي كفر بالآلهة كما سمعتم وأهان الملوك، يجب أن تُمحى حياته من تحت الشمس العظيمة هذه، فلا يرى هذا النور رفيق الآلهة. ولو لم يأمر الملوك الأولون بدفن جثث القتلة، لما كان يجب أن تدفن جثة هذا الذي تجاسر إلى هذا الحد. فأمرت بأن يوضع سيرٌ في فمه شأن القتلة، وأن يحرق بنار بطيئة، لكي يزداد عذاب موته".

فأخرجوه من أمام الحاكم والسير في فمه. وكان جميع غفير من سكان المدينة يسير في أثره. وكان المسيحيون يفرحون لثباته في عزمه. أما الوثنيون فكانوا حانقين عليه لأنه رفض تقديم الذبائح للآلهة. واقتادوه من الباب الغربي تجاه المقبرة التي كان عبشلاما بن أبجر قد بناها. وكانت والدته ترافقه متوشحة ثياباً بيضاً. ولما بلغوا الموضع الذي فيه كان مزمعاً أن يُحرق، وقف وصلة قائلاً: "أيها المسيح الملك، يا رب العالمين الحاضر والعتيد، انظروا إني كنت أستطيع الهرب من هذه العذابات ولم أفعل لئلا أتعرض للوقوع بين يدي عدلك. فلتكن هذه النار التي أحرق بها مكافأة أمامك، فأنجو من النار التي لا تنطفئ. فأقبل روحي أمامك بروح لاهوتك، يا ابن الآب المسجود له." وبعد أن صلى، التفت وبارك الجميع، وسلم عليه الرجال والنساء وهم يبكون ويقولون له: "التمس لنا من سيدك أن يمنح شعبه السلام وتجديد كنائسه المستأصلة." وحفر الشرط حفرة وأقاموا فيها "حبيباً" ونصبوا عموداً ليربطوه به. فقال لهم إنه لن يبارح الموضع الذي قيه يحرقونه. وجاءوا بحطب صفّوه حوله، وأضرموا فيه النار حتى فاضت روحه. فأحاط به الرجال والنساء وهم يبكون، ثم سحبوه من النار ولفوه بلفائف من كتان فاخر وعطّروه بأطيب العطور. وأخذوا من حطب محرقته تبركاً. ثم حملوه ودفنوه في ضريح كوريا وشامونا، وهم يرتلون عليه المزامير والمداريش. واشترك في جنازته بعض من اليهود والوثنيين مع الأخوة المسيحيين.

وكان استشهاده يوم الجمعة الموافق الثاني من أيلول (سنة ٣٠٩م).

وفي ذلك الوقت وصلت أخبار تقول أن الملك قسطنطين شرع يخرج من أسبانيا متوجهاً إلى مدينة روما لكي يشن الحرب على ليقينوس المسيطر على المناطق الشرقية من المملكة الرومانية. ولدى ورود هذه الأخبار، خمدت شدة الاضطهاد على المسيحيين...

(أنا تاوفيلس الذي كفرت بإرث آبائي السيء واعترفت بالمسيح، اهتممت بتسجيل أحداث استجواب حبيب، كما كنت قد كتبت استجواب زميليه الشهيدين كوريا وشامونا).

(٧) استشهاد القديسة فبرونيا

كان في عهد الإمبراطور ديوقلتيانس حاكم اسمه أنتيما. فلما أشرف هذا على الموت، دعا أخاه سيلينس وقال له: "يا أخي، إني راحل من هذه الدنيا، واستودعك ابني لوسيماكس. وقد خطبنا له ابنة فرفوريوس، فتقيم له مأدبة العرس وتكون للعريسين بمثابة الأب." وبعد موت أنتيما، دعا الإمبراطور سيلينس وابن أخيه لوسيماكس، وقال لهذا الأخير: "إني أذكر صداقة والدك أنتيما، ففكرت في أن أوليك منصبه. لكني سمعت أنك تميل إلى ديانة المسيحيين، لذا فقد أرجأت الأمر، وأريد أن أرسلك إلى المشرق لكي تقضي على الديانة المسيحية. وسأقيمك حاكماً بعد عودتك من هناك".

ولم يتجاسر لوسيماكس إلى أن يرد الجواب على الملك، لأنه كان ما يزال شاباً في ربيعه العشرين. أما عمه سيلينس، فجثا على قدمي الملك وناشده قائلاً: "ألتمس من جلالتك أن تمهلنا أياماً قلائل ريثما نقيم عرساً لهذا الشاب، ثم أذهب أنا أيضاً معه لتنفيذ أمرك". ولكن الملك قال: "بل اذهبا أولاً إلى المشرق واقضيا على المسيحية، ولدى عودتكما سأهتم أنا بنفسي معكما بإقامة العرس للوسيماكس." فلم يتجاسرا على الرد على الملك. بل امتثلا أمره وذهبا إلى المشرق مع جيش كبير. وأقام لوسيماكس ابن خالته فريمس آمِراً للجيش.

ولما بلغ ما بين النهرين، شرع سيلينس ينكّل بالمسيحيين ويقضي عليهم بالسيف والنار ويرمي بجثثهم للكلاب. فاستولى الرعب على المسيحيين من شراسة سيلينس. وفي إحدى الليالي، دعا لوسيماكس ابن خالته فريمس وقال له: "أنت تعلم أن أبي مات وثنياً، ولكن والدتي ماتت مسيحية، وقد بذلت قصارى جهدها لكي أصير أنا أيضاً مسيحياً. ولكني لم استطع إلى ذلك سبيلاً، خوفاً بل أن أحب المسيح. وحينما أرى كيف يعامل سيلينس الظالم هؤلاء المسيحيين، يتمزق عليهم فؤادي حزناً وأسى. فأريد أن يُطلق سراح المسيحيين سراً." فلما سمع فريمس ذلك، أمر بعدم القبض على المسيحيين، وكان يسبق ويرسل الخبر إلى الأديرة ويوعز إليهم في الهرب من أمام الطاغية سيلينس.

وذات يوم أرادوا الدخول إلى مدينة نصيبين الواقعة على الحدود الفارسية والخاضعة لمملكة الرومان. كان في المدينة دير للراهبات يضم خمسين راهبة برئاسة برّونة. وكان القانون يفرض بألا تقوم الراهبات بعمل يوم الجمعة ما خلا العكوف على الصلاة والقراءة الروحية طوال النهار. وكان الرئيسة تدرّب بنوع خاص راهبتين شابتين، إحداهما تدعى فروقلة

والأخرى فبرونيا. وكانت الأولى في ربيعها الخامس والعشرين، بينما الثانية ما تـزال فـي العشرين من عمرها.

كانت فبرونيا ابنة أخي برونة، وكانت رائعة الجمال. لذا كانت الرئيسة تبذل كل جهدها لكـي تحفظها وتقيها من المعاثر. وبينما كانت الراهبات الأخريات يتناولن الطعام مرة في كل يوم، كانت فبرونيا لا تأكل إلا مرة كل يومين. وكانت تستريح وقت النوم على سرير خشبي طول ثلاث أذرع ونصف ذراع وعرضه ذراع واحدة. وكثيراً ما كانت ترقد على الأرض العـراء في سبيل قمع جسدها. وحينما كانت التجارب تراودها ليلاً، كانت تـنهض وتلـوذ بالصـلاة وبالقراءة الروحية طرداً للهواجس الشريرة. وكانت تحب العلم محبة شديدة، حتى أن الرئيسة والراهبات كن يتعجبن من سعة معارفها.

ولدى اجتماع الراهبات يوم الجمعة للصلاة، كانت الرئيسة توعز إلى فبرونيا في قراءة كـلام الله لهن. ولما كانت نساء علمانيات أيضاً يقصدن الدير أيام الآحاد والجمـع للاشـتراك فـي الصلاة ولسماع القراءة المقدسة، أمرت الرئيسة فبرونيا بأن تقرأ لهن وهي وراء الحجـاب. ورغم ذلك فقد شاع خبرها في المدينة وأخذوا الناس يتحدثون عن علمها وجمالها ووداعتهـا وتواضعها.

وكانت في المدينة امرأة وثنية شريفة تُدعى "أياريا" وقد عاشت مـع زوجهـا سـبعة أشـهر وترملت وعادت إلى ذويها الوثنيين لتعيش معهم. وما أن بلغها خبر فبرونيا، حتى ذابت شوقاً إلى رؤيتها. وفي أحد الأيام جاءت إلى الدير وطلبت أن تواجـه الرئيسـة. ولمـا حضـرت الرئيسة، جثت أياريا عند قدميها وقالت لها: "استحلفك بالله خالق السماء والأرض ولا تنفـري مني لكوني ما زلت وثنية نجسة وألعوبة للشياطين، ولا تحرميني من صحبة فبرونيا وتعليمها، فالتقى بواسطتكن طريق الخلاص وأفوز بما هو معد للمسيحيين. أنقذيني من بطلان هذا العالم ومن عبادة الأصنام النجسة، فها أن والديّ يرغماني على زواج آخر. فكفـاني عـذابي مـن ضلالي الأول، وأريد الآن أن أحصل على الحياة بواسطة تعليم أختي فبرونيا وصحبتها".

كانت "أياريا" تقول هذا وهي تبلّل قدمي الرئيسة بدموعها، حتى تحننت عليها الرئيسة وقالـت لها: "يعلم الله، أيتها السيدة أياريا، إني تقبلت فبرونيا وهي في ربيعها الثاني. وقد أمضت الآن ثماني عشرة سنة في هذا الدير دون أن ترى وجه رجل ولا الزي العالمي. وحتى مربيتها لم تشاهد وجهها منذ ذلك الحين، رغم إلحاحها ودموعها، فإني لا أسمح بأن يكون لها عشرة مع العلمانيات. ولكن بالنظر إلى محبتك الشديدة لله ولها، أدخلك عندها، على أن تتوشحي بـالزي الرهباني. فلما دخلت أياريا على فبرونيا بهذا الزي، ظنتها راهبة غريبة أتت عندها، فجثـت عند قدميها إكراماً لها. وبعد السلام، أمرت الرئيسة بأن فبرونيا كتاباً وتقرأ لها فيه. فامتلأ قلب

أياريا حزن وندامة، حتى أمضت كلتاهما الليل كله دون نوم: لم تكف فبرونيا عن القراءة، ولم تشبع أياريا من تعليمها، وهي تتنهد باكية متحسرة.

وفي الصباح، لم تستطع الرئيسة إلا بجهد جهيد إقناع أياريا بالعودة إلى منزلها.. وما أن بلغت إلى ذويها حتى أخذت تحضرهم على الابتعاد عن الابتعاد عن عبادة الأصنام وعلى الإقبال على معرفة الإله الحق. وبعد إنصراف اياريا، سألت فبرونيا نائبة الرئيسة توماييس وقالت لها: "التمس منك يا أماه أن تقولي لي من هي هذه الأخت الغريبة التي سكبت هذه الدموع وكأنها لم تسمع من قبل كلام الله؟" فقالت لها توماييس: "ألا تعرفين هذه الأخت؟" فأجابتها فبرونيا: "ومن أين لي أن أعرفها وهي غريبة؟" فقالت لها توماييس: "إنها الشريفة أياريا." فقالت فبرونيا: "لماذا إذن خدعتني فخاطبتها كأخت؟" فقالت لها توماييس: "إن سيدتنا رئيسة الدير شاءت ذلك".

وبعد مدة وجيزة داهم المرض فبرونيا واشتدت عليها وطأته. ولما سمعت أياريا بمرضها، جاءت إليها ولم تفارقها إلا بعد أن استعادت عافيتها.

في تلك الأيام، شاع الخبر في مدينة نصيبين أن سيلينس ولوسيماكس قادمان إليها ليرغما المسيحيين على تقديم الذبائح للأصنام. فترك جميع المسيحيين والأقليروس والرهبان مساكنهم ولاذوا بالفرار، واختبأ مطران المدينة نفسه من الخوف. ولما بلغ الخبر مسامع الراهبات، اجتمعن عند الرئيسة وقلن: "ماذا نفعل يا أماه؟ فقد وصل المضطهدون إلى هنا أيضاً، والجميع يفرون من أمامهم." فقالت الرئيسة: "وماذا تردن أن أصنع لكن؟" فأجبنها: "أن تأمرينا بالاختباء مدة لإنقاذ أنفسنا." فقالت الرئيسة: "أوتتفكرن في الهرب ولما تشاهدن غمار الحرب؟ أوغُلِبْتَنَّ ولما تدخلن في النضال؟ لا يا بناتي، أنا لا أريد منكن هذا، بل علينا أن نصمد في الجهاد وإن نموت في سبيل ذاك الذي مات لأجلنا، لكي نحيا معه أيضاً".

ولما سمعت الأخوات هذا الكلام، خلدن إلى الصمت والهدوء. وفي اليوم التالي، قالت لهن إحداهن واسمها "إيثاريا": "إني أعلم أن رئيستنا لا تتركنا نغادر المكان لأجل فبرونيا. ولعلها تريد أن نهلك جميعاً بسببها. فأرى أن ندخل عليها، وأنا سأكلمها عنكن بما ينبغي." فاقتنع بعض الراهبات بهذا الكلام. وغيرهن استنكرن هذه النصيحة. وسادت الفوضى في الدير. وأخيراً اجتمعن كلهن وأتين إلى الرئيسة ليستطلعن رأيها. أما الرئيسة التي علمت ما قالته "إيثاريا، فنظرت إليها وقالت لها: "ماذا تبغين، يا أختي إيثاريا؟" فأجابتها: "مُري بأن نَختَبئ ونفر من أمام الغضب القادم. فنحن لسنا خيراً من الأقليروس ومن الأسقف فكّري أن بيننا من هن شابات. فقد يختطفهن الجنود الرومان ويتعرضنّ لتدنيس أجسادهن فيخسرن أجر زهدهن، أو لعلنا لا نستطيع احتمال العذابات فنجحد الإيمان ونصبح أضحوكة للشياطين ونفقد نفوسنا. فإذا أمرتنا بالهرب، فإننا نأخذ معنا فبرونيا أيضاً وننطلق".

وحينما سمعت فبرونيا هذا الكلام، قالت لهن: "لعمر المسيح الذي خُطِبتُ له وقدّمت له ذاتي، لن أغادر هذا المكان، وليكن ما شاء الله." وقالت الرئيسة: "يا إيثاريا، أنت تعرفين ما صنعت، وأنا بريئة من ذلك." ثم قالت للأخوات: "كل منكن تدري ما الأصلح لها، فلتختر ما تشاء." وكان الخوف قد استحوذ عليهن، فخرجن من الدير، بعد أن صلين وودعن الرئيسة وفبرونيا وبحزن بالغ وبكاء مر. أما أفرقلة التي تربت مع فبرونيا فعانقتها وأخذت تبكي وتقول: "وداعاً فبرونيا: وصلي لأجلي." وأمسكت فبرونيا بيديها ومنعتها من الخروج وقالت لها: "خافي الله، يا أفرقلة، ولا تتركينا أنت أيضاً، ألا ترين أني ما أزال مريضة؟ وقد أموت ولا تستطيع الرئيسة وحدها أن تدفنني. فامكثي عندنا، حتى إذا مت تواريني التراب." فقالت أفرقلة: "ما دمت قد أمرتني، يا أختي، فلن أتركك." وقالت لها الرئيسة: "هذا قد وعدت أمام الله بأنك لن تتركينا." ولكن ما أن حل المساء. حتى غادرت أفرقلة الدير لاحقة بالأخريات.

ولما رأت الرئيسة أن الدير قد خلا من الراهبات، دخلت المعبد وارتمت على الأرض وأخذت تصرخ وتبكي. وكانت توماييس نائبتها جالسة بجانبها تعزيها وتقول: "كفي يا أماه، فإن الله قادر أن ينقذنا من هذه المحنة. فمن ذا الذي آمن بالله وخزي؟ ومن تمسك بعبادته وهو تخلى عنه؟" فأجابتها الرئيسة: "أجل يا توماييس، إني أدري أن الأمر كذلك، ولكن ماذا أصنع بفبرونيا؟ وأين أخبئها وأنقذها؟ وكيف أنظر إليها إذا اختطفها البرابرة؟" فقالت لها توماييس: "أنسيت ما قلته لك؟ إن القادر على إحياء الموتى يستطيع أيضاً أن يقوّي فبرونيا ويخلصها فكفي عن البكاء، ولنمض لنشجع فبرونيا التي ما زالت تعاني من المرض".

وما أن بلغت الرئيسة إلى الدكة التي كانت فبرونيا راقدة عليها حتى ارتفع نشيجها واحتضنتها وهي تذرف الدموع مدراراً. وحينما رأتها فبرونيا على تلك الحال، قالت لتوماييس: "أناشدك يا أماه أن تقولي لي ما هو سبب بكاء أمنا الرئيسة؟ فلقد سمعت صراخها قبل قليل وهي في المعبد." فأجابتها توماييس باكية: "يا ابنتي فبرونيا، إنما رئيس الدير تبكي وتتنهد من أجلك، بالنظر إلى المحن المزمعة أن تأتينا من الظالمين. وهي تحزن عليك لكونك صبية حسناء." فقالت فبرونيا: "ألتمس منكما أن تصليا من أجلي فقط، فلعل الله ينظر إلى دلّي فيقويني ويوليني الصبر، كما فعل للذين أحبوه".

فقالت توماييس: "يا ابنتي فبرونيا، هوذا زمان الجهاد. فإذا قبض الجنود علينا، فإنهم سيقتلوننا أنا والرئيسة سريعاً لكوننا عجائز. أما أنت الشابة الجميلة فيمهلونك ويحاولون إغراءك بكلمات عذبة واستمالتك بالذهب والفضة. فحذار يا ابنتي من أن تنقادي إليهم فتفقدي أجر سنين التي أمضيتها في الرهبنة وتصيري أضحوكة للشياطين والوثنيين. فلا شيء أكرم عند الله من البتولية. وعريس البتولات غير مائت وهو يولي الخلود للذين يحبونه. فحاولي يا فبرونيا أن تنظري إلى ذلك الذي خصصت به ذاتك، ولا تنكثي عهدك، فما أرهب ذلك اليوم الذي فيه

يكافأ كل حسب أعماله!" فلما سمعت فبرونيا هذا الكلام، تشجعت وهيئات نفسها لمجابهة الشيطان، وقالت لتومايس: (أحسنت يا سيدتي بإسدائك النصح إلى خادمتك. فإنني قد تقويت كثيراً بكلامك. فلو أردت الهرب من الجهاد، لغادرت المكان أنا أيضاً مع أخواتي وأختبأت. ولأنني أحب ذاك الذي خصصت له ذاتي، فإنها مهتمة بالذهاب إليه إذا جعلني أهلاً للتألم والجهاد في سبيله."

فلما سمعت الرئيسة هذا الكلام،شرعت هي أيضاً تبذل النصح لفبرونيا وتقول: "اذكري كيف أنقدت لتعليمي، اذكري أنك كنت تعلمين الأخريات أيضاً، اذكري أنك اقتبلت من مربيتك وأنت في الثانية من سنك، وحتى الآن لم يشاهد رجل وجهك، ولم أدعك تصاحبين العلمانيات. فلقد حفظتك إلى اليوم يا ابنتي، كما تعلمين. أما الآن فما العمل؟ فلا تعرضي شيخوختي للهوان وتجعلي تعب أمك الروحية باطلاً. اذكري المجاهدين الذين سبقوك واستشهدوا بنوع مجيد ونالوا إكليل الظفر من الله.ولم يكونوا من الرجال حسب، بل من النساء والصبيان أيضاً. اذكري لولبه ولاونيدة اللتين استشهدتا: فقد تكللن لولبة بالسيف وأحرقت لاونيدة بالنار. اذكري كيف استشهدت الصبية طروفية مع والدتها وهي في الثانية عشرة من سنها. أما كنت دوماً تتعجنين من صبر طروفية واحتمالها، حينما أمر الحاكم برشقها بالسهام وهي طليقة تخاف من السهام وتهرب، فسمعت أمها تقول لها:" لا تهربي يا ابنتي طروفية. فشدت يديها من الوراء ولم تهرب، بل أصيبت بسهم وسقت على الأرض وماتت، ولم تخالف أمر أمها؟ ألم كنت تعجبين دوماً بصبرها وطاعتها؟ وكانت هي صبية جاهلة، في حين لك كنت تعلمين الأخريات.) ولم تزل تخاطبها بمثل هذه الأقوال حتى انقضى الليل.

وما أن أشرقت الشمس اليوم التالي، حتى علا ضجيج سكان المدينة وسادت فيها الفوضى حينما احتلها سيلنس ولوسيماكس. وقبض العساكر على مسيحيين كثيرين وأودعوهم السجن. وأخبر بعض الوثنيين سيلينس بشأن الدير. فأرسل إليه جنوداً كسروا الأبواب ودخلوا وقبضوا على برونة وهم بعضهم بقتلها على الفور. ولما رأت فبرونيا الخطر المداهم، نهضت وارتمت على أقدام الجنود وصرخت بصوت عال وقالت: "استحلفكم بإله السماء أن تقتلوني أولاً فلا أرى موت سيدتي." ولما أقبل فريمس ورأى ما صنعه الجنود، غضب عليهم جداً وأمرهم بالخروج من الدير. ثم قال للرئيسة: (أين ساكنات هذا الموضع؟) فأجابته: "لقد غادرن الموضع خوفاً منكم" فقال لها فريمس: "ليتكن أنتن أيضاً نجوتن بأنفسكن. ولديكن المجال أيضاً للهرب حيثما تشأن." ثم غادر الجيش الروماني الدير دون أن يترك فيه حراساً.

ولما عاد فريمس إلى لوسيماكس، سأله هذا: "أحق هو ما بلغنا عن ذلك الدير؟" أجابه فريمس: "أجل، حق هو". ثم تنحى بلوسيماكس وقال له: "وجميع ساكنات الدير قد هربن، ولم نجد فيه سوى عجوزين وشابة. إلا إن العجب اعتراني لما شاهدته في ذلك الدير، فقد رأيت شابة لم أر

نظيرها قط ولم أر في النساء جمالاً يضاهي جمالها. وتعلم الآلهة إني حينما شاهدتها راقدة على الدرج تولاني الانذهال. ولولا كونها مسكينة وبائسة، لأستحقت أن تكون زوجة لسيدي." فقال لوسيماكس: "إذا أوصيت بعد سفك دم المسيحيين بل أن أكون محباً للمسيح، فأني لي أن أسيء إلى الذين هو للمسيح؟ فحاشا لي أن أفعل ذلك. والآن أطلب منك يا سيدي فريمس أن تخرجهن من هناك وتخلصهن لئلا يقعن في قبضة عمي سيلينس العديم الرحمة." إلا أن أحد هؤلاء الجنود ذهب إلى سيلينس وقال له: "لقد رأينا في الدير شابة رائعة الجمال، وها أن فريمس يتحدث إلى لوسيماكس بشأن الزواج منها." فلما سمع سيلينس هذا الكلام، احتدم غيظاً وأقام حراساً على الدير لمنع الراهبات من الهرب ثم أمر فنادوا في المدينة: "غداً ستدان فبرونيا علناً في الملعب." ولما سمع سكان المدينة وضواحيها هذا الأمر، توافدت جموع من الرجال والنساء لكي يشاهدوا جهاد فبرونيا.

وفي اليوم التالي، ذهب جنود إلى الدير واختطفوا فبرونيا من الدكة التي كانت راقدة عليها، وقيدوها بالسلاسل وكبلوا عنقها بطوق من حديد ثقيل، وجروها وأخرجوها من الدير، أما برونة وتومايس فتشبثتا بفبرونيا وتوسلتا إلى الجنود ببكاء بأن يتيحوا لهما التحدث إليها قليلاً. فاستجاب الجنود إلى طلبهما وأمهلوهما. ثم توسلتا إليهم أن يذهبوا بهما أيضاً إلى الجهاد، لكي لا تترك فبرونيا وحدها لئلا يداخلها خوف. إلا أن الجنود أجابوهما: "إننا لم نتلق أمراً بشأنكما بل بشأن فبرونيا وحدها." وإذ ذاك شرعتا تشجعان فبرونيا. فقالت لها برونة: "يا ابنتي فبرونيا، ها إنك ماضية إلى الجهاد. ففكري إن العريس السماوي ينظر إلى نضالك، وإن القوات السماوية تحمل إكليل الظفر وتقف أمامه وهي منتظرة نهاية جهادك. فلا تخافي مكن العذابات لئلا تصبحي مهزلة لشياطين، ولا تشفقي على جسدك الذي سينحل من الضربات. فعلى هذا الجسد أن ينحل بعد قليل ويستحيل تراباً في القبر. فأنا باقية في الدير حزينة ومنتظرة أن يأتيني منك خبر ساراً كان أم محزناً. وأرجو يا ابنتي أن تأتيني عنك بشرى سارة. فمن ذا يقول لي إن فبرونيا أسلمت نفسها للعذاب. ومن ذا يبشرني إن فبرونيا أنجزت جهادها وأحصيت في عداد شهداء المسيح!"

فقالت فبرونيا: "ثقتي بالله، يا أماه، إني لن أخالف الآن أوامرك ونصائحك، كما إني لم أخالفها قط. وسترى الشعوب وينذهلون ويعطون الطوبى لشيخوخة برونة قائلين: "إنها النبتة التي غرستها يد برونة حقاً. وسأظهر في جسد النساء عزيمة الرجال وبأسهم. فأتركيني لأذهب." فقالت تومايس: "حي هو الرب، يا ابنتي فبرونيا، إني سأرتدي الزي العلماني وآتي لمشاهدة جهادك." وإذا كان الجنود بالبركات يعجلون في الذهاب بها، قالت لهما فبرونيا: "التمس منكما، يا والدتي، أن تزوداني بالبركان وأن تصليا لأجلي وأن تتركاني لأذهب." فمدت برونة يديها نحو السماء ورفعت صوتها وقالت: "أيها الرب يسوع المسيح، أنت الذي ظهرت لأمتك تقلا

كما ظهرت لبولس، التفت أيضاً إلى هذه المسكينة في وقت الجهاد." قالت هذا وعانقت فبرونيا وقبلتها، ثم تركتها تمضي. فاقتداها الجنود، بينما عادت برونة إلى الدير ودخلت المعبد وارتمت على الأرض وأخذت تبتهل إلى الله بالحزن والدموع وتتضرع إليه من أجل فبرونيا.

أما توماييس، فقد لبست الزي العلماني وخرجت لمشاهدة الجهاد. وكذلك فعلت جميع النساء العلمانيات اللواتي كن يأتين الدير يوم الجمعة ويسمعن قراءة الكتب المقدسة، وهن باكيات وقارعات صدورهن ومتوجهات إلى موضع المشهد. ولما سمعت الشريفة أياريا إن الراهبة فبرونيا ستدان في المحكمة، قامت وأخذت تبكي بمرارة، حتى إن والديها وأهل بيتها انذهلوا وسألوها عن السبب. فأجابتهم: "إن أختي فبرونيا نزلت إلى المحكمة، ومعلمتي تدان ويحكم عليها لكونها مسيحية." وقد نشادها ذووها بالكف عن الحزن، ولكنها كانت تزداد أسى وبكاء وتقول لهم: "دعوني أبكي على أختي ومعلمتي فبرونيا." حتى إنها حملت ذويها على الحزن على فبرونيا، وطلبت منهم أن يأذنوا لها بالذهاب لمشاهدة الجهاد. واصطحبت معها الكثير من العبيد والإماء ونزلت مسرعة إلى الساحة باكية، وسبقت في طريقها جماعات من النساء اللواتي كن ذاهبات إلى هناك حزينات. وصادفت في دربها توماييس فعرفتها، فأنطلقت سوية إلى موضع المشهد بحزن وبكاء.

حينما اجتمع جمهور غفير في ذلك الموضع، أقبل سيلينس ولوسيماكس أيضاً وجلسا على المنصة، ثم أمر بإدخال فبرونيا. فأحضرت ويداها موثوقتان وفي عنقها طوق حديدي ثقيل. ولما رآها الجمهور، تصاعدت الزفرات. وقامت فبرونيا في الوسط، وأمر سيلينس بالسكوت، ثم قال للوسيماكس: "اطرح أنت الأسئلة عليها". فقال لها لوسيماكس: "قولي لي يا بنت، ماذا أنت؟ أجارية أم حرة" فأجابته فبرونيا: "إني أمة". فقال لها: "أمة من أنت؟" أجابت: "أمة المسيح" فقال لها: "وما أسمك؟" أجابت: "إني مسيحية مسكينة." فقال لها: "أريد أن أعرف أسمك." فأجابت: "لقد قلت لك إني مسيحية مسكينة. وإذا أردت معرفة اسمي، فسيدتي تدعوني فبرونيا."

وإذ ذاك أسكت سيلينس لوسيماكس، وشرع هو ذاته يستنطق فبرونيا. فقال لها: "تعلم الآلهة، يا فبرونيا، إني لم أكن أود استنطاقك. فإن وداعتك وتواضعك وجمالك الرائع أخمد غضبي عليك. ومن ثمة لا أوجه السؤال إليك كمذنبة، بل أسألك كأبنتي الحبيبة. فاسمعي يا ابنتي، لقد انفقنا مالاً كثيراً لخطوبة لوسيماكس أنا وأخي أنتيمس. ولكني اليوم أفسخ هذه الخطوبة مع إبنة فرفوريوس، وأبرم عهداً معك لتصبحي زوجة لسيدي لوسيماكس الذي أنا جالس عن يمينه، وهو شاب جميل مثلك. فاسمعي نصيحتي أنا أباك فأجعلك ذات شأن عظيم على الأرض، ولا تخافي من كونك فقيرة. فأنا لم يبقى لي امرأة وأولاد، وكل ما أملكه أسجله باسمك وأجعلك سيدة جميع أموالي وأهبك إياها مهر. فأكون أنا بمثابة أب لك وللوسيماكس. وستكونين كريمة

على الأرض وستغبطك جميع النساء على مقامك الرفيع، وسيرفع ملكنا الظافر شأنكما ويهبكما الكثير من الهبات. فقد وعد أن يعين لوسيماكس في منصب الحاكم الرفيع. والآن ردي علي أنا أباك جواباً يرضي الآلهة ويفرحني. أما إذا قاومت إرادتي ولم تخضعي لكلماتي، فتعلم الآلهة إنك لم تعيشي ثلاث ساعات بين يدي. فأجيبيني بما تشائين."

فقالت فبرونيا: "أيها الحاكم، إن لي في السماء خدراً لم تصنعه أيادي البشر، وعرساً لا يزول، ومهراً قوامه ملكوت السماء، وعريساً غير مائت ولا يزول ولا يتغير، ومعه سأنتعم إلى الأبد. لذا فإني لا أريد أن أسمع ما تقوله عن مساكنتي لرجل مائت وقابل الفساد. فلا تجهد نفسك، أيها الحاكم، إذ لن تحصل مني على شيء لا بالوعد ولا بالوعيد." فلما سمع الحاكم هذه الأقوال، احتدم غيضاً وأمر الجنود بتمزيق ثيابها وبتوشيحها رقعاً بالية وإيقافها على تلك الحال من الهوان والعراء أمام الجميع، لكي ترى ذاتها على تلك الحال فتعطي الويل لنفسها. وسرعان ما مزق الجنود ثيابها وشدوا لها خرقاً باليو وأوقفوها عارية أمام الجميع. فقال لها سيلينس:

"ماذا تقولين يا فبرونيا؟ ترين من أي خيارات هويت وإلى أي هوان انحدرت؟" فأجابت فبرونيا: "اسمع أيها الحاكم، فلو أنك عريتني تماماً من ثيابي، لما حسبت هذا هواناً. لأن صانع الذكور والأناث واحد. وإني لست تائقة إلى التعري من الثياب حسب، بل أنا مخيئة متهيئة أيضاً لعذاب النار والسيف إن كنت أهلاً لأتألم في سبيل ذاك الذي تألم من أجلي."

فقال سيلينس: "أيتها الوقحة والمستحقة كل الهوان، إني أعلم إنك فخورة بجمال أعضائك، فلا تحسبين عريك خجلاً وهواناً، بل فخراً". فأجابته فبرونيا: (اسمع أيها الحاكم، يعلم الله سيدي إني لم أر وجه رجل حتى الآن. ولأني وقعت بين يديك دعيت وقحة بلا حياء؟ ولكن قل لي أيها الحاكم الجاهل وعديم الإحساس، هل من مجاهد ينزل إلى حبة الألعاب الأولمبية وهو متوشح بثيابه؟ ألا يقف عارياً في الجهاد إلى أن يتغلب على منافسه؟ أما أنا فأنتظر العذابات والنار، فأنى لي أن أصارع وأنا لابسة ثيابي؟ أما ينبغي لي أن أجابه العذاب وأنا عارية إلى أن أنتصر على الشيطان أبيك وأحتقر عذابك وتهديداتك؟" فقال سيلينس: "إنها لقد صارت هي سبب عذاباتها، ولأنها استخفت بالتهديد والنار، فمدوها على الأرض، وأضرموا النار تحتها، وليتقدم أربعة جنود ويجلدوا ظهرها بقضبان" فامتثلوا أمره وأخذوا يضربونها مدة طويلة حتى تفجر الدم من ظهرها وتساقطت قطراته على الأرض كالمطر. وكانت النار تضطرم وتحرق أحشاءها وهم يذكونها بالزيت ليزداد لهيبها وتلتهم جسد فبرونيا. وبينما كانوا يضربونها مدة طويلة دون شفقة، كان الشعب كله يصرخ ويناشد الحاكم ويقول: "أيها الحاكم محب البشر، أشفق على هذه الصبية." ولكنه لم يرضخ، بل أمر بضربها أكثر. وحينما رأى جسدها تمزق

وإن لحمانها أخذت تتناثر على الأرض مع الدم، أوعز في الكف عن ضربها، فألقوها خـــارج النار ظانين إنها قد فارقت الحياة.

ولما شاهدت تومايس ما حل بفبرونيا من الشدائد، أغمي عليها وسقطت علـــى الأرض عنـــد قدمي أياريا. وصاحت أياريا بصوت عال وقالت: "وا أختاه فبرونيا! وا سيدتي ومعلمتي! إننا قد حرمنا اليوم ليس من تعليمك حسب، بل من تعليم تومايس أيضاً التي تمـــوت الآن." ولمـــا سمعت فبرونيا صوت أياريا، وهي ملقاة على الأرض، طلبت من الجنود أن يرشوا وجههـــا بماء. ولما فعلوا، استفاقت وطلبت مشاهدة أياريا. أما الحاكم فأكر أن تقوم وتعطي الجـــواب، فقال لها: "ماذا تقولين يا فبرونيا، وكيف خضت النزال الأول؟" فأجابته فبرونيا: "لقد علمت من الخبرة الأولى إني لا أغلب وإني أحتقر عذاباتك!" فقال سيلينس: "علقوها على خشبة، وأجردوا جنبيها بأمشاط حديدية، ثم اضرموا النار فيها حتى تحرق عظماها أيضاً." فأنجز الجنود أمره، ومشطوها حتى تأثرت لحمانها مع دمها على الأرض، ثم أدنوا منها النار، وأحرقوا جنبيهـــا فقالت فبرونيا وعيناها شاخصتان إلى السماء: (هلم يا رب إلى معونتي، ولا تتخل عني فـــي هذه الساعة." ثم سكتت من فرط عذاب النار.

وكثير من المشاهدين غادروا الموضع مستائين من قساوة سيلينس. وكان آخرون يصـــيحون ويطالبون الحاكم برفع النار عنها. فأمر برفع للنار عنها، وشاء أن يستجوبها وهي معلقة على الخشبة. وإذ لم تستطع الإجابة، أمر بإنزالها وشدها على عمود آخر لكونهـــا عـــاجزة عـــن الوقوف على رجليها. ثم أمر بإحضار طبيب وقال له: "لأن هذه اللعينـــة النجســـة لا تريـــد الجواب على محكمتنا، فليقطع لسانها. فأخرجت فبرونيا لسانها وناشدت السياف أن يقطعـــه. وإذ هم هذا على قطع لسانها، صرخ الجمع كله وناشد الحاكم ألا يقطعه، فأمر اللعين سيلينس بأن تقلع أسنانها. وشرع الطبيب يقلع أسنانها ويرمي بها على الأرض، ولما قلع سبعاً منهـــا، وأخذ الدم يجري من فمها بغزارة، أمره الحاكم بإيقاف النزيف، إذ أغمي على فبرونيـــا مـــن جراء ذلك. فوضع الطبيب دواء في فمها وأوقف النزيف.

ثم سألها سيلينس: "ماذا تقولين، يا فبرونيا؟ أفلا تخضعين الآن أيضـــاً للمحكمـــة وتعتـــرفين بالآلهة؟" فأجابته فبرونيا: "قبحك الله أيها الشيخ اللعين الشرير، لأنك تصدني عن الذهاب إلـــى عريسي، فأسرع وأخرجني من هذا الجسد، فها أن حبيبي ينتظرني." فقـــال ســـيلينس: "إنـــي لأحطم جسدك شيئاً فشيئاً بالنار والسيف، فما زال حماس شبابك يفضي بك إلى الوقاحة." ولم تستطع فبرونيا أن تجاوب لفرط الآلام. فازداد غضب سيلينس وأمر الطبيب بقطع تدييها. فلما أخذ الطبيب سكيناً ودنا من فبرونيا، تعالى صراخ الجموع وناشدوا الحاكم أن يجنب الصـــبية هذا العذاب. إلا إن الحاكم غضب على الطبيب وقال له: "اقطع أيها اللعين الغريب عن حيـــاة الآلهة". فأخذ الطبيب السكين وشرع يقطع ثديها الأيمن. فرفعت فبرونيا صوتها إلى الســـماء

وصرخت بألم عظيم وقالت: "أيها الرب إلهي، إنظر إلى ما أنا فيه من الشدة والظلم، وأقبل نفسي". ثم سكتت.

ولما قطع الطبيب ثديها ورما بها على الحضيض، أمر الحاكم بإحراق موضعيهما. وما زالوا يحرقونها حتى ولجت النار إلى إدخالها بحيث أن الجموع اشمأزت من هذه العذابات الخالية من كل رحمة، فغادرات الموضع وهي تقول: "اللعنة على ديوقلتيانس وآلهته". فأرسلت توماييس وأياريا فتاة إلى الدير لتطلعا برونة على ما جرى، وأوصتا الفتاة بأن تقول لبرونة ألا تكف عن الصلاة والتضرع إلى الله لأجل فبرونياغلى توجد في وسط آلام هائلة. ولما تلقت برونة هذه البشرى، أخذت تبتهل إلى الله وتقول: "أيها الرب يسوع المسيح، هلم إلى مساعدة أمتك فبرونيا." وطرحت على الأرض على الأرض مدة طويلة وهي تصلي وتقول: "وا ابنتي فبرونيا، وا ابنتي فبرونيا، أين أنت؟" وعادت الفتاة إلى موضع المشهد، بينما كفت برونة على الصلاة والتضرع إلى الله وهي تقول: "يا رب، انتظر إلى تواضع أمتك فبرونيا وهلم إلى مساعدتها، لكي ترى عيناي إن فبرونيا تكللت وأحصيت مع الشهداء الطوباويين."

بعد ذلك أمر الحاكم بحل فبرونيا من العمود، فهوت على الأرض لكونها عاجزة عن الوقوف. وإذ ذاك قال فريمس للوسيماكس: "لماذا تهلك هذه الصبية؟" فقال له لوسيماكس: "دعها يا سيدي فريمس، فإنها تجاهد في سبيل خلاص كثيرين، وربما لخلاصي أيضاً. فإني سمعت من والدتي أموراً كثيرة مشابهة لهذه. أليس لي سلطة لأحلها وأطلقها؟ ولكن دعها تنتصر، لأنها تجاهد لأجل خلاص كثيرين." أما أياريا فقامت وصرخت على الحاكم وقالت: "يا عديم الإنسانية، ألم تكفك العذابات التي أنزلتها بهذه الصبية المسكينة؟ ألم تتذكر والدتك التي كانت لها مثل هذا الجسد؟ ألم تتذكر إنك رضعت بعد ميلادك مثل هذيين الثديين حتى لغت إلى قامتك الحالية؟ إني لمتعجبة كيف لم يؤثر قلبك الخالي من الرحمة. فلا يشفقن عليك الملك السماوي، كما إنك لم تشفق على هذه المسكينة." فاحتدم الحاكم غيظاً على أياريا عند سماعه هذا الكلام منها، وأمر بإنزالها هي أيضاً إلى المحكمة. فلما سمعت أياريا، أسرعت في النزل فرحة وهي تقول: "يا إله فبرونيا، اقبلني أنا الوثنية المسكينة أيضاً مع سيدتس فبرونيا."وبينما كانت نازلة، نصح تلحاكم بعض أصدقائه وقالوا له ألا ينزل أياريا إلى الجهاد وإلا فسيستشهد الشعب كله معها فتخلو المدينة من سكانها. ففعل بنصيحة أصدقائه ولم ينزلها. ولكنه قال لها بغضب شديد: "إسمعي يا أياريا، بحياة الآلهة، لقد صرت سبب شدائد أخرى كثيرة لفبرونيا." وعلى الفور أمر بأن تقطع يدا فبرونيا ورجلها اليمنى. فجلب فعلة الشر سنداناً وقطعوا فوقه بفأس يدها اليمنى ثم اليسرى، ثم وضعوا عليه رجلها اليمنى وضربها الجلاد بفأسه ولكنه لم يستطع بترها، وحاوزل ثانية ولم يفلح، وفي المرة الثالثة بترها بجهد. أما الطوباوية فكان جسمها كله يرتعد وأوشكت أن تلفظ أنفاسها الأخيرة، وهي تحاول أن تضع رجلها الأخرى

أيضاً فوق السندان وتناشد الجلاد أن يبترها. ولما رآها الحاكم قال: "عاينوا صبر هذه الوقحة!" وبغضب شديد أوعز الجلاد في قطعها.

وحينما قطع رجلها الأخرى أيضاً، نهض لوسيماكس وقال لسيلينس: "أبقي لك شيء آخر تفعله بهذه البائسة؟ فلنمض الآن وقد حان وقد الغداء." أما سيلينس الأثيم فقال: "بحياة الآلهة، إني لن أتركها حية، بل أكون ههنا حتى تموت." فغاصت فبرونيا نزاع طويل، وقال سيلينس للجلادين: "أما زالت هذه اللعينة حية؟" فأجابوه: "أجل، ما زال فيها رمق من الحياة. "فأمر سيلينس بقطع رأسها. فأخذ الجلاد سيفاً وأمسك بشعر فبرونيا ونحرها كما تنحر الشاة، وإذ ذاك قام الحاكم وذهبوا لتناول الغداء، وكان لوسيماكس يسير وعيناه مغرورقتان بالدموع، وهم الجمع باختطاف جسد فبرونيا. إلا أن لوسيماكس أوعز إلى بعض الجند الرومان في حراسة جثتها، أما هو فقد اعتراه حزن عميق وخنقته العبرات، ولم يستطيع إلى تناول الطعام والشراب سبيلاً، بل انزوى في الغرفة واستسلم إلى الحزن على مقتل فبرونيا، وعلم عمه سيلينس إن لوسيماكس متضايق، فلم يأكل هو أيضاً ولم يشرب، بل قام وأخذ يتمشى في فناء الولاية، وبينما هو يتمشى وقد أخذ منه الأسى مأخذه، نظر بغتة إلى السماء وظل وقتاً منذهلاً، ثم صرخ كالثور، ووثب وضرب رأسه بأحد العواميد فسقط ميتاً.

وإذ ذاك على الضجيج وسادت الفوضى في دار الولاية، وأقبل لوسيماكس مسرعاً ووقف عند جثة عمه وسأل عن القضية، فأخبروه بالأمر. فهز لوسيماكس رأسه وقال: "ما أعظم إله المسيحيين! فقد انتقم الله لدم فبرونيا الذي سفك ظلماً." قال هذا وأمر بإخراج سيلينس. ثم دعا فريمس وقال له: "أستحلفك بإله المسيحيين ألا تخالف أمري، بل أمر سريعاً بصنع صندوق لفبرونيا من خشب فاخر، ثم أرسل من ينادي في المدينة إن بوسع جميع المسيحيين أن يأتوا لتشييع جثمان فبرونيا دون خوف، ولا سيما إت عمي الطاغية قد قضى نحبه. أما أنت يا سيدي فريمس. فخذ ما شئت من الجنود، وليحملوا جثمان فبرونيا إلى الدير عند برونة. ولا تدع أحداً من الجمهور يختطف شيئاً من جسدها المقدس أو من أعضائها المبتورة ولا يلعق كلب أو أي حيوان من الحيوانات النجسة من الدم الذي سفكته القديسة، بل احفروا حتى التراب الذي فوقه سفك دمها واحملوه إلى الدير."

وأنجز فريمس ما قاله لوسيماكس. فأمر الجنود بحمل جسد فبرونيا. أما هو فأخذ رأسها ورجليها ويديها وجميع الأعضاء التي بترت من جسم الطوباوية، ولفها بردائه ثم مضوا إلى الدير. وكانت الجموع تتراكض وتحاول اجتطاف شيء من أعضاءها المبتورة. وازداد الازدحام على فريمس حتى اضطر الجنود إلى إبعاد الشعب عنه بسيوفهم المستلة. وبالجهد الجهيد استطاعوا الوصول إلى الدير. فأدخلوا فيه جثمان القديسة، ولم يسمحوا لأحد بالدخول إليه،ما خلا توماس وأياريا. أما الجموع الأخرى فقد أبقاها الجنود خارج الدير. ولما رأت

برونة جسد فبرونيا وهو على تلك الحال من التقطيع، انهارت على الأرض وأغمي عليها مدة طويلة. أما فريمس فقد ترك جنوداً يحرسون الدير، وعاد إلى جار الولاية عند لوسيماكس.

بعد ساعات عديدة، استفاقت برونة واحتضنت جسد فبرونيا وأخذت تصرخ وتقول: "يا ابنتي فبرونيا، انك اليوم تؤخذين منم أمام عيني أمك برونة. فمن سيقرأ الكتب المقدسة للأخوات؟ وأي أيادٍ ستقلب صفحات الكتب؟" وبينما كانت تقول ذلك، أقبلت راهبات الدير كلهن مع أيثاريا، وارتمين جميعاً على جسدها المقدس وهن باكيات. وكذلك فعلت أياريا وهي تقول: "إني أجثوا أمام هاتين الرجلين المقدستين اللتين داستا رأس اللتين، وأقبل جراح الجسد المقدس التي بها شفيت جروح نفسي، وأضفر إكليل الثناء وأضعه على الرأس الذي شرف جسد بمحاسن النصر." واستمرت أياريا مع الأخوات على هذه الحال حتى وقت الصلاة الساعة التاسعة. فصرخت رئيسة الدير وخاطبت فبرونيا باللغة السريانية وقالت: (أين أنت يا فبرونيا؟ يا إبنتي الصغيرة، قومي وهلمي معنا إلى الصلاة." وقالت توماس: "يا أختي فبرونيا، إنك لم تخالفي قط أمر رئيستنا، فلماذا لا تطيعينها الآن؟"

وإزداد الاضطراب والصراخ بين الأخوات. وفي المساء غسلن جسد الطوباوية ووضعته على مصطبة ورتبن كلاً من أعضائها في موضعه. ثم أمرت برونة بفتح الباب أمام الجمهور. فدخلت الجموع وأخذت تمجد الله. وكانت جميع النساء يبكين لحرمانهم من معلمتهن. ووصل بعض من الآباء القديسين وكثير من الرهبان وأمضوا الليل كله ساهرين في الصلاة.

أما لوسيماكس، فدعا فريمس وقال له: "يا سيدي فريمس، إني أكفر بجميع عادات آبائي وبإرثهم وأموالهم، وأنضم إلى المسيح." فقال فريمس: (وأنا أيضاً ألعن ديوقلتيانس ومملكته، وأكفر بإرث آبائي وأنضم إلى المسيح." وتركا دار الولاية وجاءا إلى الدير مع الجموع.

وعند الصباح، جيء بالصندوق. فاحتفلوا بجسد القديسة بالصلوات والدموع ثم وضعوه في الصندوق، ضامين كلاً من الأعضاء إلى مكانه. أما الأسنان فوضعوها على صدرها. وملأوا الصندوق بالطيب والمسك والبخور الفاخرة. وأزداد ضجيج الجموع وصراخهم وحاولوا دون رفع الصندوق. فأخذ أسقف المدينة وسائر الرهبان والأقليروس يناشدونهم بوضع الصندوق في موضعه، ولكن الجموع لم ترضخ لذلك. فصعدت برونة إلى مكان مرتفع وشرعت تناشد الجموع وتقول: "أسألكم يا سادتي وأخوتي، دعوها تمضي إلى موضعها." فأنصاع الشعب كله لبرونة، واحتفلوا بجسد القديسة بالصلوات الكثيرة والدموع، ووضعوه في مكان لائق من الدير وهم يمجدون الله.

وآمن بالمسيح جمع غفير من الوثنيين واعتمدوا. وأعتمدوا لوسيماكس أيضاً وفريمس وتخليا عن العالم وذهبا مع مرقلينا رئيس الدير وترهبا وأمضيا حياتهما في ما يرضي المسيح. وكثير من الجنود أيضاً آمنوا بالمسيح ونالوا العماد. وتركت أياريا أهلها وتخلت عن العالم وأنزوت

في الدير وأوقفت جميع أموالها على الدير. وطلبت من برونة وقالت لها: "ألتمس منك يا أماه أن أكون عندك بمثابة فبرونيا فأخدمك مثلها." ثم تخلت أياريا عن جميع مصوغاتها ووشحت صندوق الطوباوية بالذهب والجواهر من جميع جهاته.

في ذكرى استشهاد الطوباوية، تجتمع أديرة النساء وجموع غفيرة، لا سيما لأجل الآية التي تجري في منتصف الليل. فعند القيام بصلاة الليل، تظهر القديسة فبرونيا وهي واقفة في مكانها المألوف حتى صلاة الساعة الثالثة. وتعتري الرهبة جميع الحاضرين دون أن يتجاسر أحد على الدنو منها وأن يسألها. ذلك لأنها حينما ظهرت في السنة الأولى، إستلوى الرعب على جميع الأخوات. أما برونة فصرخت وقالت: "ها هي ذي ابنتي فبرونيا، وهرعت إليها لتعانقها. ولكنها اختفت. لذلك فلم يتجاسر أحد على الدنو منها، بل يكتفي الجميع بسكب دموع الفرح لرؤيتها.

وبنا أسقف المدينة للطوباوية فبرونيا كنيسة جميلة وأنجزها في ست سنين. ولما أتمها، دعا الأساقفة المجاورين وأقام عيداً كبيراً واحتفالاً فخما في الرابع والعشرين من حزيران. فاجتمع جمهور غفير من الناس حتى ضاقت بهم الكنيسة والدير، وأقيمت الصلاة في كل موضع. وعند الصباح، بعد أن أنهوا صلاة الفجر، جاء الأساقفة إلى الدير ليأخذوا جثمان القديسة ويضعوه في الكنيسة التي شيدت لها. وكان يرافقهم جمهور غفير بالفنود والمشاعل والمباخر. ولما دخلوا وصلوا في الدير، جلسوا واستدعوا برونة وقالوا لها: "لقد تجلت حتى على الأرض ثمار أعمالك الصالحة وجهودك الحميدة، ولا يسعنا امتداحها كما ينبغي. هكذا كان يجب أن تكون رئيسات الأديرة، فيقدمن مثل هذه الثمار لله. وإننا لعاجزون عن وصف الأمجاد اللائقة بالشهيدة القديسة، لذا فإننا نحجم عن ذكرها، لأن اللسان قاصر عن وصفها. إلا إننا قصدناك كأخت لنا، ملتمسين منك أن تكرمي معنا الشهيدة المظفرة، فاعطيها لنا لكي تسكن في الكنيسة التي شيدت لأسمها."

ولما سمعت الأخوات هذا الكلام، ارتمين كلهن على أرجل الأساقفة وقلن: "نتوسل إليكن يا ساداتنا أن تترحموا علينا نحن المسكينات فلا تحرمونا هذه الجوهرة." وشرعن يبكين وقتاً طويلاً. فقال الأسقف لبرونة: "اسمعي يا أختي، أنت تعلمين ما عانيته من الجهد والتعب طوال ست سنين في بناء هذه الكنيسة إكراماً للشهيدة المظفرة. فلا أخالك تريدين أن يذهب تعبنا باطلاً." فلما سمعت برونة هذا الكلام قالت: "إذا حسن الأمر لديكم ولدى الطوباوية، فمن أنا لكي أمنعكم من تحقيقه؟ ادخلوا وخذوها واذهبوا." وحينما دخل الأساقفة لإقامة الصلاة، شرعت أيريا تبكي وتقول: "الويل لنا، فإنكم اليوم تحرمون ديرنا من بركة عظيمة. الويل لنا، فقد حل اليوم اليتم والضيق بديرنا. الويل لنا، فإننا نحن نسلم جوهرتنا." وكانت تصرخ وتقول لبرونة: "ماذا أنت فاعلة يا أماه؟" لماذا تحرميني من أختي التي من أجلها تركت كل شيء

والتجأت إليك؟" فلما رأت برونة أياريا على تلك الحال من الحزن، التفتت وقالت لها: "لماذا تبكين يا ابنتي أياريا؟ إن كان الأمر حسناً لها فلتذهب."

وبعد أن ختم الأساقفة صلاتهم وأجاب الجمع كله: آمين، دنوا من صندوق الطوباوية ليأخذوه. وإذا برعد يهز الفضاء ويلقي الهلع في قلوب الشعب كله. وبعد قليل، حينما مدوا عليه أيديهم، حدث زلزال كبير حتى ظنوا إنه دمر المدينة كلها. فعرف الأساقفة والجمع كله إن الشهيدة القديسة غير راضية بالخروج من ديرها. فاغتم الأساقفة وقال لبرونة: "إن كانت الطوباوية غير راضية بترك الدير، فنسألك أن تعطينا على الأقل أحد أعضائها المبتورة لنأخذه بركة ونذهب." فأخذت برونة المفتاح وفتحت الصندوق، وكان الجسد يتلألأ كأشعة الشمس، وتنبعث منه مثل بروق نارية. فمدت برونة يدها بخوف ولمست يد فبرونيا وهي تريد إعطاءها للأسقف. وإذ بيدها تشل وتصبح مثل مائتة. فبكت برنة وقالت: "أسألك أيتها السيدة فبرونيا، ألا تغضبي على أمك، وتذكري أتعابها ولا تخزيها في شيخوختها." وما أن قالت هذا حتى عادت يدها صحيحة كالسابق. ثم مدت يدها ثانية وهي تصرخ وتقول: "أعطينا بركة يا سيدتي، ولا تحزنينا"، وأخذت إحدى أسنانها الموضوعة على صدرها، وأعطتها للأسقف، ثم أغلقت الصندوق.

ولما تلقى الأساقفة هذه الدرة المقدسة في إناء من ذهب، عادوا فرحين تتقدمهم جموع غفيرة بالترتيل والمشاعل والمباخر. ولما بلغوا الكنيسة، ارتقى الأساقفة منصة عالية وأطلعوا الشعب على هذا السر. وكل من وجد في الكنيسة آنذاك من عمي وعرج وممسوسين نالوا الشفاء. ولما ذاع الخبر، أخذ الناس يطوفون في كل مكان ويجلبون المرضى فينالون الشفاء من كل علة فيهم. وبعد ذلك وضعت هذه الجوهرة المقدسة في موضعها، وذلك في الخامس والعشرين من شهر حزيران. وعادت الجماهير إلى منازلها بعد أن حظين بمواهب عظيمة، وهي تؤدي الحمد للرب يسوع المسيح.

(ونا المسكينة توماس خلفت برونة بعد موتها. ولكوني عارفة حقاً بكل ما جرى للطوباوية فبرونيا منذ البدء، وعلمت بقية الأمور من السيد لوسيماكس، فقد كتبت هذه الشهادة مدحاً وإكراماً للطوباوية، وخلاصاً وتشجيعاً للسامعين ليستيقظ عقلهم في الجهاد في سبيل عبادة الله، لكي يؤهلوا هم أيضاً لملكوت السماء بيسوع المسيح ربنا الذي له المجد والسلطة، إلى دهر الدهور. آمين).

القسم الثاني

الشهداء الذين قتلوا في عهد شابور الثاني (٣٠٩- ٣٧٩)

المقدمة:

تولى شابور الثاني عرش الإمبراطورية الفارسية سنة ٣٠٩ وهو يزال صبياً حديث السن, وظل المسيحيون في السنين الأولى من عهده الطويل ينعمون بشيء من الراحة وبحرية نسبية. ولكنه ما أن أبلغ أشده، حتى شرع يعادي الإمبراطورية الرومانية، ويتهم المسيحيين في مملكته بولائهم للروم. وكانت هذه الذريعةسبباً حمله على شن اضطهادات متلاحقة عليهم ذهب ضحيتها ألوف من المسيحيين. ,اشهر هذه الاضطهادات وأشدها ضراوة هو "الاضطهاد الأربعيني" الذي دام من سنة ٣٣٩ إلى سنة ٣٧٩، أي حتى موت شابور الملك.

ويعجز القلم عن وصف ما عاناه المسيحيون في تلك الفترات العصيبة والتضحيات الجسام التي قدموها في سبيل إيمانهم. وكثيرون منهم لم يذكر التاريخ أسماءهم، وغيرهم عديدون لم يزودنا التاريخ عنهم إلا بالنزر القليل من المعلومات.

لذلك فأني لن أتطوق في هذا الكتاب سوى إلى الأشهرين من بين هؤلاء الشهداء، ليكونوا مثالاً يحذوه المسيحيون في هذا العصر ويستمدون منه الشجاعة والقوة لخوض مختلف صراعات هذه الحياة بثقة وإيمان.

قصة سلطان ماهد وخت

وأخويهما أدورفروا وميهرنرسا

(وضعها مار كبرئيل من منطقة شهر زور)[٤٠]

في السنة التاسعة لحكم شابور ملك الفرس (٣١٨مقدس)، كانت بشرى المسيح السارة قد انتشرت في أرجاء الإمبراطورية الفارسية كلها، ونشأت فيها أبرشيات عديدة يديرها رعاة غيارى. وكان في ذلك الوقت مار "عبدا" أسقفاً لمدينة خربة جلال[٤١]، وكان يبذل جهوداً جبارة في سبيل الذود عن الإيمان المسيحي وتشجيع المسيحيين المضطهدين على خوض غمار المحنة بإيمان وثقة.

وكان في ذلك العهد في أرض "درساس" أمير اسمه "فولار" خاضع لسلطة الملك شابور، وقد تلقى أمراً باضطهاد جميع المسيحيين المتواجدين في منطقته، وباقتيادهم إلى كرخ بيث سلوخ

---

[٤٠] شهر زور منطقة جبلية واسعة تقع بين أربيل وهمدان. وما زال هذا الاسم يطلق على سهل جميل غصب غربي شمال أورامان بالقرب من حلبجة التابعة لمحافظة السليمانية. وكانت شهر زور أسقفية تابعة لمنطقة بيت جرماي (باجرمي) الكنيسة.

[٤١] خربة جلال بلدة تقع على الزاب الصغير.

(كركوك الحالية)، كبرى مدن منطقة باجرمي، لكي يجري هناك استنطاقهم أمام أمين الملك ويحكم عليهم بالموت في سبيل المسيح.

وكان لهذا الأمير ولدان هما إدورفروا ومهيرنريا وابنة إسمها سلطان ماهدوخت. واهتم الوالد بتربية أولاده الثلاثة تربية ممتازة منذ الصغر، فتثقفوا في علوم زمانهم ثقافة عالية، ولا سيما في المذهب المجوسي الذي كان دين الرؤساء والملوك الفرس. وكان الثلاثة على حظ وافر من الحسن والجمال ومبعث فخر والدهم. فأراد هذا أن يأخذهم يوماً إلى أمين الملك، ليصل خيرهم بواسطته إلى الملك ذاته، فذهب بهم إلى كرخ سلوخ. وهناك شاهدهم الأمين واختبرهم وسر بهم كثيراً، ووعد بأن يبلغ الملك بشأنهم.

بعد ذلك، صرفهم والدهم من كرخ سلوخ ليعودوا إلى مدينتهم وإلى مدرستهم. وبينما هم عائدون، بلغوا قرية صغيرة تدعى "أحوان" واقعة على طريقهم. وقبل الوصول إليها، شرعوا يطاردون على خيلهم. وإذا بالصغير ميهرنرسا يسقط من حصانه وتنكسر فخذه حتى كادت ساقه تنفصل عن جسمه. فانتاب هلع الأخ الأكبر أدروفروا مع أخته سلطان ماهدوخت ومزقا ثيابهما حزناً وأسى، وأخذ أخاهما الصغير الذي أوشك أن يفارق الحياة، ودخلا القرية المذكورة باكيين مولولين. واركهما أهل القرية حزنهما وبكاءهما على الصغير المدنف. وشاء أن يصل الأسقف مار عبدا في تلك الساعة إلى القرية للقيام بزيارة راعوية لها. ولما طرق سمعه صوت البكاء والعويل، سأل عن السبب، فأطلعوه على الأمر. فأشفق مار عبدا على هؤلاء الشباب، بالرغم من كونهم وثنيين ومضطهدين، وذهب حالاً ليزور ذلك الجريح المسكين.

وبينما كان القديس في طريقه إليه، غاب عن الصبي عن وعيه، حتى ظن الحاضرون إنه فارق الحياة، وعاين رؤيا سماوية شاهد فيها المسيح ملك الملوك جالس على عرش رفيع يتألق نوراً وبهاءً، وتحيط القوات السماوية بعرشه بإجلال عظيم، وتقف زمر الشهداء القديسين أمام المسيح المجيد وهم متوشحون ثياباً نورانية، وعلى رؤوسهم أكاليل الظفر التي نالوها بالعذابات والآلام التي قاسوها. وإذا برجلين جليلين يمسك أحدهما بيمينه والآخر بشماله. فإلتفت إليهما وسألهما بخوف: "من هذا؟ ومن هم الواقفون أمامه؟ ومن هؤلاء الذين يسبحون كالعبيد برهبة كبيرة؟" فأجابه الرجلان: "هذا هو المسيح الجبار، ملك الدهور العظيم الجليل، الذي لا يخزى كل المتكلين عليه. أما الذين يكرمون ظهوره المجيد بخوف، فهم الملائكة وقوات النار والروح. وأما الواقفون أمام عرشه المجيد والمتوشحون بثياب نورانيةٍ بهية والمكللون بأكاليل المجد، فهم المؤمنون اللابسون حلل النور والمعمودية والمكللون بأكاليل الشهادى في سبيل سيدهم". قالا له ذلك. ثم ذهب إلى موضع آخر، وأرياه ظلمة مفزعة، ولججا لا غورلها، وناراً رهيبة تعذب الأثمة والكفرة. وإذا شرع يتأمل هذا المنظر الشنيع، اقتاده الرجلان ثانية أمام

عرش الملك. وبينما هو ينظر هنا وهناك، ويتأمل ذلك المنظر المجيد دون ملل، رأى كاهن المسيح مار عبد الأسقف داخلاً بثقة بين صفوف النورانيين حتى جاء وجثا على قدمي المسيح ملك السماء والأرض، وأخذ يبتهل إليه أن يهبه نفس الفتى ميهرنرسا. فدنا منه ملاكان وأقاماه وأتيا به عند الصبي وسلماه إلى الأسقف وقالا له: "لقد استجيب طلبك. فبشر وعمذ وقرب إلى سيدك."

وبينما كان الفتى غارقاً في تلك الرؤيا، وصل القديس عنده وجثا على ركبتيه وصلى إلى سيده، وسط عويل الحاضرين. ثم قام ووضع الساق في موضعها ورسم عليها إشارة الصليب، وصرخ بصوت عالٍ وبإيمان لا يساوره شك، وقال لتلك الجثة الهامدة: "باسم ربنا يسوع المسيح إبن الله الحي، ذاك الذي يجدف الأثمة عليه ويضطهدون أتباعه، قم أيها الصبي." فقام الصبي في الحال وعاد إلى الحياة. فانقلب بكاء الحاضرين ضحكاً وحزنهم فرحاً، وشرعوا يؤدون المجد للمسيح الرب.

وحينما استعاد الصبي وعيه وتذكر ما شاهده في الرؤيا، وعرف إن كاهن المسيح الذي رآه في الرؤيا هو الآن واقف عنده، جثا على قدميه وأخذ يناشده ويقول: "يا سيدي كاهن المسيح ملك الدهور، أعد إلى سيدك الوديعة التي ائتمنت عليها، حسب أمره، ولا تنسى إنه استجاب طلبك. فتلمذ وعمد وقرب إلى سيدك حسبما اشترط عليك. فسيدك سيدي، وإلهك إلهي، ولا ملك لي سوى الملك الحقيقي الذي عنه قيل إن الذي يتكلون عليه لا يخزون. ولا إله آخر سوى ذاك الذي خلق السماء والأرض وما فيهما بمحض إرادته. فإني أكفر بالشيطان وبتعاليمه الدنسة المؤدية إلى جهنم" وشرع يروي شيئاً فشيئاً للأسقف وللحاضرين كل ما شاهده في الرؤيا، وتعجب الجميع مما رواه الفتى. ثم صرخ ميهرنرسا بصوت عالٍ وقال: "إني أشكرك أيها المسيح، فلا تغلق بوجهي باب حنانك. أيها الصالح الذي تريد الحياة للناس، اقبلني أنا الخاطئ وأدعني إلى نورك السماوي، ولا تطالبني بدم شهدائك وقديسيك الزكي الذي سفكه سيف أبينا. لقد وعدت يا رب في كتبك المقدسة بألا يطالب الابن بخطيئة أبيه، أشرق نور معرفتك في قلوب اخوتي لكي يعرفونك أنت إله الحق مع أبيك وروحك القدوس. أهلني يا رب للعماد المقدس، فلا أرحم من شركة الخيرات مع قديسيك في السماء."

كان يقول هذه الكلمات منطرحاً على الأرض وباكياً على قدمي مار عبدا. فدنا منه أخوه وأقامه وقال له: "قم يا أخي، فلا حاجة إلى إطالة الكلام في حين إن بوسعنا تحقيقه بالعمل. فمن ذا الذي يستطيع أن يعيد الطبيعة المتداعية إلى قومها من جديد، ما عدا حالق الطبيعة؟ ومن يقدر أن يحيي الميت إلا ذاك الذي نفخ فيه الروح من البدء في أحشاء أمه؟ فلم نتشاغل بالكلام الطويل عن اقتبال رسم المسيح المقدس لكي حصى في عداد الساجدين له بواسطة عبده القديس هذا الذي اختاره الرب لهذه المهمة؟"

www.karozota.com

ولما رأت سلطان ماهدوخت ما نطق به أخوها، صرخت هي أيضاً وقالت: "تبارك المسيح الذي أعاد اتلرجاء إلى اليائسين، تبارك المسيح الذي في انكسار فخذ أخي حطم قيود الشيطان وصادنا لعمل مشيئته." ثم قالت لمار عبدا: "وأنت يا عبد المسيح الذي أرسله سيده لخلاصنا، لم تهمل أمرنا؟ فإن إلهنا الصالح يريد أن يرجعنا إليه بواسطتك. قد أعطاك أن تشفي وتحيي الجسد الذي كان مهشماً، فقم وأحي نفوسنا المائتة بالخطيئة والأثم، فهي خير من أجسادنا بطبيعتها..." ولما سمع مار عبدا هذا الكلام، غمر الفرح قلبه وأضاء وجهه وقال لهم: "افرحوا بالرب يا أحبائي، لأن أسماءكم كتبت في سفر الحياة، وأصبحتم ورثة أورشليم السماوية، وأحصيتم بين الأبكار المكتوبة أسماءهم في سماء كنيسة الله الحي. فالآب يسر بكم، والابن يحبكم، والروح يقدسكم. ها إن الخدر السماوي مفتوح أمامكم، فادخلوه فرحين. هلموا يا أولادي وتوشحوا حلة النور الجديدة اللائقة بالموضع الذي دعيتم إليه. فقد أعدت لكم إكليل النصر بموتكم في سبيل سيدكم. فلا تتخذلوا في الجهاد الرائع الذي منه تأتيكم كل الخيرات." قال هذا ثم أوعز إلى كهنة القرية وشمامستها في إعداد ما يلزم للمعمودية. فنالوا العماد المقدس واشتركوا في الوليمة الروحية بتناول جسد المسيح ودمه.

ولما تم كل شيء، شاء الجمع أن يتبرك منهم قبل مغادرتهم، وإذ بروح الرب قد اختطف المعمدين إلى وادٍ يقع فوق القرية، فيه حوض يحتوي على قليل من الماء وكهف صغير وضيع. فوجدوا أنفسهم في ذلك الكهف، وسروا بتدبير الله العجيب أيما سرور، وشرع بعضهم يقول لبعض: "إذا شاء الرب أن نمكث في هذه الحياة، فإننا نسكن هذا الكهف مرقداً لأجسادنا." ومكثوا في ذلك الكهف ثلاث سنين. أما أقرباءهم الذين كانوا معهم، فقد ظلوا في القرية عشرة أيام وهم ينتظرون عودتهم. ولما يئسوا من الانتظار، ذهبوا وأخبوا والدهم بما جرى. فكتب حالاً إلى شابور ليطلعه على فقدان أولاده. وجاء جواب الملك يأمره بالبحث عنهم باهتمام وبإخباره حال عثوره عليهم. فأرسل الأمير أناساً ليبحثوا عنهم في كل مكان. في القرى والمدن، في الجبال والسهول، في الأمكنة المأهولة وفي القفار. وأمضوا ستة أشهر في البحث عنهم دون أن يجدوهم. فكفوا عن التفتيش وعادوا إلى الأمير خائبين باكين. وعم الحزن جميع سكان البلدة.

أما سلطان ماهدوخت وأخواها، فقد ظلوا عائشين بهناء في ذلك الكهف الصغير الضيق. فما الذي دفعهم إلى ملازمة ذلك السجن وتلك العزلة طوال ثلاث سنين، وكبح فيهم الرغبة في الانشراح وفي مصاحبة الناس، هم المعتادون على السكنى في منازل فسيحة ومريحة؟ ألم تبل ثيابهم؟ ألم يتضايقوا من حر الصيف اللاذع ومن برد الشتاء القارس؟ألم يذكروا النعيم الذي كان فيه في منزلهم الوالدي؟ ألم يذكروا التنعمات والأطعمة الفاخرة التي اربوا عليها؟ ولكن النعمة التي ربت يوحنا المعمدان في البراري ربت أيضاً هؤلاء القديسين وأقاتتهم وحفظتهم

وجعلتهم في غنى عن كل شيء، واختبرتهم في جهاد الصبر، وصنت حياتهم من جميع أضرار الشرير الذي كان يرمي إلى إبادة حياتهم. إنهم كانوا ثمة مواظبين على الصلاة وعلى أداء الحمد والثناء للثالوث المجيد. أجل انهم كانوا في وسط هذا النعيم في حين إن ذويهم كانوا يذوبون شوقاً إلى مشاهدتهم.

وقد أنعم الله عليهم بمعرفة الأمور المستقبلة والبعيدة وكأنهم يرونها رؤية العين. ولما حان الزمان الذي فيه كانوا مزمعين أن يغادروا هذه الأرض وينالوا إكليل الشهادة، قال أدورفراو كبيرهم: "إني أرى أبانا الأسقف مار عبدا أوقد أعد كل شيء وخرج ليأتي إلينا، وقد أطلعه الملاك على موضعنا، لكي يمنحنا جسد الرب يسوع المسيح ودمه." فقاموا حالاً وشرعوا يصلون، إلى أن وصل عندهم كاهن المسيح مع شماس اسمه أدي، فهرعوا لاستقباله فرحين كما يفرحوا الأولاد بأبيهم الحقيقي. فناولهم القربان وشجعهم وقال لهم: "تشجعوا وارفعوا رؤوسكم، فقد حان زمان خلاصكم، وتضرعوا إلى الرب لكي يتحنن برحمته على أبيكم الشيخ." فقال له ميهرنرسا: "كلا يا أبانا، بل أنت صل لأجلنا، لأنك ستغادر العالم ثلاثة أيام قبلنا." وقالت سلطان ماهدوخت: "صل لأجلنا يا أبانا القديس، فإن مضطهدينا سيدركوننا بعد سبعة أيام، وفي الخامس عشر سننال إكليل الشهادة." فدهش مار عبدا لمعرفة الخفايا التي أولاها الله هؤلاء الفتيان، وعانقهم وقبلهم ثم استودعهم نعمة الله وانصرف من عندهم.

وفي اليوم السابع بعد مغادرة مار عبدا لهم، أفلت حصان أبيهم وأقبل راكضاً إلى الموضع الذي يسكنه الفتيان الثلاثة. ولما رأوه عرفوا أنه حصان والدهم. فاشرأبوا من الكهف ليروا هل هناك من يأتي في أثره. فإذا بغلامين من أهل دارهم راكبين حصانين يطاردانه. ولما رأوهما، تواروا في الكهف وانطرحوا على وجوههم عاكفين على الصلاة. وحينما وصل الغلامان إلى الكهف وتطلعا ورأيا القديسين على ذلك الوضع، أخذ منهما الدهش كل مأخذ وظلا منذهلين طوال ساعة كاملة لا يستطيعان إلى الكلام ولا إلى الانصراف سبيلاً. ولما أكمل الطوباويون صلاتهم، نهضوا وخاطبوهما قائلين: "السلام عليكما. ما بالكما واقفين متعجبين؟" وما أن عرفا أنهم أولاد الأمير، حتى انطرحا أمامهم. فقال لهما الفتيان: "إذهبا وقولا للإمسر إنكما وجدتما أولئك الذين كان يبحث عنهم مدة طويلة دون أن يعثر عليهم، إلى أن شاء الله يكشفهم. فطلب الغلامان منهم أن يركبوا الخيل ويعودوا معهما. ولكنهم قالوا لهما: "بل اذهبا أولاً وأخبرا الملك بشأننا." فاقتادا حصان الأمير وعادا مسرعين ليخبراه بالعثور على أولاده. وفي الطريق قال أحدهما للآخر: "حينما نمضي ونخبر عنهم، فلعلهم يتحولون إلى موضع آخر ويختفوا فيغضب الأمير علينا ويقتلنا. فالأولى أن يبقى أحدنا ههنا ويحرسهم دون أن يعلموا بذلك، وأن يذهب الآخر ويخبر الأمير."

وحينما غابت الشمس وخيم الظلام على المنطقة، عكف هؤلاء القديسون على الصلاة والتضرع أمام الله وهم يعلمون أن زمان الجهاد قد حان. وامتلأ ذلك الجبل كله نوراً سماوياً، وإذا بملاكين انحدرا من السماء ودخلا الكهف وأخذا يشجعانهم ويقولان لهم: "تقووا ولا تخافوا، فلقد أعطيتم قوة لا تقهر وسلاحاً لا يبلى في نضالكم ضد أعدائكم. وهو ذا بلد النور العظيم ينتظركم لتذهبوا سريعاً وتعيشوا فيه." ولما رأى ذلك الغلام هذا المنظر الرهيب، أراد الدنو من الكهف ظاناً إن هذه الأمور تجري بسحر المسيحيين الذي أتقنه هؤلاء الفتيان. فدنا ليرى ما يجري. وإذ به يرشق بشرارة نار تأديباً له ولكي يعلم بأنه ليس ضحية أوهام، بل هي الحقيقة. وإذ احترق جسمه كله بتلك النار، لاذ بالفرار خوفاً من تلك الإبادة التامة.

أما رفيقه فقد وصل وأخبر الأمير عن أولاده. فأرسل معه ثلاثين فارساً لكي يأتوه بهم على جناح السرعة. وكتب على الفور إلى شابور الملك يخبره بالعثور على أولاده. وكان شابور قد سمع عن جمال سلطان ماهدوخت، فكتب إلى الأمير بواسطة أحد أمنائه لكي يرسل له ابنته ليتزوجها. أما الذين أرسلهم الأمير، فكانوا يجدون في السير لكي يأتوا بالفتيان حسب أمر أبيهم. والتقاهم الغلام الهارب وقال لهم: "إياكم أن تذهبوا، فإنكم لن تستطيعوا الدنو من الموضع." ثم روى لهم كل ما جرى، وأراهم آثار الحروق البادية على جسمه. فلم يولوا كلامه اعتباراً، بل واصلوا السير ليصلوا إلى المكان ويتحققوا مما رواه الغلام. ولما بلغوا المكان، كان المنظر المذكور قد تلاشى، فلم يروا شيئاً غريباً. ولكنهم حينما أرادوا اجتياز باب الكهف، رشقت عيونهم بشرارات وضربت بالغشاوة لكي لا يبصروا مدخل الكهف. فكانوا يسمعون أصوات القديسين وهم يتلون الصلاة، ولكنهم لا يستطعون الدخول إليهم. فقالوا: "لنمكث حتى الصباح، فنبصر مدخل الكهف ونمسكهم. ولما انبلج الصبح وأشرقت الشمس، كانوا القديسون يرون المرسلين إليهم واقفين على باب الكهف ملتمسين كالعميان دون أن يجدوا الباب. وكان الفتيان يمجدون المسيح بصوت عالٍ. فاستولى العجب والانذهال على أولئك المرسلين.

ولما أشرقت الشمس ولم يرجع المرسلون، أمر الوالد بإعداد حصانه ليذهب هو ذاته إليهم. وأخذ معه عدد من الجنود. والتقى في الطريق رسله عائدين خائبين. ولما رأوه نزلوا من خيلهم وانطرحوا أمامه. فسألهم مغضباً عن الفتيان ولِم لَم يأتوا بهم، فأجابوه: "إننا وجدنا الموضع الذي هم فيه وسمعنا صوتهم، ولكن عيوننا عجزت عن رؤيتهم." فأمرهم بالركوب والذهاب معه. ولما اقتربوا من الكهف، سمعوا القديسين ضجيج الخيل والسلاح الكثير، فعكفوا على الصلاة. وحينما رأى الأمير الكهف من بعيد، قال للذين معه: "أليس هذا هو الكهف الذي تتحدثون عنه؟" فأجابوه: "بلى، هذا هو الكهف، ولكننا لا ندري هل الفتيان ما يزالون فيه." وإذا بالحصن جميعها تقف مكانها دون أن تستطيع التقدم. فضربوها وحثوها على السير ولكن دون جدوى. فانذهل الأمير ومرافقوه. وحينما كفوا عن ضرب حصنهم، إذا بهم يسمعون صوت

القديسين وهم يسبحون الله بنغمات عذبة. فأوعز الأمير إلى الفرسان في النزول من خيلهم والسير على الأقدام. ولما اقتربوا منهم، صدت أقدامهم تلك القوة التي منعت خيلهم وامن السير. فظلوا عند الخيل، لا يسعهم السير ولا الركوب. فشد ثلاثة منهم قسيهم ورمى كل منهم سهماً، وإذا بكف كل منهم تنخلع وتنفصل مع سهامهم، وإذا بالسهام ترتد إلى الوراء وترشق رفاقهم الذين أخذوا يبكون ويولولون. وشرع الذين انخلعت أكفهم والذين ضربوا بالسهام يبتهلون إلى القديسين لكي يترحموا عليهم ويشفوا جراحهم.

وأخرج القديسون رؤوسهم من الكهف، فبدأ جمالهم أسطع نوراً من الكواكب، فرفع والدهم صوته باكياً وقال لهم: "ألا تأتون إلى أبيكم، يا أولادي؟ أو ما أحسنت تربيتكم وتثقيفكم في العلم وأفضل الآداب؟ أو عرفت أسمكم لشابور الملك ليزداد إكرامكم لديه؟ فلماذا أسأتم أبيكم يا أحبائي؟ ولم جعلتم أتعابي تذهب أدراج الرياح؟ ولما عرضتم أباكم للهزء والسخرية في مملكة فارس كلها" فأجابوه بلطف: "إن لنا أباً آخر أفضل منك، وهو قد قال لنا: من لا يترك أباه وأمه ويتبعني فلا يستحقني. أما التعليم الذي أعطيتنا إياه، فأنه مضر لحياتنا الحقيقية ونصلي لكي يمحي ذكره من عقولنا. أما ما قلته عن شابور الملك وعن إكرامه لنا، فإن لنا ملكاً أوسع ملكاً وأرفع تناجاً منه. فنحن عبيد هذا الملك وساجدون له وليس لشابور. وإننا ننتظر من ملكنا وإلهنا إكراماً أرفع شأناً من إكرام شابور ملكك. فإذهب الآن إلى بيتك مع جندك وامكث هناك ستة أيام ريثما يأتيك أمين الملك شابور ومرافقوه. وإذ ذاك هلموا سوية إلينا، إذ لما يحن اليوم الذي فيه نستشهد." ثم تقدم منهم أولئك الذين انخلعت أكفهم وجرحت أجسامهم بسهام والتمسوا منهم أن يترحموا عليهم ويشفوهم. فقال لهم الفتيان: "أتؤمنون بالمسيح ابن الله الحي الذي يستطيع أن يمنحكم الشفاء دون دواء؟" فأجابهم الجرحى: "إن كل من يستطيع شفاءنا نؤمن بأنه إله ولا إله سواه." فصلى عليهم الفتيان وشفوا حالاً وأخذوا يصرخون بملء صوتهم ويقولون: "إننا نعترف بك أيها المسيح، وبأنك ابن الله الحي. وليخز جميع الذين يكفرون بك"

ولمات سمع الأمير والذين معه ما قيل وعاينوا ما جرى، خافوا خوفاً شديداً. وأوعز الأمسر في منع أولئك الذين اعترفوا بالمسيح من نيل العماد. ولكنهم كانوا يهتفون بملء حناجرهم إنهم مسيحيون. وكثيرون من مرافقيه انضموا إليهم في الإيمان ونالوا العماد سراً وصاروا مسيحيين، حتى بلغ عدد المهتدين سراً ٧٠٨ رجال.

ومكث الأمير عند الكهف حتى المساء دون أن يستطيع الدخول إليه، وأخذ يناشد الفتيان بأن يأذنوا له بالدنو منهم، ولكنهم رفضوا. فعاد إلى بيته يجر أذيال الخيبة والأسى. وسرعان ما أنشر خبر القديسين في المناطق القريبة وأخذ الناس يتقاطرون إلى المكان زرافات ووحداناً، وشرعوا يأتونهم بالمصابين بشتى الأمراض وينالون الشفاء على يد هؤلاء الفتيان، ومع الشفاء يشرق نور الإيمان في نفوسهم فينبذون ضلالهم ويجحدون الوثنية وينضمون إلى المسيح.

ولما كان اليوم السادس، وصل الأمين الذي أرسله شابور الملك مع سبعة ضباط حاملين رسلة شابور إلى الأمير فولار. ولما قرأ الأمير رسالة الملك، شرع يبكي وينوح. فسأله عن سبب بكائه، ولكنه لم يجاوبهم. فقالوا له: إننا أتينا من عند شابور بشأن ابنتك". فأجابهم: "ومن أين لي ابنة أعطيه إياها؟" وقص عليهم كل شيء، فأخذهم الدهش مما سمعوا. وقالوا له: "هلموا نذهب إلى الموضع الذي هم فيه لنراهم ونسمعهم." فامتطوا خيلهم وأخذوا معهم العديد من الفرسان. ولما وصلوا إلى الكهف، شاهدوا جمعاً غفيراً. فسألهم ضباط الملك: "ما سبب تجمعكم هذا؟ وماذا تريدون؟" فأجابهم الجمع: "إنما قصدناه بغية الشفاء من أمراضنا." فاخترقوا صفوف الناس حتى وصلوا عند مدخل الكهف، فرأوا الفتيان مواظبين على الصلاة وأيديهم مرفوعة إلى السماء. فبلغ الأمين سلام الملك شابور. ولكنهم لم يردوا عليه جواباً. فاستاء جداً وقال لهم: "أيها المستحقون الموت، ألا تردون على سلام شابور الملك العظيم؟" فلم يردوا على هذا أيضاً. فتناول حجراً ورماه بهم، وإذا بالحجر يرتد إلى الوراء ويضرب جبينه ويشدخه. وإذ ذاك علا صوت الجمهور وشرعوا يسبحون المسيح.

وحينما ذاق هذا الأمين الذي كان يدعى كوشتازاد طعم قوة القديسين ضمد رأسه وأخلد إلى الصمت إلى أن انتهى القديسون من صلاتهم. التفتوا إلى الجمع وقالوا لهم: "السلام عليكم والشفاء لأمراضكم." وعلى الفور نال كل المرضى الحاضرين شفاءهم، وشرع الجميع يؤدون المجد لله. وكان كوشتزاد نفسه مصاباً بداء النقرس في يديه ورجليه، وقد أصاب الشلل ثلاثاً من أصابع يديه اليسرى منذ ثلاث عشر سنة. وإذ بها تعود إلى حالتها الطبيعية، وأخذ يمجد الله رغماً عنه. فدعاه القديسون باسمه وقالوا له: "يا كوشتازاد!" فتعجب من أنهم يعرفون اسمه دون أن يروه من قبل. فقال: "هاءنذا" فقال له القديسون: "نسألك أن تقول لنا الحق: من الأعظم، الله أم الإنسان؟" فأجاب: "لا ريب إن الله هو الأعظم." فقالوا له: "فلماذا إذن غضبت إذ كنا نخاطب الله في الصلاة فأحجمنا عن الرد على سلام شابور الذي هو إنسان كسائر البشر؟" وبعد أن أطرق كوشتازاد قليلاً، قال لهم: "لي كلام أقوله لكم سراً، فمروا الناس بالابتعاد عن الكهف." فأمر الطوباويون الجمع بالابتعاد، ولم يبق حول المغارة سوى والدهم ورسل شابور الملك. وبدأ كوشتازاد يخاطبهم ويقول: "أنتم تعرفون شابور الملك العزيز وقوة سلطته، ومات ألحقه ويلحقه بالمسيحيين من الأذى. ؟؟؟ عنكم إنك قد تثقفتم ثقافة راقية في علم المجوسية، فشاء أن يكرمكم إكراماً خاصاً وأن يتخذ أختكم زوجة له. ولقد أرسلت لآخذها إليه بخفاوة مثل ملكة. إنما أمر واحد ينقصكم، وهو أن تنبذوا هذه الضلال الذي انجرفتم إليه، فيمنحكم الملك كل شيء. فما جوابكم على هذا؟"

فقال ادورفراو: "كل منا يجيب عن نفسه. أما أنا فهوذا جوابي: إن ملكي وسيدتي وإلهي هو المسيح. وقد اقتبلت من الآن عربوناً صغيراً للمواهب الجليلة التي سيمنحها إلي، حتى إن ملك

شابور بكل مجده لا يضاهي هبوة من هذه الأمجاد ولي شاهد إن على ذلك، وهما جروحك وأصابعك. وأنا مستعد أن أتألم كثيراً عوضاً ما دعوته ضلالاً. والآن سيجاوب أخي وأختي عن ذاتهما." فقال ميهرنرسا: "إني أصغر الساجدين للمسيح. ولكن فليأت ملكك مع تاجه وليصنع ما صنعه المسيح بواسطتي أنا وأضع عبيده. وموجز القول: أنا مسيحي وعبد للمسيح وساجد له إلى الأبد، ولا ملك وسيد وإله آخر لي سواه. وأنت كذلك مزمع أن تكفر بمملكة شابزر وتعترف بسيادة المسيح". وقالت سلطان ماهدوخت: "يليق بالنساء أن يخلدن إلى الحشمة والتواضع والسكوت في كل حين، لا سيما أمام رجال محترمين. أما فيما يخص الإيمان فالكلام خير من السكوت، والشجاعة وعدم الخجل خير من الحياء. ففكرت إن جواب أخوي يكفي لمعرفة رأيي. ولكن بما أن أخوي أرادا أن يعطي كل منا جواب عن نفسه، فالأحرى بي أن أفعل ذلك: "إنكم من أجلي أتيتم إلى ههنا، وأنتم تشتاقون إلى سماع رأيي ومعرفة إرادتي. إنكم تقولون لي أن أذهب من النور إلى الظلام، ومن الحلاوة إلى المرارة، ومن الصلاح إلى الطلاح، ومن الحياة إلى الموت، ومن رائحة المسيح الهنيئة إلى رائحة شابور الكريهة، ومن العريس السماوي المجيد إلى عريس أرضي يدب الدود في حياته ويؤول إلى الدبيب في موته. وتقولون لي أن أنحدر من السماء إلى الأرض، ومن الله إلى الإنسان. فمعاذ الله أن أتخلى عن صحبة المسيح ربي وإلهي الذي تبعته بمحبة وإيمان، وإن أصحاب شابور الشبق. وأعلم أن رأسك أيضاً سيسقط بأمر شابور في سبيل الإيمان بالمسيح. فطوبى لم إذ تكون أهلاً للنعيم السماوي. هو ذا قد سمعتم رأيي أيضاً. فاكتبوا إلى سيدكم وأخبروه بقرارنا. واعلموا أنكم لن تستطيعوا إرغامنا على ترك هذا المسكن الذي وهبه لنا الرب بنعمته"

فلما عرفوا أنهم لا يستطيعون القبض عليهم قسراً، كتبوا إلى شابور وأطلعوه على كل ما قيل. وما قرأ شابور رسالتهم، حتى ثار ثأره وزأر كالأسد المفترس، وكتبرسالة إلى فولار أبيهم وإلى كوشتازاد أمينه جاء فيها: "كيف سمعتم هؤلاء الفتيان يهينون جلالتي ولم تبيدوهم على الفور؟ وكيف لم تقيدوا أولئك السحرة وتقتادوهم إلي لكي أميتهم شر ميتة؟ ولأنكم كتبتم أن سحرهم يحول دون إلحاق الضر بهم، فقد أرسلت إليكم رئيس السحرة مع ساحرين آخرين لكي يسطروا عليهم. فقيدوهم وأنوا بهم إلي. وإذ لم يستطيع حتى رئيس السحرة أن يؤثر فيهم، فاقتلوهم في مكانهم واحرقوا أجسادهم بالنار. ما الذي أنصرهم، فاقبضوا عليه وأصلبوه في كان مشهود."

وصلت رسالة الملك مع رئيس السحرة ورفيقه في اليوم الخامس وهو اليوم الثاني عشر منذ العثور على هؤلاء الفتيان. ولما تليت الرسالة وعرف مضمونها، أصدر رئيس الفرسان أمره بالقبض على ما عبدا وبصلبه حسب أمر الملك. ولكن المرسلين ألفوه ميتاً يوارى الثرى بالاحتفال مهيب. فعادوا خائبين خجلين وأخبروا بما عاينوا. فدعا القديسون أولئك الفرسان

الذين أرسلوا لإحضار مار عبدا وسألوهم: "لِمَ لَم تجلبوا الأسقف كما كتب سيدكم؟ "فتعجبوا هؤلاء كيف عرف الفتيان ما كتب عنهم سراً وكيف أطلعوا على موت الأسقف. عندئذ قال لهم الفتيان: "ليأت الآن سحرتكم ولينجزوا ما أمروا به." فأخذ السحرة دماً وشعراً وشحماً وأصباغاً، حسب أسرارهم النجسة الذميمة، وشرعوا يمارسون سحرهم طوال يومين وليلتين. أما القديسون فكانوا عاكفين على الصلاة والتضرع إلى الله.

وتجمع أمام الكهف جمهور غفير من الناس، كانوا يريدون الدنو من القديسين والتبرك منهم ونيل الشفاء لأمراضهم. إلا أن الفرسان كان يمنعوهم من ذلك نزولاً عند رغبة السحرة. وكان ثمة أعمى منذ مولده، وقد بلغ الأربعين من عمره، وكان يريد هو أيضاً البلوغ إلى الفتيان، والفرسان يصدونه عن ذلك. فطلب من دليله أن يطلعه على المسافة التي تفصله عن السحرة، ثم تناول حجراً وأقذفه فأصاب به رأس زعيمهم وشجه. وفي الحال انفتحت عيناه وأبصر، وأخذ الحاضرون يؤدون المجد لله على هذه الآية الباهرة. وإذ هرع الفرسان للقبض عليه، أفلت منهم، في حين أن أحدهم هوى في حصانه وانكسرت ساقه. ولما لم يستطيعوا السحرة أن يشفوه، حمله رفاقه إلى باب الكهف، وأخذ يبتهل إلى القديسين ليشفقوا عليه. فقال له ادورفراو: "لماذا تخدم عدو المسيح وأنت مسيحي؟" فأجابه الجريح: "جميع هؤلاء الفرسان مسيحيون، ولكننا نطيع الملك لكوننا فرساناً." فصلى الطوباويون على ساقه فتعافت.

ولما رأى السحرة أنهم تعبوا يومين دون جدوى، قال لهم القديسون: "أتريدون أن تعرفوا قوتنا؟ إننا سنريكم إياها الآن. فبسطوا أكفهم إلى السماء وصلوا قائلين: "يا أيتها القوة لا تقهر، يا أيها الرب، أخز الشيطان بهلاك عبيده، وعظم شأن كنيستك بانتصار عبيدك." وفي الحال شب لهيب نار من الأرض والتهم السحرة وأبادهم على بكرة أبيهم.

وإذ شاهد كوشتازاد هذه الآيات البينات، انضم في فكره إلى الإيمان بالمسيح. فجاء إليهم في ليلة الخامس عشر، عشية استشهادهم، وقال لهم: "أنا عبد للمسيح الملك الحقيقي. ولكن صلا لأجلي لكي يتحنن الرب علي ويقبلني بين ذويه. فالآن علمت إنه الإله الصالح الذي يريد أن يحيا الناس ويعودوا إليه." فغمر الفرح قلوب الفتيان وشرعوا يعانقونه ويقبلونه مثل أخ حقيقي. ثم قالوا له: "انطلق إلى مار شمعون برصباعي لكي يوشحك بثوب المعمودية المقدسة، وستنال إكليل الشهادة قبله بيوم. ولكن صل لأجلنا لكي يخرجونا إلى جهادنا فنحرز النصر، ولا تحل عائقاً دون ذلك. بل أطلب من أبينا فولار أن ينجز الأمر الذي أصدره إليه شابور الملك." فعانقهم وقبلهم، ثم انضم إلى رفاقه النائمين في مواضعهم.

وفي الصباح، قال كوشتازاد لفولار: "أنجز أمر الملك لكي نقوم ونعود، فقد تأخرنا كثيراً ولم نفد شيئاً." وإذ كان كل واحد يخشى التقدم لقتل القديسين خوفاً على حياته، وقف القديسون ثلاثتهم على باب المغارة وقالوا لهم: "هلموا حررونا من حياة الجسد هذه، فنمضي إلى الحياة

الحقة، إذ قد آن أوان رحيلنا إلى المسيح ملكنا." ولما سمع الجمع أصوات القديسين وهم يلتمسون الموت بالسيف طوعاً، تعالى البكاء والنحيب عليهم. ومزق ابوهم ثيابه حزناً وذؤرى التراب على رأسه وشرع يبكي بمرارة هو والجنود الذين معه. ثم أمر أحد الفرسان بأن يذهب ويقتلهم. فاستل سيفه وتقدم منهم مرتعداً. ورافقه إليهم الجمع الغفير، وكلهم شوق إلى رؤية القديسين والاستشهاد معهم. أما القديسون فكانوا يضحكون فرحاً ويمجدون الله، وقالوا لقاتليهم: "مهلونا قليلاً ريثما نصلي إلى الرب." فخيم الصمت على ذلك الجمهور وأصغوا إلى ما يقوله القديسون في صلاتهم. وإذ ذاك رفع الفتيان الثلاثة عيونهم وأيديهم إلى السماء وشرعوا يقولون: "أيها الرب يسوع المسيح الذي وهبنا الحياة الجديدة الخالدة بتناول جيده المقدس، والذي البشر بموته على الصليب وأنقذهم من الظل وأعادهم إلى معرفة الثالوث المجيد، ووعدنا بالسماء السعيدة عوض أرض الشقاء هذه، أنت يا رب عظم شأن كنيستك وأيدها بالنصر المؤزر على أعدائها. بارك يا رب هذه البلاد التي فيها نبذل حياتنا لأجل اسمك. وأجزل نعمتك وبركاتك على كل من يحتفل بذكرنا، وأبعد عنه وعن ذويه وأمواله وحقوله كل الأضرار الخفية والظاهرة. بارك يا رب هذا الجمع الحاضرفي جهادنا، وترحم على قاتلينا ولا تطالبهم بدم عبيدك الزكي ونؤدي جميعنا الحمد لثالوثك المجيد إلى الأبد." وأجاب الجمع كله: "آمين" والتفتوا إلى الحاضرين، وكانت وجوههم كشعلة نار متقدة، وهتفوا كلهم: "ليكن معنا السلام الذي تركه المسيح لكنيسته إلى أبد الدهور. آمين."

ودنا أدورفراو الأخ الأكبر، وأحنا رأسه أمام السياف، فضرب عنقه. فركض أخوه ميهرنرسا وأخذ من دمه وغسل به وجهه، ثم أحنى هو أيضاً رأسه أمام السياف، فقطع رأسه. وفي الحال أصاب القاتل برص شديد وارتجفت يده وسقط منه السيف ولم يشأ أن يقتل أختهم. فقالت له سلطان ماهدوخت: "أنجز عملك كله ولا تؤخرني عن اللحاق بأخوي." فقال لها السياف: "ليتني ما قتلت هذين أيضاً" وأسرع إلى الغدير وغسل سيفه. فدعته سلطان ماهدوخت ثانية وقالت له: "حي هو المسيح الذي أسجد له، إن أقسمت أنك ستقتلني، ابرأتك من برصك." فأقس لها. فقالت له: "اذهب واغتسل في المياه التي بها غسلت سيفك. فتنل الشفاء." فذهب واغتسل وعاد معافى، ثم أنجز قسمه، فضرب عنفها وقطع رأسها. وأراد الوثنيون إحراق أجسادهم، حسب أمر الملك شابور، إلا أنها اختفت عن الأنظار... ولما انحسر عن الاضطهاد عن المسيحيين، أقاما في هذا الموضع كنيسة على اسم هؤلاء الشهداء، تخليداً لذكراهم العطرة، وكانت تجري فيها عجائب بشفاعة هؤلاء القديسين.

وكان استشهادهم في الثاني عشر من شهر كانون الثاني (سنة ٣١٩).

جهاد مار يونان وبريخيشوع ورفاقهما

في السنة الثامن عشر لحكم شابور ملك الفرس (٣٢٧م)، شن اضطهاداً كبيراً على كنيسة المسيح. فهدمت الكنائس. ودمرت المذابح وأحرقت الأديرة، ورزح المسيحيون تحت ثقل الضرائب الباهضة. وكانت غاية الملك أن يرغم المسيحيون تحت ثقل الضرائب الباهضة. وكانت غاية الملك أن يرغم المسيحيين على أن يكفروا بالله الخالق وأن يسجدوا للنار والشمس والماء، وأن رفضوا، تنزل بهم اشد العقوبات وأُسى العذابات.

وكان في ذلك الزمان في قرية "بيث آسا" أخوان يدعى أحدهما يونان والآخر بريخيشوع. فلما بلغهما ما يكابده المسيحيون، عزما على المضي إلى الموضع الذي فيه تجري تلك الاضطهادات.. وحينما بلغاه، سألا عن مكان السجن، وأفلحا في الدخول إليه. فوجدا هناك مسيحيين كثيرين ولا سيما تسعة رجال امتازوا بصمودهم في الإيمان المسيحي ونالوا الشهادو وهم: زوينا ولعازر وماروثا ونرساي وإيليا ومهري وحبيب وسابا وشمبيتي. وشرع الأخوان يحرضان هؤلاء السجناء على التمسك بأمانتهم للمسيح ويشجعانهم في وسط آلامهم.

وسرعان ما بلغ أمر هذين الأخوين يونان وبريخيشوع، وقيل له إنهما السبب في استشهاد الذي قتلوا. فاحتدم الحاكم غيظاً وأمر بإحضارهما على الفور. ولما مثلا أمامه، قال لهما: "إني استحلفكما بحظ ملك الملوك أن تقولا لي الحق: هل تسجدان للشمس والنار والماء وتكرمانها حسب شريعة ملوكنا؟" فأجابه الطوباويان: "إننا نوجه الكلام إليك كحاكم أقامه الملك ليحكم حسب الحق دون انحراف. فلا يحق لك أن تخاف من الملك الذي أولاك هذه السلطة، بل من ذاك الذي منحك الحكمة والمعرفة. عليك أن تعرف من هو ملك الملوك ورب الأرض والسماء، الذي يزيل الأزمنة ويغير الأوقات، ويمنح الحكمة للحكماء لكي بها يعلنوا الأحكام ويسوسوا الآخرين بالعدل. فنستحلفك أن تقول لنا لأي ملك يجب عليك أن تضطر الناس الطاعة؟ الملك الذي قلنا أنه صنع هذه الأمور، أم للملك الذي يموت ويدفن مع آبائه؟"

فلما سمع رؤساء المجوس قولهما عن الملك أنه يموت، غضبوا غضباً شديداً، وأمروا بإحضار قضبان رمان شائكة. وحبسوا كلاً منهما في مكان منفرد لكي لا يسمع ما يقوله الآخر. ثم أتوا بيونان وقالوا له: "أترضى الآن بتقديم البخور والسجود للنار والشمس والماء وتنجز بذلك أمر الملك، أم تفضل خوض الآلام والعذابات؟ ولا تظن أنك ستنجو منم أيدينا إن لم تخضع لأوامرنا." فأجاب يونان وقال لهم: "إني أشفق على نفسي وعلى الحياة الدائمة والخالدة التي نلتها بيسوع المسيح، فلا أكفر باسم ربنا وإلهنا، فهو رجاء المسيحيين، ولا يخزى الذين يتكلمون عليه. فقد وعد قائلاً: "الحق أقول لكم: من ينكرني قدام الناس، أنكره أنا أيضاً قدام أبي الذي في السموات، ومن يعترف بي أمام الناس، أعترف به أنا أيضاً به أمام أبي الذي في السماوات وأمام ملائكته، لابن ابن الإنسان مزمع أن يأتي على سحب السماء في مجد أبيه ومجد ملائكته، وحينئذ يتكافئ كل أحد حسب أعماله". فمن الآن أنجزوا ما أمرتم به، ولا

تظنوا إننا نتخلى عن إيماننا وندنس هيكل المسيح الذي أهلنا أن نكون مدبرين في كنيسته وقال: "أنتم نور العالم"، وقال أيضاً: "أنتم ملح الأرض، فإذا فسد الملح فبماذا يملح"؟ فإذا رضخنا لإرادتكم، فإننا بذلك سنكون مذنبين ليس تجاه أنفسنا حسب، بل تجاه الرعية كلها."

فأوعز رئيس المجوس في أن يوثقوا بيونان كالبهائم ويضعوا عوداً تحت حقويه ويجلسوه. ثم أمر بضربه بقضبا الرمان الشائكة حتى ظهرت أطراف أظلاعه. ولم ينبس يونان ببنت شفة، بل كان يصلي ويقول: "إني أحمدك يا إله إبراهيم أبينا، إذ سبقت وأخرجته من هذه الأرضوأهلتنا أن نعرف شيئاً من إيماننا بواسطته. والآن أعطنا يا رب أن نكمل ما قاله الروح القدس سابقاً على فم داود أبينا:" اصعد لك محرقات من السمان من بخور كباش، وقدم بقراً مع تيوس. هلموا واسمعوا فأحدثكم يا جميع متقي الله[٤٢]" فإياه ننظر وإياه ننتظر، كما كتب: "واحدة سألت الرب وإياها أبغي." ثم هتف بصوت عالٍ وقال: "كفرت بالملك الوثني وبجميع أصدقائه الذي هم خدام الشيطان. وأكفر بالشمس والقمر والكواكب والنار والماء، وأعترف بالأب والابن والروح القدس." ولما سمعوا هذا الكلام، أمر الرئيس بأن يربطوا رجليه بحبل ويسحلوه ويلقوه في الجليد طوال الليل، وأن تشدد الحراسة عليه. ثن قاموا وذهبوا فأكلوا وشربوا وناموا بعض الوقت.

وفي الصباح، أتوا وجلسوا في المحكمة وأمروا بإحضار بريخيشوع. ولما مثل أمامهم، قال له رؤساء المجوس: "ماذا تقول؟ أتسجد كما سجد رفيقك؟ أم تقاسي العذاب والهوان؟" فأجابهم: "إني مثله بل أكثر منه أسجد وأسبح وأعظم، كما تقولون إنه سجد. ولئن كنتم تريدون الكذب علي، فإن الحق يفضحكم. فأي إنسان عميت بصيرته مثلكم لكي يسجد لما وضع لخدمة البشر؟ وأنى لنا أن نسجد ونكرم النار التي أبعدها خالقها لخدمة الناس وينتفع بها الأغنياء والفقراء على السواء؟ فكيف ترغموننا على خدمة ما وضعه الله لخدمتنا والتخلي عن ذاك الذي خلق السماء والأرض والبحر والبر والعلى والعمق، ذاك الذي له يجب أن يسجد الملوك والسلاطين والسادة، ذاك الذي إليه يفتقر البشر قاطبة وهو لم يحتج إلى إنسان قط؟ فهو الذي قال: " لا تصنعوا لكم صنماً أو صورة ولا تعبدوها. أنا الأول والآخر، أنا الله ولن ينجو أحد من يدي".

وحينما سمعوا رؤساء المجوس هذه الأقوال تعجبوا وقالوا: "لنجر محاكمته ليلاً، لئلا يسمع الشعب هذه الكلمات فيحتقرنا الساجدون للنار كما احتقرنا رفاق هذا." فأمروا بإحضار كرتين من نحاس أحميتا بالنار حتى صارتا كالجمر، ثم أتوا بطبقين محمرين بالنار وأوقفوا عليهما بريخيشوع ووضعوا الكرتين تحت ابطيه وقالوا له: "بحياة ملك الملوك، إن تركت إحداهما تسقط على الأرض فقط كفرت.ط فأجابهم بريخيشوع: "بحياة ربنا يسوع المسيح ابن الله، إني

---

[٤٢] – مزمور ٦٥/ ١٥-١٦

لا أخشى ناركم ي خدام الشيطان اللعين والملك الأثيم، ولن تقع إحدى كرتيكما على الأرض. ولكني استحلفكم بالله أن تذيقوني أشد ما لديكم من العذابات. فمن يخوض النضال في سبيل الله، عليه أن يدخل معترك الجهاد ببسالة، فيمال موهبة فضلى وينل منصباً رفيعاً." فأمروا بأن يذوب رصاص ويصب في منخريه وعينيه، ثم اقتادوه إلى السجن وعلقوه برجل واحدة.

وأحضروا الطوباوي يونان وقالوا له: "كيف ترى نفسك يا يونان، وكيف أمضيت هذه الليلة السيئة في البرد والجليد؟" فأجابهم يونان: "لعمري، أني منذ ولدتني أمي لم أمض ليلة مريحة مثل هذه التي فيها ذقت طعم آلام المسيح يسوع." فقالوا له: "لقد كفر رفيقك." فأجابهم: "أجل، أعرف إنه كفر بالشيطان وبأعوانه." فقالوا: "لا تهلك نفسك يا يونان فلا الله يرضي بذلك ولا الناس." فقال لهم: "أيها الوثنيون الأغبياء، كيف تدعون بأنكم حكماء، وبأنكم تعلنون الأحكام بفطنة؟ أيستطيع الإنسان أن يخزن حنطته في الأهراء ويحميها في المطر والثلج والبروق الشديدة والرعود القوية، دون أن يملأ يده بفرح ويبذر الحنطة متكلاً على اسم الرب، راجياً مجيء الحصاد، فيملأ بيدره في ذلك الزرع القليل الذي بذره بالرجاء؟ فإذا ترك الحنطة في المخازن، فإنها لا تنقص ولا تزيد. وإذا فقد الإنسان ذاته في هذا العالم لأجل اسم المسيح، لدى ظهور بالعالم الآخر وتجديده الناس اتكلوا على اسمه وكملوا إرادته، يجدده بنوره الذي لا يزول ولا يفنى. أما الذين احتقروا أوامره، فليقيهم في هاوية النار حيث لا يكون لنارهم جمر ولا للهيبهم شعاع، كما هو مكتوب." فلما سمعوا هذا الكلام، قالوا له: "لا تتخدع وراء الكتب، فإنها تضل كثيراً." فأجابهم يونان: "حسناً قلتم أن الكتب تضل. أجل إنها تنسي الإنسان آلام هذا الدهر يذوق آلام المسيح. فلما يقيم رجل عظيم مأدبة ويدعوا أصدقائه إلى داره، يعلم كل من هؤلاء لدى خروجه من منزله إنه ذاهب إلى وليمة لذيذة. وحينما يذهب ويذوق الخمر ويستطيبها، يشرب المزيد منها حتى يسكر ولا يتسنى له العودة إلى منزله، فيحمله ذووه ويعودون به إلى بيته. وعند نهوضه صباحاً يجد ذاته في البيت، ويفرح لكونه يمض الليل مع رفاقه ولم يتعرض للفضيحة. كدا الشأن مع خادم المسيح. فإنه حينما يساق، يعلم أنه مدعو للذهاب إلى وليمة القضاء. وإذ ما ذهب به ووصل إلى هناك وشرب وسكر من آلام محبة المسيح، فهو لا يعرف بعد ولا يتذكر البيت الزمني ولا الميراث ولا المال ولا الذهب ولا الفضة، ويحتقر الملوك والرؤساء والسلاطين والسادة، وينتظر رؤية الملك الحقيقي وحده الذي يدوم ملكه إلى الأبد وتمتد سلطته إلى الدهور."

حينئذ قطعوا أصابع يديه ورجليه مفصلاً مفصلا ونثروها على الأرض وقالوا له: "هو ذا نحن نزرعها. فانتظر زمان الحصاد ليأتي لك بأيدٍ كثيرة." فأجابهم يونان: "إني لست أبغي أيادي كثيرة. فالله الذي خلقني هو ينبت لي أجنحة جديدة." وإذ ذاك أتوا بقدر كبير ملاؤه زفتاً فطفا الزفت وطفح من القدر دون أن يلحق به أي أذى. ولما رأوه إنه لم يصب بأذى، أتوا بقفيز

وعصروه به حتى تصدعت جميع مفاصل جسمه.ثم أتوا بمنشار ونشروه به، وحملوا أشلاءه وألقوها في بئر يابسة، وأمروا بتشديد الحراسة عليه ريثما ينظرون في قضية رفيقه بريخيشوع.

وأحضروا بريخيشوع وقالوا له: "أشفق على جسدك لئلا يتحطم.ط فأجابهم: "لست أنا الذي خلقته، ولا أنا الذي أحطمه. فالذي خلقه هو الذي يجدده وينتقم لي منكم من ملككم الحقير الجاهل الذي يعرف ربه وخالقه، بل يريد أن ينفذ أوامره الخاصة." وإذ ذاك قال هرمزداردشير[٤٣] لميهرنرساي: "إنما نحن نهين الملك. فهؤلاء بضلالهم لا يولون أحداً أي اعتبار.ط وفي سورة غضبهم عليه، أمروا بأن يجلد بالأشواك. ثم عروه من ثيابه، أتوا بقصب كثير شطبوا كلاً منها إلى اثنين وألصقوها على جسمه العاري وشدوها بحبل دقيق من قنب انغرس القصب في جسمه، ثم طرحوه أرضاً، وجروا القصب فتمزق جسمه كله. بعد ذلك حملوه ووضعوه داخل قفيز، وأتوا بزفت كبريت وسكبوهما في فمه، ففاضت روحه واستشهد هو أيضاً تنظير رفيقه.

حينئذ جاء عبطوشطا الذي كان رفيقهما في السابق، واشترى جثتيهما من الحراس بخمسمائة درهم وثلاث خلع من الحرير، وأقس لهم بحفظ السر.

هذا هو جهاد هذين الشهيدين اللذين ناضلا باسم المسيح وانتصرا وتكللا. ليذكرا في صلواتهما إشعيا بن حدابو وأرزينا من فرسان الملك، اللذين حضرا هناك واهتما بكتابة جهاد هذين الشهيدين الطوباويين.

استشهد هذان البطلان القديسان في التاسع والعشرين من كانون الأول(سنة ٣٢٨مقدس).

جهاد مار شمعون برصباعي ورفاقه الشهداء المائة والثلاثة

في السنة المائة والسابعة عشرة لحكم الفرس الساسانيين، وهي السنة الحادية والثلاثون لملك شابور الثاني[٤٤]، شن اضطهاد رهيب على جميع المسيحيين المتواجدين في مملكة الفرس. وكان آنذاك شمعون رئيساً للكنيسة الشرقية في المداين في ساليق وقطيسفون. وقد دعي "برصباعي" لأن آباءه كانوا يصبغون بصبغ أجنبي الثياب الحريرية التي يرتديها ملوك الفرس. أما شمعون فقد صبغ ثيابه بدمه وقدم ذاته ضحية لملك الملوك السماوي.

---

[٤٣] كان هذا أخاً للملك شابور وحاكماً على حدياب

[٤٤] ليست هذه المعلومات دقيقة، فنحن نعلم أن الاضطهاد الأربعين ابتدأ سنة ٣٣٩، واشتدت وطأته سنة ٣٤١، هي السنة التي فيها استشهد مار شمعون برصباعي.

وقد رافقه في هذا الاستشهاد عدد من الأساقفة والكهنة والعلمانيين هم: كدياب وسابينا أسقفا بيت لافاط، ويوحنا أسقف هرمزادشير[٤٥]، وبوليدع أسقف فرات ميشان، ويوحنا أسقف كرخ ميشان، وسبعة وتسعون كهنة وشمامسة، وكوشتازاد رئيس أمناء الملك، وفوسي رئيس المهنيين وابنته الراهبة.

لقد نعم المسيحيين في منطقة الروم براحة وحرية في عهد قسطنطين الكبير، لا سيما بعد إعلانه مرسوم ميلانو سنة ٣١٣ الذي منح المسيحيين الحرية في ممارسة ديانتهم. وطالما كان قسطنطين في الحياة، لم يتجرأ ملك الفرس شابور الصاني على إعلان اضطهاد كبير شامل على المسيحيين. ولكنه أعلن نواياه السيئة بعد موت قسطنطين، وبدأ بمضايقة المسيحيين في منطقته، متهماً إياهم بالولاء لمملكة الروم. وسرعان ما شرع يضطهد رؤساء الدين المسيحي وبهدم الكنائس والمعابد. وقد سمح الله بهذا الاضطهاد لكي لا يتسنى للشيطان وأعوانه الادعاء بأن المسيحيين إنما يتكاثرون لتوفر الأمن والتسامح، وإن الكنيسة تزدهر بالنظر إلى السلام الذي تحظى بها في كلتا المنطقتين والمملكتين.

إن الله الذي سمح بأن تتعرض الديانة المسيحية في المنطقة الغربية للاضطهاد طوال القرون الثلاثة الأولى حتى عهد قسطنطين الكبير، وخرجت من هذا الاضطهاد أقوى وأصفى وأشد تعلقاً بمبادئها السامية وولاء بالمسيح مؤسسها، هو الذي سمح أيضاً، بعد فترة من الهدوء والحرية النسبية، بأن يتعرض المؤمنون للاضطهاد في المنطقة الشرقية، ليس لكونه أهمل هؤلاء المؤمنين الذين يتوطد إيمانهم فيلا ظل صليب المسيح وعبر آلامه الخلاصية. فلم يكن الاضطهاد علامة إن الله أهمل دويه، بل وسيلة لهم بالمزيد من السخاء. لأن الحب لا يوفى إلا بالحب. وقد قال الرب نفسه في الإنجيل: "ما من حب أعظم من حب من يبذل نفسه في سبيل أحبائه"[٤٦]. فجاء استشهاد المؤمنين جواباً سخياً على نداء الحب الذي سمعوه من معلمهم...

في السنة الحادية والثلاثين لملك شابور بين هرمزد (٣٤٠/ ٣٤١م)، وبعد وفاة قسطنطين ملك الروم، انفسح المجال أمام شابور، فشرع يتطاول على أبناء قسطنطين الذين كانوا ما يزالون صغاراً. فأخذ يتوغل في المناطق الغربية ويعيث فيها فساداً. وكان يضمر شراً لمسيحيي منطقته ويتربص الفرص للإيقاع بهم. فأراد أن يضايق جميع المسيحيين الساكنين في مملكته بفرض جزية مضاعفة عليهم. فكتب رسالة من بلاد الأهواز حيث كان، ووجهها إلى حكام بلاد الآراميين بقول فيها: "حالما تتلقون أمرنا الإلهي هذا، في المرسوم الذي أرسلنا به إليكم،

---

[٤٥] هرمزادشير –وسميت أيضاً هرمشير– هي اليوم مدينة الأهواز الواقعة على نهر الكارون. وكان اسم المدينة الأول "سوق الأهواز".

[٤٦] –يوحنا ١٣/١٥

اقبضوا على شمعون رئيس النصارى، ولا تخلوا سبيله إلا بعد توقيعه على صك فيه يتعهد بأن يجبي ويدفع جزية مضاعفة من الشعب المسيحي الساكن في أرضنا وتحت سلطتنا. فنصيبنا نحن الآلهة متاعب الحروب، ونصيبهم الراحة والرفاهية. إنهم ساكنون في أرضنا، ولكنهم موالون لمذهب قيصر عدونا." ولما بلغتهم رسالة الملك، احضروا الطوباوي شمعون برصباعي، وتلوها على مسامعه، وطالبوه بإنجاز ما جاء فيها.

أما شمعون، فأجابهم بتواضع عميق وبشجاعة لا أثر فيها للاضطراب وقال لهم: "إني أسجد لملك الملوك واحترم أمره قدر استطاعتي. إلا أن ما يقتضيه مني أمره، فإنه ليس من شأني، كما تعلمون حق العلم، أن أطالب شعب المسيح بجزية. لأن سلطتي على الأمور المنظورة بل على اللامنظورة، أي ما يقتضيه الإيمان والتعليم الحق، وذلك بكلام متواضع تمليه علينا مخافة الله، وبإقناع لا يمس حرية السامعين، وبالصلوات الطاهرة الدائمة، والمواظبة على السهر والطلب والابتهال المقرون بمحبة الله. نحن نلتمس الرحمة للملك ولجميع عبيده ولبلدانه قاطبة، لكي تزول الحروب ويزداد السلام في العالم. فلو كانت لنا سلطة دنيوية، لما تصرفنا مثل هذا التصرف، بل مثل العلمانيين. ومع ذلك أسأل سيادتكم أن تقولوا لي بأية صفة تطالبوننا بمثل هذه الأمور؟ ألكوننا أغنياء؟ فالجميع يعلمون إننا فقراء لا نملك أموراً طائلة. ألكوننا باطلين؟ فإنكم تعلمون إنه ليس فينا من يتقاعس عن خدمة الملك، وإننا جميعاً خاضعون لواجب الجزية. أكوننا أعداء؟ فلعل فيكم أناساً يدرون إننا نحب جميع البشر ولا سيما ملك الملوك. فإذا فرض علينا أن نحب مبغضينا وأن نصلي من أجل أعدائنا، ونبارك من يلعننا، فكم بالأحرى علينا أن نحب سيادتكم، ونصلي لأجل الملك الذي وضعنا ضعهنا الله تحت تحت سلطته وأسكننا في أرضه؟ إن كتبنا تأمرنا بأن تخضع كل نفس لسلطان العظمة، إذ لا سلطة إلا من الله، والذين يقاومون السلطة ينالون الدينونة. وقد أمرنا بالصلاة أجل الملوك والعظماء. فأن واحد من معلمينا يقول لنا: عليكم قبل كل شيء أن ترفعوا الصلاة لأجل الملوك والعظماء. فإذ كانت كتبنا تأمرنا بهذا، فأنى لنا أن نكون مبغضين وأعداء لملك الملوك؟ فإننا بذلك نكون ضد الله الذي يفرض علينا الطاعة على فم معلمينا؟"

حينما نطق الطوباوي شمعون بهذا الكلام، أجاب رئيس الحكام المجتمعين هناك وقال: "ما أجمل "مات أجمل أقوالك يا شمعون وما أحكمها! ولكن يجب أن ترافقها الأفعال. اذكر أنك قلتك إن كتبنا تأمر بأن تخضع كل نفس لسلطان العظمة، ولا سلطة إلا من الله. فإذا كانت كل سلطة من الله، فاخضع إذن لشابور الملك سيد الأرض كلها، ووقع على الصك وارض بدفع الجزية حسب أمر ملك الملوك. ولا تناقضوا كتبكم التي تأمركم بالخضوع للسلاطين. وإذا كان عليكم أن تخضعوا للسلاطين، فكم بالأحرى لملك الملوك.".

فقال شمعون: "لا سبيل إلى مخالفة كتبنا التي علمتنا الخضوع وحددت لنا نطاقه. فقد علمتنا كتبنا بهذا الشأن: أدوا لكل امرئ ما يجب له: جزية الرأس لمن له جزية الرأس، والجباية لمن له الجباية. ولكنها لم تأمرنا بدفع جزية مضاعفة".

فقال له الحكام: "فكر في ما تجلبه على نفسك حينما تقاوم أمر ملك الملوك ولا توقع على الصك وترفض جباية جزية مضاعفة لملك الملوك من المسيحيين عبيده. أنت تعلم أن لا مجال بعد ليشفق الملك على من يعصي أمره. ولعلك عوض صداقتك الأولى تدفع ملك الملوك إلى اعتبارك عدوا له وإلى سفك دمك. إنه شابور الملك الذي أفزع اسمه جميع الشعوب، فكيف تقاوم أمره وأنت عبده. فأرضخ إذن لكلامنا ولا تقاوم أمره."

فأجاب شمعون: "لقد سمعتم ما قلته لكم. فاكتبوا إلى الملك وأخبروه بأن أمره يتجاوز طاقتنا ولا يتسنى لنا دفع جزية مضاعفة لكوننا فقراء. إلا أن بيوتنا وأموالنا رهن إشارته، ونحن على أرضه. فليوعز إلى سيادتكم في أخذها منا، وسنتخلى بفرح عن كل ما نملكه. فله كل شيء ما عدا نفوسنا. إنما نسأله ألا يجعلنا طغاة ومسلطين على اخوتنا الذين هم شعب الله. فإننا لم نتلق سلطتنا من ملك ملوك هذا العالم، بل من الملك الأبدي الذي لا يزول ملكه، وليست سلطته أرضية بل سماوية. فلا يأمرنا نحن الودعاء بأن نكون أشداء، ونحن اللطفاء بأن نكون قساة. أما ما قلتم من أن صداقة الملك قد تنقلب عداوة لي من جراء عدم طاعتي، وإنه سيسفك دمي، فإني أقول لكم بأني أفرح بأن يستمر الملك على محبته لي أن هو تركني في محبة الله. وإني أفضل الطاعة لأوامره إذا تركني أطيع أمر ملكي وإلهي، وإن حياتي عزيزة علي إذا تركني في تواضعي وفي تعليم سيدي، أما إذا شاء الملك بصداقته أن يبعدني عن محبة إلهي ويجعلني عدواً له، وإذا أشار علي بإطاعة إرادته ومخالفة إرادة سيدي وأمره، وإذا ابقاني في الحياة الأرضية وهو يريد أن يميتني عن الحياة الحقة التي وعدني بها واهب الحياة، فعداوته خير لي من صداقته، ورفض أوامره خير من الطاعة لها، وجميع أنواع الموت في سبيل إلهي ومعه خير لي من الحياة الزمنية."

فكتب الحكام ما قاله شمعون، وأرسلوا به إلى شابور الملك في الأهواز. ولما تليت رسالتهم على الملك، احتدم غيظاً وقال: "إن شمعون يرغب في حمل تلاميذه وشعبه على التمرد وعلى جعلهم عبيداً لقيصر الذي هو على ديانتهم، ولهذا فهو يرفض الطاعة لأمري" وسرعان ما انتشر خبر الكلام الشديد الذي فاه به شابور ضد شمعون والشعب المسيحي. وشرع أعداء شعبنا يفترون على شمعون وعلى المسيحيين أمام الملك وعظماء المملكة.

أما اليهود الذين كانوا دوماً يناهضون شعبنا، هم الذين قتلوا الأنبياء وصلبوا المسيح ورجموا الرسل، هم المتعطشون دوماً إلى دمنا، فقد وجدوا الفرصة مؤاتية للوشاية بنا. وإذا كان لهم الدالة عند الملكة التي مانت على مذهبهم، فقد استطاعوا أن يفتروا علينا أمام الملك ويقولوا:

"إذا أرسلت أنت يا ملك الملوك وسيد الأرض كلها رسائل جليلة وحكيمة إلى قيصر، حسبها كلا شيء. أما إذا أرسل شمعون إليه برسالة بسيطة ومتواضعة، فإنه يركع ويتلقاها بكلتا يديه وينجز أمره باهتمام. وبالإضافة إلى ذلك، فإنه ليس سر في مملكتك ما لم يطلع شمعون قيصر عليه.ط أجل، إن اليهود معتادون دوماً على الزور. وكما شهدوا على الرب زورا، كذلك فعلوا مع عبده شمعون..

وكتب الملك رسالة إلى حكام جواباً على رسالتهم قال فيها: "حالما تتلقون رسالتنا، استدعوا شمعون وقولوا له بأمرنا: لماذا تدفع بجسارتك حياتك وحياة شعبك إلى الهلاك وإلى العذاب والموت؟ فإنك بكبريائك تريد أن تحمل شعبك على التمرد عليّ. فإن لكم بالمرصاد ولأبيدنكم من وجه الأرض وأمحونكم من بين الناس، إن لم تخضعوا لأمري." ولما وصلت هذه الرسالة الثانية إلى حكام بيث ارامايي، استدعوا شمعون ليتلوها عليه. فحضر شمعون وسمع الرسالة وما تحتويه من الوعيد، دون أن يضطرب أو يخاف، بل أجاب قائلاً: "إن كلامي الأول والأخير واحد، وهو أنب لا أرفض الجزية على الشعب الذي استودعينه المسيح ربي، بل أني أرضى باحتمال مختلف أنواع الموت في سبيله. وكما أن المسيح صُلب عن جميع الشعوب لكي يحييها بصليبه، كذلك أنا أموت عوض الشعب الذي اعطانيه في هذه المملكة، لئلا يموت عن حقيقة المسيح. فإني أقول الحق أمام سيادتكم ولا أكذب: الموت خير لي من الحياة الشقية. وخير لي ألا أرى نور هذا العالم من أن أرى الذين حررهم سيدي وهم يتعرضون للضيق. فمعاذ الله أن أصون حياتي من الموت وأخضع حياة عبيد الله قاسية ومرهقة. وحاشا لي أن أعاين ضيق أبنائي وتعرضهم للفاقة والعبودية. فإني لا أمتنع عن التقدم نحو الموت عن نفسي وعن شعبي، وأن أبذل ذاتي في سبيل حقيقتي وإيمان تلاميذي. بل أهب دمي في سبيل رعيتي، وأقدم عنقي للسيف عوض قطيعتي. أما قال ملك الملوك إنه سيقتل رفاقي معي، فتلك إرادة الملك وله السلطة على عبيده. أما أنا وهم فنحن أبرياء من هذا الدم.".

ولما سمع الحكام لجواب الذي أعطاه شمعون على رسالة الملك الثانية، أخبروا الملك بذلك في رسالة أخرى. وحينما قرئت الرسالة على مسامع شابور، ثار ثأره وهاج كالأسد الضاري، وزأر بصوت شديد وماجت في نفسه غريزة الانتقام والبطش، وأصدر أمراً بإعمال السيف في الكهنة والشمامسة وبهدم الكنائس وتدنيس المقدس. وكتب رسالة ثالثة إلى حكام منطقة الآراميين جاء فيها: "فور وصول رسالتنا نحن الآلهة إليكم، اقبضوا على شمعون رئيس النصارى وأوثقوه وأرسلوه إلينا على جناح السرعة واهدموا كنيسته." ولما سمع شمعون هذه الأوامر، لم يفزع ولم يضطرب ولم ترتخ عزيمته وهو يرى كنيسته تهدم، بل مجد الله، وبجرأة وشجاعة قام وانطلق إلى الرؤساء قبل أن يلقوا القبض عليه. وأمهلوه ثلاث ايام لكي يذهب ويحضر أمام الملك، فقبل الأمر مسرورا.

وساد الاضطراب في الداين. حينما أقدم المضطهدون على هدم الكنيسة. فتوارى الرهبان واختفى المؤمنون، وامتلأت الكنيسة من الوثنيين. وعوض صوت الصلاة، دون صوت القلق والفوضى عندما هوى سقف الكنيسة. وعوض دخان البخور، كان غبار الجدران المتهدمة يتصاعد إلى عان السماء. وسرى فزع كبير وهلع في جميع الكنائس.

إلا أن الرعاة لم يتخاذلوا أمام هذا كله، ولم تثبط عزيمة الكهنة، ولا نقص إيمان الرهبان، بل تقوى الجميع وتشجعوا باسم يسوع المسيح المخلص، ولم يذعن أحدهم لمشيئة المضطهدين. بل كانوا متمسكين كلهم بحقيقة الإيمان ودعا الطوباوي شمعون جميع الرهبان والكهنة والشمامسة وخاطبهم مشجعاً إياهم قائلاً: "تقووا ولا تتخاذلوا، فقد دعيتهم لهذا الأمر وله خصصتم ذواتكم إذ صرتم تلاميذ المسيح. فانظروا إلى ما احتمله من الهوان لأجلكم، وتفرسوا في صليبه، واعلموا أنكم مدينون له بدين لا يوفى. فمن يستطيع أن يفي الدّين الذي نحن مدينون به لموته لأجلنا؟ فلنفِ الآن حسب طاقتنا وأن كان موتنا غير كاف لذلك. تأملوا الأنبياء الذين قتلوا، والرسل الذين رجموا، لتعلموا أن الله ليس بضعيف، وأن مسيحه ليس بعاجز مغلوب. إنما يريد أن يظهر قوته في الضعفاء، وأن يعلن حياته في موتهم. فإذا رفعتم عيون قلوبكم إليه، فهو سيشملنا بنظره ويقوي ضعفنا وينصرنا في الجهاد. واعملوا أيضاً يا أحبائي أن الضيق سيعبر، وتليه أزمنة الراحة، وأن الكنيسة التي استؤصلت ستشاد بمجد وتزدان بأبهة. ولا نحزن لهدم كنيستنا على الأرض، إذ أن لنا بنيانا في السماء لم تصنعه الأيادي البشرية: إنها تلك كنيسة الأبكار التي ليست مبنية في ساليق وكوخي، بل في أورشليم السماوية. والآن أنا ماض إلى باب الملك، ولا أعلم ما سيحدث بعدي. أما أنتم فكونوا على استعداد دائم لابسين درع الإيمان، حتى إذا ما شنت عليكم الحرب، لا يستطيع السهم أن يخترع درعكم، بل يرتد على رماته ويتحطم.

ابتعدوا عن المانويين والمرقيونيين وعن سائر البدع الوثنية. ولا تخالطوا اليهود أعداء صليب المسيح. إني أحذركم وأنصحكم كما ينصح الأب أولاده. احفظوا وصايا الرب ليحفظكم. حبوا ذاك الذي أحبنا وبذل نفسه عنا ليحيينا بموته. حافظوا على إيمانكم القويم واحتملوا في سبيله كل أنواع العذاب والموت. واذكروا ما قاله الرسول: "صادق هو الكلام وأهل للقبول، فإننا إذا متنا مع المسيح، حينما معه أيضاً، وإذا صبرنا ملكما معه، وإذا نكرناه نكرنا هو أيضاً، وإذا كنا خائبين، ظل هو وفياً، إذ لا يستطيع أن ينكر نفسه[٤٧]". هذا ما أنصحكم به الآن، لأني عالم أنكملن تروا وجهي من بعد، إذ أني مزمع أن أضحى لأجل الشعب المسيحي وفي سبيل

[٤٧] -طيم٢/١١-١٣

بالإيمان بالله. وليس ما سؤهلني لهذا سوى مراحم يسوع المسيح ربنا. فليكن معكم ومعنا أيضاً بصلواتكم إلى الأبد. آمين."

حينما سمع الجمع هذه الأقوال، شرعوا كلهم يبكون بمرارة على انفصال الراعي اليقظ ومغادرة المدبر الهمام وانتقال الرئيس الحازم والمستقيم وذهاب المعلم الحكيم وابتعاد البار القديس، وعلى ابتعادهم على الأب اللطيف الرحيم. وكانوا جميعهم ينوحون ويقولون: "الويل لنا، إذ يؤخذ منا شمعون الصفا. فإننا فيك رأينا الرسل، فمن يعطينا أسقفاً نظيرك؟" وكان بكاؤهم يتصاعد لا سيما لأنهم سمعوه يقول لهم: أنكم لن تروا وجهي من بعد، لأني مزمع أن أضحي. إذ ذاك انتهرهم شمعون ودعاهم إلى السكوت، وكان يقربهم منه ويبش لهم ويعانقهم. ثم صلى ورفع يديه وباركهم قائلاً: "ليكن صليب الرب حافظاً لشعبه، وليكن سلام الله مع عبيده، وليثبت قلوبكم بإيمان المسيح في العسر واليسر، في الحياة والموت، الآن وكل أوان وإلى أبد الدهور".

ولما أنهى الطوباوي شمعون صلاته، رحل إلى منطقة الأهواز مع بعض الكهنة. وفي تلك الأيام ألقي القبض على كدياب وسابينا أسقفي بيث لافاط، ويوحنا أسقف هرمزاردشير، وبوليدع أسقف فرات ميشان وعلى كهنة وشمامسة كثيرين، وسيقوا مكبلين بالقيود إلى باب الملك في كرخ ليدام في منطقة الأهواز. وكان شابور قد بنى هذه المدينة حديثاً وأسكن فيها أسرى كثيرين أتى بنهم من الغرب ومن سنجار وبيث زبدى[٤٨] ورزون وقردو وأرمينية ومن أماكن شتى. ففي تلك الأيام عينها أرسل الجاثليق مار شمعون مخفوراً من بيث آرامايي إلى كرخ ليدان.

وكان قد وشي أيضاً برجل اسمه كوشتازاد، رئيس أمناء الملك، وقيل عنه لشابور أنه مسيحي. فأمر الملك باستدعائه وقال له: "يا كوشتازاد، أهذا هو إخلاصك لي؟ ألست زعيم الأمناء؟ ألم نرفع شأنك أنا وأبي إلى منزلة مرموقة؟ فأجاب كوشتازاد: "ولم يوجه الملك إلي هذا الكلام؟" فقال له الملك: "لقد سمعت أنك مسيحي.." فأجابه كوشتازاد: "إن ما سمعته صحيح أيها الملك الصالح.." فقال له الملك غاضباً: "عليك الآن أن تخضع لإرادتي وتسجد للشمس، وإلا قتلتك في الحال.." وأحاط بكوشتازاد عظماء الملك ورفاقه الأمناء وانتحوا به وأقنعوه قائلين: "اخضع". لإرادة الملك بعض الوقت، ثم عد إلى معتقدك." فعمل كوشتازد بنصيحتهم ووقع في فخاخ لمليقهم وأطاع الملك.

---

[٤٨] – بيث زبدى أو بازبدى مقاطعة تقع على الضفة اليمنى من دجلة المقابلة لجزيرة أبن عمر. وكانت سابقاً أبرشية خاضعة كنسياً لنصيبين. وبعدئذ ضمت إلى أبرشية قردو المقابلة لها على ضفة دجلة اليسرى.

وحينما وصل الطوباوي شمعون إلى منطقة الأهواز وبلغ كرخ ليدان وسمع ما آل إليه أمر كوشتازاد، تضايق واغتنم عليه كثيراً. أما كوشتازاد، فما أن سمع بقدوم الجاثليق إلى المدينة، حتى نهض وجاء إلى باب المنزل الذي كان شمعون فيه. فقيل لشمعون أن كوشتازاد على الباب وهو يريد أن يدخل عليك. فأجاب شمعون: "أغلقوا الباب، وامنعوا دخول هذا الذي جحد يسوع سيدي وترك إله الحق واستبدل الخالق بالخليقة والملك الأبدي بالملك الزمني الذي تذوي أيامه كالعشب وتفنى.." وأرسل كوشتازاد مثنى وثلاثاً يتوسل إلى شمعون لكي يقبله في حضرته ويغفر له إثمه هذه المرة، واعداً بألا يرجع إليه من بعد. إلا أن شمعون أرسل يقول له: "أن ما ارتكبه ليس خطيئة حتى أغفرها لك، ولا جهالة لكي أسامحك، بل هو نفاق جسيم، لأنك كفرت بإلهك، فمن يغفر لك؟ وتراجعت عن المسيح محييك، فمن من البشر المائتين يستطيع أن يحييك؟ أين إيمانك الذي كنت تسير بموجبه؟ لقد فزعت من سماع العذابات، وفقدت حياتك في ساعة واحدة . إنك أهل لقصاص أليم، لأنك خفت من المجد الزائل ولم تخف من المسيح ملك العالمين المجيد الذي لا يتجاسر الملائكة على التفرس به لبهاء مجده العظيم. والآن لا سبيل لك إلى الحياة إلا إذا نهضت من الموضع الذي سقطت فيه ودخلت في الباب الذي خرجت منه، وانتصرت حيثما تخاذلت. أما أنا فعليّ أن أبكي وأنوح عليك فويلي على تخاذلك يا ابن شعبي، ويلي على سقوطك أيها الجبار، ويلي على خزيك أيها الجليل، ويلي على شقائك أيها النشط، ويلي على فسادك أيها البهي، ويلي على موت نفسك، ويلي على جوهرتك التي ضاعت. فاذهب ولا تعد إلي ما لم تجد جوهرتك. فلا ثمن لها إلا بذل المرء حياته في سبيلها، لأنها مشتراة بدم يسوع ربي..".

حينما سمع كوشتزاد هذا الكلام، تألم كثيراً وفكر في العكوف على التوبة فشرع منذئذ يبكي بمرارة نظير شمعون الصفا حينما نكر معلمع يسوع. وذهب إلى منزله ولبس المسوح وافترش الرماد وأقام حصاداً على نفسه، وشرع يعذب ذاته بالبكاء المستمر والصوم الصارم مع السهر، وهو يصرخ إلى الرب ويقول: "اللهم ارحمني لأنني ضعيف، وأشفني لأن عظامي قد تزعزعت، وجروحي قد نتنت وقاحت." ولم يزل يتلو مثل هذه المزامير بضارعها من الأقوال الدالة على التوبة طوال يومين دون أن يمثل أمام المسك أو يحضر في مجسه بين أقرانه.

وفي اليوم الثالث من وصول شمعون إلى كرخ ليدان، استدعي للمثول أمام الملك. ولما سمع كوشتازاد ذلك، ألقى عنه المسوح وأقبل إلى باب الملك آملاً أن تتاح له الفرصة ليرى شمعون ويخاطبه.

وأمر الملك بإدخال شمعون أمامه. فلما مثل بين يديه، سجد أمامه. فقال الملك لشمعون: "يا شمعون، ما هذا العصيان الذي أبديته نحوي؟ أهذه هي نتيجة محبتي لك؟ أهذا هو جزاء إكرامي لك؟ أهذه نتيجة المديح الذي كنت اكليه لك أمام عظمائي وأقول عنك أنك رجل حكيم

ونيّر؟ فقد أكرمت إلى حد جلبت حسد المجوس عليك. فلماذا تصرفت كالعدو وأثرت شعبك على التمرد عليّ؟" فسجد شمعون ثانية أمام الملك وقال له: "أيها الملك، من ذا الذي يتجاسر فيخالف حتى أوامر ولاتك وعبيدك، إن كانت هذه الأوامر حسب إرادة الله؟ حقاً أيها الملك لق\ أكرمتني جلالتك ومدحتني، فالكذب ذميم أمام الله وأمامك خيرة الرجال، إلا أني لا أتخلى عن مجد إلهي في سبيل الحصول على مديحك، ولا أستهين بإلهي لأجل إكرامك. فإنه هو الذي مجدك وعظمك وأقامك ملك الملوك على الشعوب وملوكهم، وأعطاك هذه المملكة الواسعة القوية والعجيبة. ولماذا دعتني جلالتكم عاصياً أنا الضعيف أصغر عبيد عظمتك؟" قال له الملك: "لأنك لم تضطر شعبك إلى دفع الجزية التي فرضناها عليهم" فأجاب شمعون: "معاذ الله، أيها الملك أن يكون عبيدك ظالماً لشعب الله المتواضع. وحاشا جلالتك الرفيعة أن تأمرني أنا الرجل المسكين الذي أعلم شعبي الفقر والتواضع. وأعلمهم أن من يضربهم على خدهم ليقدموا له الآخر، وأن من يأخذ قميصهم ليعطوا له رداءهم أيضاً، بأن أكون عاتياً تجاههم وأرغمهم على هذا الأمر.".

ولما قال شمعون هذا الكلام، تألب عليه المجوس والولاة الظالمون وقالوا: "إن هذا الذي يرفض دفع الجزية، إنما يرمي إلى إثارة شعبه على التمرد." فأجابهم شمعون: "أل يكفيكم الظلم الذي تلحقونه بالمساكين وتسخيركم الضعفاء، فتريدون الآن إخضاعنا نحن أيضاً لطغيانكم؟ وبأي صفة تقتضون منا جزية مضاعفة؟ ألكوننا أغنياء؟ فإننا أفقر الشعوب كلها.ط فقال له المجوس: "بل لكونكم على غير مذهب ملك الملوك المشارك طبيعة الآلهة." فأجابه شمعون الحكيم: "كان الأولى أن لا نطالب بجزية مضاعفة على إيماننا، بل أن ندافع على إيماننا وتعليمنا. فإننا مستعدون ليس على بذل أموالنا في سبيل الحقيقة حسب، بل حياتنا أيضاً. ولكننا لا نقبل دفع الجزية، لأن سلطتنا ليست دنيوية لكي نمارس الضغط والإكراه على اخوتنا، بل سلطتنا هي من الله الذي يوصينا بالتواضع في جميع كتبنا. فتعلم الناس بأن يعطوا المساكين وليس شأننا أن نبتز من المساكين، وأن نفرج عن المتضايقين ألا نظلم المرهقين."

ولما سمع الملك هذا الكلام، قال لشمعون: "أي خاطب يا شمعون، فإني أنا مولاك، وأترك رفاقك. فلم تدع أمامي لتجيب على رفاقك، بل على سؤالي." فسجد شمعون أمام الملك وقال له: "ليقل سيدي الملك لعبده ما يشاء." فقال له الملك: "نحن عائشون في حروب ومعارك مستمرة، وأنتم تنعمون بالراحة والأمان رغم كونكم على غير ديانتنا. ولكن أخضع أنت وشعبك واقبل بجباية جزية مضاعفة من شعبك، واذهب بسلام إلى بيتك." فأجابه شمعون: "إن أجسادنا رهن أمرك، وبيوتنا وأموالنا تحت تصرفك، أيها الملك، إذ لا شيء لنا في هذه الأرض. فليأمر مولاي الملك بأخذها إن شاء. ولكني أقول الحق بأني لن أضطر شعبي إلى دفع الجزية حتى إن أمرت جلالتك بسلخ جلدي. فخير لي أن يسلخ جلدي من أن آخذ ثوب

الفقير وأن أضايق الذين حررهم ربي," فقال له الملك: "اترك أمر الجزية جانباً، وأنصحك بما يفيد حياتك: فأنا لا أريد قتلك، لأنك رجل حكيم، كما قلت ذلك مـــرات عديـــدة. والآن اســـمع نصيحتي وامتثل أمري واسجد للنار وللشمس." فأجاب شمعون الشجاع وقال له: "أهـــذه هـــي النصيحة المفيدة لحياتي؟ إنه أمر يضر بحياتي ولا يفيدها." فقال له الملك: "ألا تفيـــدك هـــذه النصيحة؟" أجاب شمعون: "ليس ثمة نصيحة أضر منها بحياتي.."

م- مدحتك كحكيم، ولكنك تبدو الآن جاهلاً بمقاومتك أمري. فإنما الجهلة يقـــاومون أوامرنـــا الإلهية.

ش- حاشا لشمعون عبد الإله الحقيقي الأوحد أن يقيم وزناً لآلهة أخرى، وأن يسجد للشـــمس والقمر اللذين سيبطل سيرهما يوماً، أو للنار التي تموت كل يوم وتنطفئ. كلا إنـــي لا أطيـــع أمرك أيها الملك حتى لو أمرت بحرق عظامي جميعها. فأنا الناطق لا أسجد للخليقة الصماء، وأنا الحي لا أسجد لما هو مائت.

م- إن كنت لا تسجد للنار لأنها مائتة، فلا ينبغي أن تسجد لإلهك أيضاً. فقد مات هو أيضـــاً حينما صلبه اليهود. فاحسب موت النار مثل موت إلهك.

ش- حاشا الله أن يتألم أو يموت. فكل من يتألم ويموت ليس إلهاً. لأن الطبيعة الإلهية أرفع من الآلام والموت، فهي غير خاضعة للألم.

م- لقد كذبت إذ قلت أن إلهك لا يموت. ألم يمت يسوع الذي تدعونه المسيح؟

ش- أجل لقد مات المسيح حقاً وانبعث وقام. ولكن ليس الله الذي مات وانبعث وقام.

م- فمن هو إذن يسوع المسيح؟

ش- إنه إله وإنسان.

م- وكيف صار الله إنساناً؟

ش- لأن الله أراد أن يعيد البشر من الضلال ويشفي أمراضهم، ولم يكن بوسع الناس أن يروا الله ويحيوا، لذا فقد اتخذ طبيعة بشرية، وعلم البشر وأحسن إليهم، وشفى أمراضهم وأعـــادهم من ضلال الأصنام. فحسد اليهود ذاك الذي يرى وليس من لا يرى، وقبضوا عليه وصـــلبوه، وبذل نفسه ليموت ويحيا أيضاً، فيبرهن بذلك عن قيامة البشر كلهم. فانبعث وقام وصعد إلـــى السماء وهو مزمع أن يعود ويقيم المائتين. والشمس ذاتها التي تأمرني بالسجود لها قد أظلمت حين صلبه توبيخاً لليهود على صلبهم ذاك القدوس عوض السجود له.

م- إن ما سمعته حتى الآن هو أن اليهود صلبوا إله المسيحيين.

ش- معاذ الله أن يقول المسيحيون ذلك. إنما الذين يزعمون ذلك هو المرقيونيون الذين يطلق عليهم لقب المسيحيين زوراً.

م- تخلّ عن هذه الأقوال وامتثل أمري واسجد للإلهين النار والشمس لتحيا.

ش- لقد سمعت أيها الملك ما قلته من أني لن أفعل ذلك حتى لو أمرت بإحراق جميع عظامي.
م- بسجودك للنار والشمس تنجو من الموت الزؤام.
ش- إن الموت في سبيل الله خير لي من كل التنعمات. وإني لأقبل ذلك بفرح ومن كل قلبي دونما خوف. فطوبى لمن يؤهل ليُهان من أجل الله أو يزّج به في السجن أو يحتمل العذابات في سبيل الحق، ولا سيما طوبى لمن يُقتل في سبيل الله، فإنه موعود بالحياة الأبدية.
م- ليس من الحكمة، يا شمعون، أن تصر على رأيك فتعرض كثيرين معك للإبادة. فاشفق على حياتك وحياة الألوف المهددين بالموت. فإني أقسم بالشمس ديان الأرض كلها أنك إذا عصيت أمري، فسأقتلك أنت صديقي ولن أشفق من بعد على جميع الذين يدعون مسيحيين. فلا تدفعني إلى سفك دمك ودم الألوف من البشر. وإذا كنت لا تشفق على نفسك لقساوة قلبك، فاشفق على الأقل على نفوس الآخرين.
ش- حقاً أيها الملك، أنه لمعتوه ذاك الذي لا يشفق على نفسه وعلى نفوس أخوته. ولكوني أشفق على نفسي وعلى نفوس أخوتي، فأنا ثابت في تعليمي. فإن تعليمنا يقول: "ماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم الدنيا كلها وخسر نفسه، وبماذا يفدي الإنسان نفسه"[٤٩]. فلك السلطة على حياة أجسادنا، وإذا شئت، فانتزعها منا سريعاً بأية ميتة أردت.
م- إنك وإن كنت الآن لا تشفق على نفسك، فإن موتك سيرعب أتباعك ويحملهم على طاعتي.
ش- حاشاهم أن يحيوا هذه الحياة ويخسروا الحياة العتيدة. إنك ستشاهد تعلقهم الحقيقي بإلههم، وستعرف محبتهم له بموتهم. إنهم لن يستبدلوا مجد الله الحي بتاجك الكريم والشهير.
م- لماذا تتمرد عليّ بجسارة فتدفعني إلى تشويه جسدك بالسيف وإلى تلويث قامتك الجليلة بالدم؟ فإن لم تكرمني الآن أمام عظمائي ولم تسجد للشمس إله المشرق، فإني غداً في وقت وجيز أفسد جمالك بالسيف.
ش- إني لا أسجد للشمس، فإن شئت فخذ حياتي اليوم أو غداً. وأما قولك أنك تفسد جمالي، فهناك من يبعثني ويقيمني ويوليني بهاء لا يوصف.
م- فأمر الملك بزجه في السجن حتى الصباح، لعله يتعظ ويطيعه.
وبينما كانوا يجرونه من باب الملك، كان كوشتازاد واقفاً على جهة وهو يشتاق إلى السلام على شمعون. فتجاسر ودنا وسجد أمامه. فزجره شمعون وحول وجهه عنه وقال: "لا سلام لي مع من جحد إلهي ومسيحه." وفي الحال شرع كوشتازاد يولول ويبكي بكاءً مراً ويقول: "الويل لي، ماذا حدث لي. فإذا كان شمعون، أحب الناس إلي، قد غضب على هذا الكلام، فكم يكون غضب الله علي؟ وماذا تراه يفعل بي أنا الذي خنته؟ فما حاجتي إلى المسوح في البيت وإلى

---

[٤٩] متى ١٦/ ٢٦.

الرماد والخفاء؟ بل علي اليوم أن أعترف بيسوع الذي أنكرته أمام شابور نفسه. وعلي أن أقدس بالاعتراف باسمه الشفتين اللتين دنستهما بجحوده. وسرعان ما عاد إلى منزله، ونزع ثيابه، ولبس ثياباً سوداً علامة على الحداد، ثم جاء وجلس على موضعه الأول بين رفاقه الأمناء، وكان مجلسه معروفاً. فبالإضافة إلى كونه رئيس الأمناء، كان أيضاً ابن مربي شابور. وكان الداخلون والخارجون يرونه على تلك الحال وينذهلون من أمره. وبلغ الخبر إلى الملك نفسه، فأرسل من يقول له: "ما هذا الجنون الذي أصابك؟ فإني أنا حي ومؤيد ومظفر، وأنت تعكف على الحزن؟ فمن مات من أهل بيتك؟ امرأتك أو أولادك حتى تلبس الحداد؟ في حين إن طبيعتك تشهد إن لا امرأتك ولا أولاد؟" ولما سمع كوشتازاد هذا الكلام من رسول الملك، أجاب: "إني أنا حزين حقاً، لأني استوجب الموت." ولما وصل هذا الخبر إلى الملك، سأل الحاضرين عن سبب كلام كوشتازاد. فأجاب بعض من زملائه الأمناء: "إننا لا نخفي عليك، يا ملك الملوك، إن كوشتازاد لم يقبل إلى القصر طوال ثلاثة أيام، منذ أن قدم شمعون زعيم النصارى إلى كرخ ليدان. وقد أقبل اليوم فقط. وبلغنا إنه كان لابساً المسوح وجالساً على الرماد في بيته."

حينما سمع الملك هذا الكلام، أمر بإحضار كوشتازاد أمامه لكي يعلم منه سبب حزنه. ولما حضر كوشتازاد، قال له الملك:

م- هل أصابك مسن من الجنون حتى تجلب هذا الفأل المشؤوم على مملكتي؟

ك- لا يقل سيدي الملك هذا الكلام. فلم يصبني أي جنون، بل إني لقادر أن أعلم الحكمة بشيخوختي للعقول التافهة.

م- فلم أنت لابس الحداد في غير أوانه، وأرسلت تقول أنك مستوجب الموت؟

ك- حقاً إني استوجب الموت، لأني ارتكبت جريمة نكراء وحماقة جسيمة.

م- أبلغت جريمتك هذه الجسامة حتى إنك تجلس على المسوح والرماد؟ أوصلت حماقتك إلى حد إنك تلبس الحداد؟

ك- أج، سيدي الملك، إن جريمتي جسيمة لا شفاء لها، وجهالتي كبيرة لا مغفرة لها. فإني قد ارتكبت جريمة قتل فظيعة.

م- وإلى من أسأت؟

ك- إلى الله رب الكل، إذ استبدلته بخليقته.

م- وما الذي خسرته؟

ك- لقد خسرت سعي إيماني منذ صباي حتى الآن.

م- ومتى قتلت؟

ك- قتلت نفسي، لأني سجدت للشمس.

www.karozota.com

م- ألن تسجد للشمس حقاً؟

ك- إني لم أسجد سجوداً صادقاً، بل كذباً. وإني حزين على هذا أيضاً، لأني لم أكن صادقاً لا نحو الله خالقي، ولا نحوك يا خيرة الرجال. فإني كذبت على إلهي إذ تخليت عن حقيقته وأطعت إرادتك، وكذبت عليك أيضاً، أيها الملك، إذ سجدت للشمس ظاهرياً فقط وليس من القلب.

م- أهذا هو سبب حزنك، أيها الشيخ الجاهل؟ إني سأجعل حزنك ومساحتك إذا أصررت على هذا الرأي الأثيم ولا تتراجع عنه.

ك- اسمعني أيها الملك الصالح وصدق قسمي: فإني قد أقسمت بالله خالق السماء والأرض إني لن أذعن من الآن لإرادتك فأكفر بإلهي.

م- يا كوشتازاد، إني أشفق على المساعي الحميدة التي بذلتها لأبي ولي حتى الآن، ولهذا أمهلك لكي لا تنضم إلى مذهب هؤلاء السحرة الذين يدعون مسيحيين، لئلا تخسر الحياة وتفقد نعمة سيد الأرض كلها.

ك- عشت أيها الملك ودام ملك وسلطتك يا خيرة الرجال. إني أفعل حقاً ما قلته الآن لئلا أخسر الحياة وأفقد صحبة سيد الأرض كلها الذي هو الإله الحقيقي خالق السماء والأرض وكل ما فيهما. صدقني أيها الملك وتأكد من كلامي الثابت إنه ايس من يفصلني عن صحبة رب السماء والأرض، لا أنت ولا العظماء الماثلون أمامك، ولا ملائكة السماء إن أرادوا الإشارة علي بالانفصال عن محبة إلهي، لن يتمكنوا من استمالة أفكاري الحقيقية فأتخلى عن الخالق وأسجد للخلائق.

م- أفأسجد أنا للخلائق، أيها الشيخ الجاهل المنافق؟

ك- أتريد مني أن أقول الحق أم الكذب، أيها الملك؟

م- بل قل الحق.

ك- ليتك كنت تسجد للخليقة الناطقة وليس لخلائق الصماء التي لا نفس لها ولا عقل وهي موضوعة لخدنة البشر.

فأمر الملك في سورة غضبة أن يقطع رأس كوشتازاد.

وبينما كان السيافون يقودونه إلى موضع تنفيذ الحكم، ‘ذ بكوشتازاد يصرخ ويقول لأمناء الملك والذين كانوا يذهبون به: "أمهلوني قليلاً:" فتوقفوا ظانين إنه ربما قد إرعوى. فدعا كوشتازاد أحد الأمناء وقال له: "أمض وقل للملك إن لي كلاماً أقوله له." فذهب الأمين وأخبر الملك بالأمر. ولما سمع الملك سر سروراً عظيماً لظنه إن كوشتازاد يرضخ إرادته. وأمر بإحضاره. وحينما دخل كوشتازاد، سجد أمام الملك وقال: "إنك تعلم يا سيدي الملك إني كنت أميناً ومستقيماً في جميع أسرار مملكتك. ولم يكن خلاصي هذا نحوك حسب، بل نحو أبيك

أيضاً من قبلك، كما بلغك من المملكة والدتك، وكما شهدت أنت نفسك على ذلك قبل قليل إذ قلت: إني اشفق على المساعي الحميدة التي بذلتها لي ولأبي، لذا فإني أمهلك. لأجل ذلك كله، التمس شيئاً واحداً من رحمتك، وهو أن تأمر جلالتك بأن يصعد مناد على السور ويطوف عليه وينادي: إن كوشتازاد يُقتل ليس لكونه أفشى أسرار الدولة أو لأي ذنب آخر حكم عليه بالموت، بل لكونه مسيحياً ليس إلا، ولأن الملك أمره بالسجود للشمس وهو لم يرد أن يكفر بإلهه."

أجل، لقد فكر هذا الشيخ الحكيم وقال في نفسه: لقد شاع خبر جحودي إلهي، وكثيرون قد تخاذلوا بسببي. فإذا قتلت الآن، فإن موتي لا يكفي للتعويض عن الشكوك التي سببتها، إلا إذا عرف الأمر بواسطة المنادي، فيستعيد المتراخون والضعفاء قوتهم، ويعرف الجميع إني إنما أقتل في سبيل المسيح.

تأملوا هذا الشيخ الحكيم والحيلة التي اخترعها في ذلك الوقت الرهيب الذي فيه يستحوذ الرعب على المرء فينسى حكمته وينتابه القلق والارتباك. أما هذا الحكيم، فكان يفكر فيما يليق بحكمة شهادته. أجل لقد فكر أن الدوافع إلى قتل من يشغل منصباً رفيعاً مثله كثيرة. ولكن ليعلم الجميع إنه إنما يقتل من أجل المسيح. لله درك أيها الشيخ الفطن، فما أعظم الفكرة التي تمخض عنها عقلك الكبير! وأما أعظم التراث الذي تركته لكنيسة المسيح! وما أكبر الشجاعة التي ألهمها مثلك الصالح للمترددين والجبناء! وما أعظم الحكمة اللذين أنرت بهما عقول المظلمين!

ولما سمع الملك الملك ملتمس كوشتازاد، سر جداً ظاناً إن كثيرين سيتراخون عند سماعهم خبر قتله ويتخلون عن المذهب المسيحي ويرضخون لإرادته. ولكن شتان ما بين أفكار كوشتازاد وأفكار الملك! فقد قضت أفكار الشيخ الحكيم على أفكار الملك الجاهل.

وأمر الملك بأن ينادى المنادي حسب رغبة كوشتازاد. وأما كوشتازاد فقد أخذوه إلى موضع القتل. ولما بلغه، ركع ساجداً لله ومتوجهاً نحو الشرق وقال: "أحمدك أيها المسيح لأنك أعدتني أنا الخروف الضال إلى حظيرتك المقدسة، ووجدتنب بواسطة راعيك اليقظ والنشط شمعون الذي خرج باحثاً عني، وأدخلتني في عداد المؤمنين بك، لأكون ابناً للرسل وأخاً للشهداء الذي تكللوا في المغرب، وقدوة صالحة لشعبك في المشرق، لئلا يتخاذلوا فينحرفوا عن الإيمان الحق بالآب والابن والروح القدس، الكائن الحقيقي ملك المجد الذي له الشكر من أفواه جميع الساجدين له في السماء والأرض، الآن وإلى دهر الدهور آمين." ثم نهض من صلاته ووجه يتهلل فرحاً، ونظر إلى الواقفين هناك وقال: "ليفرح اليوم الله واهب الحياة بالميت الذي عاد، وليبتهج مسيحه بالضائع الذي وجد، وليتهلل الملائكة بالخاطئ الذي تاب، وليفرح وليشكر من كل قلبه أبونا الروحي مار شمعون الجاثليق، وليمجد وليعظم الله الذي نظر إلى تواضع نفسه

فأعاد إليه ابنه الذي بذر أموال إيمانه، فيهرع إلي لدى سماعه خبر استشهادي، ويعانقني عندما يهوي السيف على عنقي، ويحتضنني حينما يقطع رأسي، ويقبلني باستشهادي." قال هذا ثم أحنى رأسه أمام السيف ونال الشهادة... جرى ذلك في يوم الخميس من أسبوع الفصح الموافق الثالث عشر من نيسان (سنة ٣٤١م).

أما الطوباوي الجاثليق، فبعد أن خرج من عند الملك ولقيه كوشتازاد وسجد أمامه وسمع منه شمعون ما جاء أعلاه، جاء إلى الأساقفة زملائه الذين ذكرنا أسماءهم آنفاً وإلى الكهنة والشمامسة الذين كانوا قد أودعوا السجن قبل مجيء شمعون إلى بلاط الملك، والذين خاضوا غمار جهاد ببسالة وفرح حتى نالوا إكليل الظفر. ففرح به هؤلاء فرحاً عظيماً إذ عاينوا أبا الأساقفة، وكانوا في غاية الشوق إلى رؤيته منذ سماعهم بمجيئه إلى كرخ ليدان. فحياهم شمعون وقبلهم جميعاً وشرع يقول لهم: "ماذا أقول لكم: فإنكم سبقتم أقوالي بالأفعال، إذا انتصرتم في ضيقات كبيرة. وبماذا أذكر عقلكم المستقر في السماء؟ وماذا أقول عن سيرتكم التي سمت فوق الأرض وبلغت السماء؟ فقبل قدومكم إلى ههنا قد اكتملتم في شهادتكم بالضيقات التي احتملتموها من مضطهديكم. فقد رأيتم بعيونكم هدم كنئاسكم دون أن يساوركم الشك في إيمانكم، والآن أيضاً يا اخوتي تشجعوا وتقووا واثبتوا في رجائكم. فقد أعدت لكم الأكاليل من الآن، وفتح منا باب الوليمة. فهلموا نتزين بأكاليل الشهادة، هلموا ندخل إلى وليمة الله. إن الأكاليل معدة لنا في السماء. أما الطريق المؤدي إلى السماء فحرج، والباب المفضي إليها ضيق، كما قال الرب: "ما أضيق الباب وأحرج الطريق المؤدي إلى الحياة، وما اقل الذي يهتدون إليه!"[٥٠] هلموا نكتسب أجنحة ونحث السير، هلموا نضعف أجسادنا وندخل من هذا الباب ونسير في هذا الطريق ونطير ونرتفع إلى هذا العلى. لا ننظر إلى جنسنا وعشيرتنا، ولا نتغرس باخوتنا وأقاربنا، ولا نمعن النظر في آبائنا الأرضيين، بل هلموا ننظر إلى جموع الملائكة وزمر السرافيم وطغمات الكاروبيم وصفوف السادات ورتب السلاطين الذين سنختلط فيما بينهم إن أنجزنا جهادنا. هلموا ننظر إلى جموع الرسل وزمر التلاميذ ونتأمل الأنبياء الذين قتل بعضهم ونشر غيرهم ورجم آخرون، وصلب آخرون، وآخرون ضربت أعناقهم بحد السيف، ومنهم تعذبوا بالجوع والعطش، هؤلاء الناس الذين لم يكن العالم يستحقهم. فإذا أردنا وسعينا واهتممنا بنيل الشهادة، فإننا سنشاركهم نعيم الخيرات العتيدة في ملكوت السماوات الذي أعده لنا المسيح. فهو الذي اختبر الألم يستطيع أن يساعد المبتلين، كما قال الرسول[٥١]. فإذا

---

[٥٠] متى ١٤/٧

[٥١] – ؟؟؟ ١٨/٢.

تألمنا في سبيل اسمه، فهو سيساعدنا ويقوينا في هذا الجهاد، فنكتمل في شهادة المسيح التي نختمها بالاعتراف بالأب والابن والروح القدس."

وبينما كان شمعون يوجه هذه الأقوال إلى أخوته، دخل عليهم فجأة رجل وقال لهم: "افرحوا بالرب أيها الطوباويون، فإن كوشتازاد المجيد قد نال إكليل الشهادة." فتعجب الجميع مما سمعوه. فروى لهم الرجل كلما جرى. فغمر قلوبهم فرح عظيم، وأخذ شمعون يؤدي الشكر لله على ما من به على كوشتازاد، وقال لأخوته السجناء: "هلموا نسبّح الرب ونرنم لله مخلصنا. هلموا نشكر المسيح ونعظم اسمه الرفيع على الفرح العظيم الذي حققه لنا، إذ أعاد الخروف الضال إلى حظيرة المسيح، والدرهم الضائع من الكنيسة إلى صرته، والابن الذي بذر أمواله إلى منزل أبيه. فما أمجد قوتك يا خالقنا! وما أقدر سلطتك يا مخلصنا! لأنك تحيي الموتى، وتقيم الساقطين وتولي اليائسين الرجاء. فهذا الذي كنت أحسبه غريباً صار قريباً، والذي كنت أظنه الأخير صار الأول، والذي كان بعيداً عن الحقيقة صار قريباً في الإيمان، والذي كان قد أخرج إلى الظلمة البرانية صار جليس الوليمة السماوية. إنه لقد أصبح لي هادياً يهديني في الطريق الحرج. وكأني به يقول لي الآن: "قم يا شمعون وهلم، وليس لك الآن أن تؤاخذني أو أن تمنعني الآن من بابك أو أن تغتاظ مني. فادخل بفرح إلى المنزل الذي أعددته، ولنفرح سوية في موضع النور. فماذا يمنعني من أن أسمعه؟ وماذا يعيقني عن اللحاق به؟ فما أسعدني حينما يأتون ويقودونني إلى القتل!".

ثم جثا الطوباوي وشرع يصرخ ويقول: "أيها الرب يسوع، امنحني إكليل الاستشهاد، لأنك تعلم إني أبتغيه من كل قلبي. يا فاحص الخفايا، أنت تعلم إني أحببتك من كل نفسي. لقد اشتقت كثيراً إلى هذا الإكليل والتمسته منك. فهب لي أن أرى السيف وأفرح. هب لي أن أستريح في ملكوتك وأتعزى بمجدك. هب لي ألا أعيش بعد في هذا العالم وألا أرى شدائد شعبي. هب لي ألا أحيا وأرى كنائسك مستأصلة ومذابحك مهدومة، وكتبك المقدسة ممزقة، وخدمتك مهانة، وأقداسك مدنسة، ورهبانك عرضة للضيق والعذاب في كل مكان. هي لي ألا أحيا فأرى انخذال المتراخين وجحود الجبناء. هب لي أى أحيا فأرى الذئاب تفترس الأبرشيات المزدهرة، وألا أشاهد الأصدقاء الكاذبين وقد انقلبوا علي اليوم أعداء وقتلة... هب لي أن أقوم على رأس المشرق كله ببسالة، فأكون قدوة صالحة لشعبك كله في هذه المملكة العاتية..."

أما الأساقفة والكهنة والشمامسة الذين كانوا معه في السجن، فكانوا متعجبين من بسالته ومواظبته على الصلاة وهو باسط يديه إلى السماء طوال هذه المدة، وقد تغير وجهه وهو يضارع الورد نظارة. ثم ختم صلاته بالشكر، وأجابه الجميع: "آمين". والتفت إلى أخوته وباركهم وقال لهم: "افرحوا بربنا يا أخوتي، وأقول أيضاً افرحوا، وتشجعوا وارفعوا رؤوسكم إذ قد بلغ زمان خلاصنا، وسنُقتل غداً في يوم آلام الرب." واستمر يحدثهم من الكتب المقدسة.

وبعد ذلك قال لهم شمعون: "هلموا نسبح الرب ونرنم لله مخلصنا، لأنه خلص كوشتازاد عبده من الموت وأنقذه من براثن الجحيم ونجاه من الضلال ومن عبادة الأصنام وأتى به إلى النور، وأوصله إلى ملكوت ابنه يسوع، فاستحق ميراث القديسين في النور. هلموا نصنع ذكره بفرح ونمزج فصحه بفصح المسيح، ونقتسم جسد ودم حمل الله الحامل خطايا العالم، فقد علمنا إن ذبيحة جسده يقيمها عبيده القديسين في الكنائس وليس اليهود." فصلوا وأقاموا الذبيحة الإلهية على أيديهم في السجن، إذ لم يستطع أحد أن يجلب لهم آنية القداس خوفاً من المضطهدين. وهكذا مزجوا الفصح بالفصح والذكرى. ثم قال لهم شمعون: "يا أحبائي، ليرافقنا سر جسد المسيح هذا حتى اليوم الذي فيه نتلقى تجليه حينما يأتي على سحب السماء مع ملائكته القديسين ويعيد نفوسنا إلى أجسادنا التي يبعثها من التراب، ثم يصعدنا معه إلى السماء ويمتعنا برؤيته الشهية، ويشركنا في مجده ويبهجنا في ملكوت السماء مدى الأبد. آمين" فأجاب الجميع: "آمين."

ثم استأنفوا الصلاة طوال الليل السابق ليوم الجمعة ذكرى آلام الرب، وهم يرتلون المزامير والمداريش والتسابيح واقفين على أرجلهم، دون أن يغلبهم النعاس أو أن تشتت أفكارهم. وبعد ذلك جثوا كلهم وأخذوا يبتهلون إلى الله ويقولون: "هب لنا يا رب أن نتألم نحن أيضاً في يوم آلامك، وأن نذوق كأس الموت لأجل اسمك، لكي تردد الأجيال اللاحقة: إن شمعون وأخوته انضموا إلى يسوع، ومثل يسوع قُتلوا يوم الجمعة الرابع عشر من نيسان."

وفي الساعة الأولى من صباح الجمعة، استُدعوا من السجن إلى قصر الملك. ولما حضروا، أرسل الملك يقول لشمعون وأخوته: "اسجدوا للشمس التي بشروقها يحيا العالم، فتحيوا." فأجاب شمعون عن الجميع وقال لامين الملك: "لماذا نسجد لمن لا يرى سجودنا؟ ولماذا نصلي إلى من لا يسمع صلاتنا؟ ولماذا نمجد من ليس واعياً بنوره؟ معاذ الله أن يسجد المسيحيون للمخلوق عوض الخالق أو أن يستبدلوا الخالق بخليقته. فنحن لا نجحد الله حتى إذا اضطررنا إلى احتمال أقسى الشدائد والموت. أما قول الملك أن العالم يحيا بنور الشمس فليس الأمر كذلك، إذ لا يستطيع من ليس حياً أن يمنح الحياة. إنما العالم يحيا بإرادة الله الحي في كيانه. فالعميان أيضاً يحيون وهم لا يرون نور الشمس..".

ونقل إلى الملك ما قاله القديسون. فأرسل إليهم ثانية يقول: "اخضعوا لما أقوله لكم وأطيعوا إرادتي، فأزد إكرامكم وأرفع منزلتكم." فأجاب الطوباوي ورفاقه: "أنت تعلم أيها الملك أنك إذا أرسلت قائداً إلى الحرب وولى هارباً من المعركة خوفاً على حياته وعاد القهقرى، تحكم عليه بالإعدام. فإذا كان الهارب من الحرب يُقتل، أفما يستحق الموت جزاء على جحوده ذاك الذي ينبذ الله ديان الأحياء والأموات، ويدبر في الحرب في سبيل حقيقة ملك الملوك والشعوب كلها الذي لا انقضاء لملكه؟ أجل، إنه يستحق ذلك لكونه خاف من الناس ولم ينظر إلى الله الذي

نظرته ترهب السماء والأرض وكل ما فيهما، والذي لا يستطيع حتى الملائكة أن ينظروا إلى بهاء عظمته. فمن هذا الإله يجب أن نخاف، أيها الملك، وليس من الناس العائلين، ولرب السماء والأرض هذا يجب السجود والإكرام وليس للشمس التي يعروها الظلام كل يوم. ولو كانت واعية لشكرتنا، لأن الله إنما خلقها لأجلنا، ووضعها في الجو لتنير الأرض. أما بشأن الإكرام والعظمة اللذين وعدتنا بهما، فإن في السماء كنزاً مليئاً بما هو أفضل وأحسن من جميع الهبات واللذات الزائلة. وحينما نقتل في سبيل الله، إذ ذاك نستحق أن ندعى رؤساء ومدبرين عادلين."

ولما أيلغ الملك ما قاله شمعون ورفاقه، أمر بإحضار شمعون وحده أمامه. فأدخلوه عاجلاً عند الملك، وكانت الساعة الثالثة. ولدى دخوله، سجد أمام الملك. فقال له الملك: "يا شمعون المتمرد، عم تمضخت أفكارك في هذه الليلة؟ أتريد أن تبقى في صادقتنا أم أن أرسلك إلى الجحيم؟"

ش- عشت أيها الملك، إني لقد بت في فكرة حسنة.

م- وما هي؟

ش- إن الموت لي خير من الحياة مع جحود الله.

م- وأين صداقتك لي؟

ش- إني حقاً أحبك، وأنا وشعبي نصلي كل حين لأجل مملكتك، كما تأمرنا كتبنا المقدسة. إلا أن صداقة الله أفضل من صداقتك، أيها الملك، فلا تقابل صداقة الملك بمحبة الله كما لا يقابل أصغر الكواكب بالشمس، مع كون كليهما نوراً. فهناك فرق بين صداقتك ومحبة الله. فأنا أحب جلالتك كملك يهتم بمملكته، وأحب الله كإله وسيد وخالق وواهب الحياة وكحافظ ومدبر ومقيت وباعث وواهب المجد الذي لا يزول لمحبيه الذين يحفظون وصاياه.

م- اسجد ولو مرة للشمس، فأخلّصك من أيدي المجوس الذين يرمون قتلك.

ش- معاذ الله أيها الملك أن يُسمَع في العالم ويروى في المسكونة، فيشمت بي أعدائي ويفرحون قائلين: لقد حاد شمعون عن إلهه وسجد للشمس، لأنه خائف من الموت وفزع من القتل وفضل الحياة الزمنية.

م- إني لأجل صداقتي لك قد أمهلتك ونصحتك ولم تسمعني، فأنت الآن مسؤول عن ذلك.

ش- أيها الملك إني لست بحاجة إلى مثل هذه النصائح. ولكن إن أمرت بقتلي في سبيل إلهي فإذ ذاك تظهر لي صداقتك بالفعل، ولا تجديني نفعاً صداقة الملك التي تهيئ لي سخط الله.

ولما سمع الملك هذا الكلام، أخذته الدهشة من شجاعة شمعون، ونظر إلى الملوك والعظماء والنبلاء الجالسين معه وقال لهم متنهداً: "إني أقسم بالآلهة والشمس، بأني قد رأيت شعوباً غريبة وأراضي بعيدة وأبناء بلادنا، ولكني لم أر جمالاً مثل هذا ورشاقة مثل هذه. فانظروا

كيف أنه لا يشفق على نفسه في سبيل الضلال الذي هو متمسك به". فأجابه الجميع: "أيها الملك، لا تنظر إلى جمال جسده، بل أنظر إلى جمال النفوس الكثيرة التي يفسدها ويبعدها عن تعليمنا".

حينئذ أصدر الملك أمراً عليه وعلى أخوته بقطع رؤوسهم. وكان ذلك في الساعة السادسة من يوم الجمعة العظيمة. ففي الوقت الذي فيه مضى الرب إلى آلام الصليب، خرج هؤلاء الظافرون أيضاً إلى القتل. وجاء رئيس الحكام إليهم أيضاً وسألهم قائلاً: "هل تسجدون للشمس وتطيعون إرادة شابور ملك الملوك وسيد الأرض كلها فتحيوا؟" فأجابه الجميع بصوت عال وقالوا: "إننا حقاً نطيع إرادة ملك الملوك وسيد الأرض كلها الذي هو الملك الأبدي!" فسرّ رئيس الحكام حينما سمع هذا الكلام وقال لهم: "فاسجدوا إذن للشمس." فضحك منه الشهداء بصوت عال وقالوا له: "ألم تقل لنا أن نعمل بإرادة ملك الأرض كلها؟ فنحن الآن نطيعه ولا نسجد للشمس." فقال لهم رئيس الحكام: "ومن يكون ملك الملوك وسيد الأرض كلها سوى شابور ملك الملوك؟" فقالوا له: "إنك نطقت بكذب فاضح. فإن ملك الأرض كلها إنما هو الله خالق السماء والأرض وكل ما فيهما، وهو الملك الأبدي. أما شابور فليس مسلطاً سوى على زاوية الأرض، فليأمر بإنبات الزرع دون بذار وعمل الفلاحين والمطر، ليأمرها بأن تنبت أشجاراً لم تغرس. وقصارى القول: معاذ الله أن نسجد للشمس أو إحدى الخلائق وننبذ الله." فقال الحاكم: "انظروا ما أنتم فاعلون. فقد أصدر الملك عليكم حكماً بالموت." فأجابوه: "إنها لنعمة لنا أن يُنفّذ فينا هذا الحكم بالفعل فننال الحياة في الله. فاعلم، وليعلم الملك أيضاً، أننا لا نسجد للشمس ولا نكفر بإلهنا."

ونقل رئيس الحكام هذا الكلام إلى الملك. فأمر هذا بأن يقتل الجميع قبل شمعون لعل عزيمته ترتخي أمام منظر قتلهم. بينما كان هؤلاء القديسون يقادون إلى القتل، حدث اضطراب كبير في مدينة ليدان وأخذ الناس يتزاحمون لرؤية هؤلاء المعترفين المعذبين وقد امتقعت وجوههم من جراء ما عانوه من العذابات، إلا أن أفكارهم وأجوبتهم كانت جريئة. وكان شمعون يتقدمهم لدى خروجهم مثل قائد مغوار، وهو يشجعهم بصوت عال في الطريق ويقول لهم: "تقووا بالله يا أخوتي ولا تخافوا. هو ذا الرب يقول لكم: ثقوا، أنا غلبت العالم. فإننا نموت في سبيل المخلص ونُقتل في سبيل المسيح. وقد قال أيضاً: "أنا القيامة والحياة، من آمن بي وإن مات فسيحيا"[٥٢]. فكم بالأحرى يحيا ذاك الذي قُتل من أجل اسمه القدوس المجيد".

ووصلوا خارج مدينة ليدان، وكان يحيط بهم ألوف من الوثنيين ومن المسيحيين المسبيين، وهم يتعجبون بهؤلاء الناس الذين يُقتلون لأجل الله وهم مسرون ضاحكون وغير خائفين.

---

[٥٢] يوحنا ١١/ ٢٥.

ولم يكن شمعون يكف عن التعليم، والبشاشة مرتسمة على محياه. وحينما وصلوا إلى موضع الإعدام، شرع يشجعهم ويقول: "لا تخافوا يا أخوتي من الذين يقتلون الجسد ولا يستطيعون قتل النفس[٥٣]. اذكروا ما قال الرب: "من أهلك نفسه من أجلي وجدها للحياة الأبدية"[٥٤]. وتذكروا قوله الآخر: "ما من حب أعظم من حب من يبذل نفسه في سبيل أحبائه"[٥٥]. فإذا كان يسوع قد بذل ذاته عنا ونحن أعداء، فلنسع لكي نبذل ذاتنا عن حبيبنا يسوع. وإذا كان قاتلونا يبيدوننا بغيرتهم الضالة وليس كأعداء، فإن كلمة الرب تعزينا إذ تقول لنا: "ستأتي أيام فيها كل من يقتلكم يظن أنه يقرّب قرباناً لله"[٥٦]. وإذا كانوا يفعلون ذلك كأعداء ومضطهدين، فإن هذا الكلام الآخر يشجعنا: "إن كانوا قد أبغضوني فسيبغضونكم أيضاً، وإذا اضطهدوني فسيضطهدونكم أنتم أيضاً"[٥٧]. تذكروا الكلام الذي فاه به الرسول بوحي من الروح: "إني أحسب آلام هذا الدهر لا توازي المجد الذي سيتجلى فينا"[٥٨]. وهذا الكلام الآخر: "إن كنا نتألم معه، فسنتمجد معه أيضاً"[٥٩]. وهذا الآخر: "إذا شهدت بلسانك أن يسوع رب، وآمنت بجنانك أن الله أقامه من بين الأموات، نلت الخلاص"[٦٠]. وهذا الآخر: "ما من أحد منا يحيا لنفسه وما من أحد يموت لنفسه، فإذا حيينا فللرب نحيا، وإذا متنا فللرب نموت: سواء حيينا أم متنا، فإنا للرب. وقد مات المسيح وعاد إلى الحياة ليكون رب الأموات والأحياء"[٦١].

تذكروا يا أخوتي الرسل الطوباويين الذين، حسب كلام الإناء المصطفى، قد أصبحوا مشهداً للعالم والملائكة والبشر. فكانوا جائعين وعطاشاً مثلكم، كانوا عراة ومضطهدين، وكانوا يكدون ويتعبون في العمل بأيديهم، كما أنتم تفعلون،. يُهانون وهم يباركون، يُضطهدون وهم يصبرون، يُشمتون وهم يطلبون منهم، لقد أصبحوا مثل نفاية العالم وكنّاسة الجميع حتى الآن[٦٢]. ويقول الرسول أيضاً: "إن الزمان يتقاصر: الذين يبكون فليكونوا وكأنهم لا يبكون،

---

[٥٣] متى ١٠/ ٢٨.

[٥٤] متى ١٦/ ٢٥.

[٥٥] يوحنا ١٥/ ١٣.

[٥٦] يوحنا ١٦/ ٢.

[٥٧] يوحنا ١٥/ ٢٠.

[٥٨] روم ٨/ ١٨.

[٥٩] روم ٧/ ١٨.

[٦٠] روم ١٠/ ٩.

[٦١] روم ١٤/ ٧-٩.

[٦٢] ١قور٤/ ٩-١٣.

والذين يفرحون فكأنهم لا يفرحون... لأن صورة هذا العالم في زوال"[٦٣]. تـذكروا مـا قالـه أيضاً: أسرعوا لكي تدركوا. فمن يخوض الجهاد يمتنع من كل شيء. وهؤلاء يسـعون لنيـل إكليل بال، أما نحن فنسعى إلى إكليل لا يبلى. ثم يهتف الرسول ويقول: أما أنا فهكذا أسـعى: لست أرمي إلى شيء غير معروف، وهكذا أجاهد لا كمن يقارع الهواء، بـل أقمـع جسـدي واستعبده، لعلي أنا الذي وعظت الكثيرين أجدني محروماً. ولنصدقه إذ يقول: أن الله أمين ولن يدعكم تُجربون فوق طاقاتكم بل سيجعل لشدائدكم مخرجاً لتستطيعوا الاحتمال. واسمعوا يقول: اقتدوا بي كما أقتدي أنا بالمسيح. ولقد بذل ذاته فعلاً مثل المسيح. فنبذل نحن أيضاً ذاتنا مثله. واسمعه يقول: "إن كان رجاؤنا في المسيح مقصوراً على هذه الحياة، فـنحن أشـقى النـاس أجمعين"[٦٤]. وقد قرأتم وتأكد لديكم ما قاله مشجعاً بخصوص الأموات وهو يدعوهم راقـدين، لتعلموا أن الموت رقاد: "إن المسيح قام من بين الأموات وصار باكورة الراقدين..."[٦٥]. ويقول أيضاً: "إن كنا نؤمن بأن المسيح مات وانبعث وقام، هكذا الذين رقدوا في المسيح يحييهم الـه معه. ويشده الرسول عزائمنا في الحق يقول: اسهروا وانهضوا في الإيمان واستبسلوا واثبتوا. "فلنسبح لله يا أخوتي في هذا الوقت الذي فيه تُضحّى، ولنقل: تبارك الله أبـو ربنـا يسـوع المسيح، أبو المراحم وإله كل تعزية، فهو الذي يعزينا في جميع شدائدنا، لكي نستطيع نحـن أيضاً أن نعزي الذين هم في الشدائد بالتعزية ذاتها التي نتلقاها من الله[٦٦]. على أن هذا الكنـز الكنز نحمله في آنية خوف، ليظهر أن تلك القدرة الفائقة لا تعود إلينا إلى الله: يُضيق علينا من كل جهة ولا نُهصَر، نحار في أمرنا ولا نيأس، إننا مضطهدون لا مخذولون، إننا مجدلون لا هالكون، نحمل في أجسادنا كل حين آلام موت المسيح لتظهر في أجسادنا حياة المسيح أيضاً. فإنا، وإن كنا أحياء، فما زلنا نسلم إلى الموت في سبيل يسوع لتظهر في أجسادنا الفانية حياة يسوع أيضاً... عالمين أن الذي أقام الرب يسوع، سيقيمنا نحن أيضاً مع يسوع ويجعلنا وإياكم لديه[٦٧]. ويضيف قائلاً: لذلك فنحن لا نقصر: فإن كان الإنسان الظاهر فينا سائراً إلى الخراب، فالإنسان الباطن يتجدد يوماً بعد يوم. وإن الشدة الخفيفة التي نحن فيها تُعّدُ لنا قدراً عظيماً من المجد الأبدي لا حد له، لأننا لا ننظر إلى ما يرى، بل إلى ما لا يرى، فالذي إنما هـو إلـى حين، وأما ما لا يرى فهو للأبد[٦٨]. ويضيف الرسول قائلاً: نحن نعلـم أنـه إذا هُـدِمَ بيتنـا

---

[٦٣] ١قور٧/ ٢٩-٣١.

[٦٤] ١قور١٥/ ١٨-١٩.

[٦٥] ١قور١٥/ ٢٠.

[٦٦] ٢ قور ١/ ٣-٤.

[٦٧] ٢ قور ٤/ ٧...١٤.

[٦٨] ٢ قور ٤/ ١٦-١٨.

الأرضي، فلنا في السموات بيت من بناء الله لم تشده الأيدي[٦٩]. وكم كان شوق الرسول عظيماً إلى هجر هذا الجسد ليقيم في جوار الرب!.

ويستعرض الرسول ما ينتظر أتباع المسيح إذ يقول: نحن سفراء المسيح... وننزل في كل أمر منزلة خدم الله يصبرنا في الشدائد والكرب والمشقات والجلد والسجن والفتن والتعب والسهر والصوم، بالعفاف والمعرفة وطول الأناة والرفق والروح القدس والمحبة الخالصة، بكلام الحق وقدرة الله وسلاح البر، سلاح الهجوم وسلاح الدفاع، بالكرامة والهوان، بسوء الذكر وحسنه. نُحسَب كاذبين ونحن صادقون، مجهولين ونحن معروفون، مائتين وها أننا أحياء، معاقبين ولا نُقتَل، محزونين ونحن دائماً فرحون، فقراء ونُغني كثيراً من الناس، لا شيء عندنا ونحن نملك كل شيء[٧٠].

"تذكروا يا أخوتي أن هذا الرسول العظيم قد احتمل كل الشدائد ومختلف أنواع العذابات في سبيل المسيح، وفي الأخير قتله نيرون الملك في روما. فنمت إذن فرحين مع المسيح، ولنتقوّ بالرب وبشدة قوته. فإذا متنا مع المسيح ومع رسله القديسين، فنشاركهم المجد أيضاً. فقد منحنا الله ألا نؤمن بالمسيح حسب، وأن نكون مدبرين وأمناء ومعلمين، بل أن نتألم أيضاً من أجل اسمه ونخوض غمار الشهادة. فلنحسبن هذا العالم وكل ما فيه كنفاية لكي نربح المسيح. فافرحوا بالرب يا أخوتي وافرحوا كثيراً حداً، وليعلم الجميع خبر استشهادنا لأجله. فإن الرب قريب وهو سيكلل أجسادنا الذبيحة في يوم الانبعاث. ولنفرح بالآلام عوض شعب الله، ولنكمل ما نقص من آلام المسيح في أجسادنا في سبيل جسده الذي هو الكنيسة[٧١]. لننظر إلى فوق، يا أحبائي، ولنطلب ما هو فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله، ومن هناك مزمع أن يتجلى لنا. فإن موتنا وحياتنا خفيان فيه، ومتى ظهر المسيح حياتنا، حينئذ تظهر حياتنا أيضاً معه في المجد".

""إننا اليوم نقتدي بالأنبياء والرسل الذين تعرضوا لمختلف الآلام والاضطهادات والشدائد وأخيراً أقدموا على الموت في سبيل الإيمان بالله. فلا نحزن ولا نتضايق في يوم خروجنا من هذا العالم لا من جراء اضطهادنا ولا على هدم كنائسنا. فإن جميع الذين يريدون العيش في يسوع المسيح يُضطهدون. وإذا هدمت كنائسنا فإن لنا في السماء بنياناً لم تصنعه الأيدي"...

"غير أني لا أريد أن أطيل الكلام، لأن السيف مستل على رقابنا. هوذا أيها الأخوة الزمان المقبول، هوذا زمان الخلاص، فلا يخف أحد من السيف المتلألئ، فإن كلمة الله مضى من

---

[٦٩] ٢ قور ٥/ ١.

[٧٠] ٢ قور ٦/ ١-١٠.

[٧١] قولسي ١/ ٢٤.

سيف ذي حدين. ولا يتخلف أحد عن صفوفنا، بل لنتقدم كلنا سوية لنفرح أيضاً معاً. لنسعد لنيل ما قد أعده الله لنا. فلنا المحبة وله المكافأة، لنا العبادة وله الموهبة، لنا العناء وله الأجر، لنا الألم وله النعيم، لنا الدم وله الملكوت، لنا الموت وله الحياة حينما يريحنا ويفرحنا ويجلسنا ويمتعنا قائلاً لنا: "نعماً أيها العبيد الصالحون، لقد تاجرتم حسناً بالوزنات التي أعطيت لكم، فخذوا عشر وزنات في النعيم".

وبينما كان الطوباوي شمعون يتكلم بهذا، دعا العظماء لكي يأخذوهم إلى القتل. وإذا بواحد من وسط المعترفين يرفع صوته بين أخوته ويقول لمار شمعون: "لقد أبهجتنا كثيراً بتعليمك يا أبانا الجاثليق، فلنتقدم الآن إلى التحقيق الفعلي". فدنا منه القديس شمعون وقبّله وقال: "تبارك فمك المقدس يا بني، فالكلام المشجع الذي خرج منه يشهد لصدق نفسك وثباتها." ثم التفت الطوباوي شمعون مع جميع رفاقه نحو المشرق وجثوا على وجوههم ساجدين، وصلى شمعون قائلاً: "يا رب يا رب، أيها الإله الأوحد، إننا نعترف بوحدانية طبيعتك وبأقانيم ثالوثك، ونحمدك على أنك خلقتنا بنعمتك ولم تتركنا في قبضة الشيطان، بل أعدتنا من الضلال بابنك الوحيد، وخلصتنا به من الموت وأنقذتنا من الجحيم، وهيأت بقيامته انبعاثاً للبشر قاطبة، ووعدت بملكوت السماء لجميع القديسين، واخترتنا من شعبك المؤمن لنكون مرشدين وكهنة ومدبرين ورؤساء في الكنيسة، وأهلتنا لكي نتألم في سبيل اسمك وأن نموت لأجل أنفسنا ولأجل كنيستك المقتداة بدم حبيبك ربنا يسوع المسيح. فتقبل يا رب ذبيحة أجسادنا، فتكون لك تقادم طاهرة ومقبولة، وأهلنا لميراث القديسين في النور. قَوّ ضعفاء شعبك، وثبت الأمناء أبان ضيقاتهم. واصنع معهم آية حسنة ليرى مبغضوهم فيخزوا لأنك أنت الرب مساعدنا ومعزينا، ولك يجب أن يؤدي الملائكة والبشر المجد والإكرام والتعظيم على كل تدبيرك الحكيم، الآن وكل أوان إلى أبد الدهور." فأجاب الحاضرون كلهم: "آمين" ثم أضافوا وقالوا: "بارك يا سيد، بارك يا سيد." فرفع شمعون يمينه وباركهم قائلاً: "لتكن القوة القاهرة في عوننا إلى الأبد: آمين".

بعد هذا دنا عشرة من العظماء وأخذوا يقدمون عشرة عشرة من الشهداء للسيف. وكان القديسون يتقدمون فرحين مسبحين لله. وكان المغادرون منهم يقبلون الباقين. أما الطوباوي شمعون فكان لا يني يشجعهم ويقول: "دوسوا يا أبنائي شوكة الموت الذي حطمه يسوع بموته." وبعد أن استشهد مائة منهم، رفع شمعون صوته وقال، وقد رأى جثثهم ملقاة أكداساً أكداساً: "أين شوكتك يا موت، وأين غلبتك يا جحيم؟ الشكر لله الذي أولانا النصر بيسوع المسيح ربنا." وأضاف قائلاً: "ما أحسن وما أجمل الأخوة الذين تكللوا معاً! وما أبهى إكليل الشهادة الذي كل في المائة!".

وبقي شمعون مع اثنين من الكهنة المسنين، اسم أحدهما حننيا والآخر عبد هـيكلا. وحينمـا شرعوا يعرون حننيا من ثيابه صار جسمه يرتجف، ولكن ظل رابط الجأش. وكان ثمة رجل من العظماء اسمه فوسي، وهو رئيس المهنيين، وكان الملك قد رفع منزلته في تلك الأيام. فهذا إذ رأى الكاهن الشيخ يرتعد، قال له: "يا حننيا، لا تخف، أغمض عينك برهة فتشـاهد نـور المسيح". وهكذا استشهد ذاك الطوباوي. أما فوسي، فقد ألقي القبض عليه بأمر مـن رئـيس الحكام الذين كان يمثل أمين الملك. فشدوا وثاقه، ريثما يُرفع أكره إلى الملك. وبعد حننيا جاء دور عبد هيكلا الذي نال إكليل الشهادة أيضاً.

حينئذٍ تقدم شمعون الجبار وصلى قائلاً: "أيها الرب يسوع، يا من صلى لأجل صالبيه وعلّمنا أن نصلي من أجل أعدائنا، وتقبل روح اسطيفانس خادمه الذي صلى لأجل راجميـه، تقبـل أرواح أخوتنا هؤلاء، وتقبل معهم روحي أيضاً مع جميع شهدائك الذين تكللوا فـي المغـرب ومع الرسل القديسين والأنبياء الطوباويين. ولا تحسب هذه الخطيئة على مضـطهدي شـعبك وقاتلي أجسادنا، بل هب لهم يا رب إن يرجعوا إلى معرفتك. بارك يا رب المدن وجميع قرى أرض المشرق التي سلمتها إليّ، واحفظ مؤمنيها كحدقة العين. واسترهم بحمايتك إلى أن يزول الاضطراب. وكن معهم إلى منتهى العالم حسب وعدك. بارك يا رب هذه المدينة أيضاً التـي فيها استشهدنا، وليكن صليبك حافظاً لها في الإيمان الحق، الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور. آمين" وما أن أنهى الطوباوي شمعون هذه الكلمات حتى حزّ السيف رأسه ونال إكليل الشهادة والظفر. وكانت الساعة التاسعة من يوم جمعة آلام الرب.

ولدى هذه الأحداث، ثارت عاصفة وأظلمت الشمس بغتة واستحوذ الهلع جميع الحاضرين. أما جثث الجاثليق مار شمعون برصباعي ورفاقه الأساقفة والقديسين فقد اختطفها في تلك الليلـة أناس من الأسرى الروم القاطنين في كرخ ليدان ودفنوها بإكرام. وكذلك المؤمنون الذين جلبهم الملك من شتى الأمكنة لمشاهدة الحدث التمسوا بركة أجساد القديسـين. فاسـتجاب رغبـتهم الأساقفة الذين كانوا في ذلك الزمان في المدينة والذين وحدهم من جميع سكان المشـرق لـم يتعرضوا للمضايقات والقتل. لأن المدينة كانت قد شيدت حديثاً. وكان الملك يريـد أن يخـيم السلام فيها. وكانت الشعوب الساكنة فيها قد سباها حديثاً من مختلف الأماكن وأسكنها فيهـا. وكان يشفق عليهم لكونهم مسبيين.

(لقد وضعنا قصة مار شمعون برصباعي جاثليق المشرق ورفاقه الذين استشهدوا معه، بعون نعمة الله، معتمدين الروايات التي نقلها إلينا أناس مجدون ممن سبقوا عهدنا، وكتبناها بإيجاز).

* وجاء في كتاب الفرض الكلداني (الحوذرة ٣ص٢٣٢-٢٣٣):

الجمعة السادسة من الصيف – تذكار مار شمعون برصباعي الجاثليق البطريرك، تلميذ مـار فانا الجاثليق، والآباء الذين تكللوا معه. لقد استشهدوا في جمعـة الآلام سـنة ٦٥٥ يونانيـة

(والأصح سنة ٦٥٢) في كرخ ليدان في مقاطعة الأهواز. في عهد شابور الملك. وأرجئ تذكارهم إلى جمعة المعترفين، وهي ذكرى الشهداء عامة. أما التذكار الذي يقام في هذه الجمعة، فيشير إلى يوم تكريس مذبح مار شمعون برصباعي في كرخ ليدان. ودفن مار شمعون في شوشان في منطقة عيلام وهي تدعى شوش. ولمار شمعون برصباعي رسائل. ويقال أنه هو الذي قال هذه التراتيل:

يا عارف أفكار البشر... ܝܕܥ ܚܘܫܒܐ...

وإن نزعتم... ܐܢ ܚܠܝܬܘܢ...

بعين الفكر والحب... ܒܥܝܢܐ ܕܪܚܡܬܐ...

ويقول ابن العبري أنه هو الذي رتب بأن تتلى الصلوات على جوقتين في كنائس الشرق، كما كان قد نظمها في الغرب أغناطيوس النوراني تلميذ مار يوحنا الإنجيلي (طالع التاريخ الكنسي ٢، ٣٢).

(١١) استشهاد مار فوسي

كان فوسي يتحدر من الأسر المسبية التي أتى بها الملك شابور[٧٢] من منطقة الروم وأسكنها في مدينة "بيشابور" في منطقة فارس. وكان والد فوسي من جملة أولئك المسبيين، وكان مؤمناً بالمسيح ويعيش في الرخاء والأمان في بيته. فسكن بأمر الملك في مدينة بيشابور واستقر فيها وتزوج من امرأة فارسية من سكان تلك المدينة. فتلمذها ثم عمد أولاده ورباهم تربية مسيحية أصيلة.

ولما شيد شابور الملك مدينة "كرخ ليدان" وأتى بمسبيين من مختلف الأماكن وأسكنهم فيها، شاء أن ينقل إليها نحو ثلاثين عائلة من جميع المدن والبلدان الخاضعة له، لكي يمتزج المسبيون بهم ويرتبطوا بهم بروابط التزاوج والتآلف، لئلا يتيسر لهم الهرب شيئاً فشيئاً والعودة إلى البلدان التي جُلبوا منها. هذا ما تمخض عنه دهاء شابور. أما الله برحمته فقد جعل الأمر ينقلب إلى الخير. فبامتزاج المسبيين مع الشعوب الوثنية، أعادها إلى معرفة الحق والصراط المستقيم. فاقتضى أمر شابور أن تُجلب أسر من مدينة بيشابور أيضاً إلى كرخ ليدان، أسوة بسائر المدن الأخرى. وكان من جملة الذين نُقلوا إليها من بيشابور الطوباوي فوسي وامرأته وأولاده وسائر أقربائه. وكان فوسي صانعاً ماهراً يتقن نسج الأقمشة وتطريزها بالذهب. وكان من بين الصناع المهرة الذين جمعهم شابور من المواطنين المسبيين

[٧٢] هو شابور الأول (٢٤١-٢٧٢) الذي غزا منطقة الروم وأتى منها بأسرى كثيرين وأسكنهم في البلاد الفارسية.

www.karozota.com

وأقام لهم مجمعاً سكنياً ومصنعاً بجانب بلاطه في كرخ ليدان. وأطرئت مهارة فوسي أمام الملك، فأسبغ عليه هبات سخية وعظم شأنه، ثم أقامه بعد وقت قصير رئيساً لصناعه، وكانت منزلته تعلو يوماً فيوماً ويرتفع شأنه.

وحدث أنه في الوقت الذي فيه أثير الاضطهاد على الكنائس وأُسِرَ شمعون ورفاقه وجُلبوا أمام الملك، كان شابور منذ بضعة أيام قد رفع منزلة فوسي إذ أقامه رئيساً للصناع في المملكة كلها. وبعد أيام، أمره الملك بالذهاب إلى صناع مدينة شادبور التي تدعى بالآرامية "راما". ولدى مغادرته المدينة، رأى جماعة المعترفين المائة والثلاثة وهم يساقون إلى القتل. فرافقهم فوسي ليرى خاتمة مطافهم وشهادتهم. وحينما وصلوا إلى موضع تنفيذ الحكم فيهم، وسقط مائة منهم بحد السيف، جاء دور حننيا الكاهن الطاعن في السن. فأخذ جسمه يرتعد ليس من الخوف بل من جراء ضعف الشيخوخة. وكان حننيا كاهناً جليلاً من كنيسة مدينة ساليق في بيث آرامايي. ولما رآه فوسي يرتعد، ظن إن ذلك آتٍ من الخوف. فصرخ بصوت عالٍ من بين الجميع وقال له: "تشجع حننيا ولا نخف: أغمض عينيك برهة فتشاهد نور المسيح".

ولما سمع الجمع هذا الصوت، دهشوا من شجاعة فوسي في تلك اللحظة الرهيبة، وكأني به في ذلك الحين قائد حكيم ما أن يرى أحد جنوده متخاذلاً في الحرب حتى يشجعه ويشدد عزميته ويكلمه عن ضعف الأعداء وعن بسالة الكتيبة التي ينتمي إليها، وعن قوة المملكة التي يخدمها، وعن الهدايا التي سيوزعها الملك على المقاتلين والشرف الذي ينتظر البواسل منهم. هذا ما فعله فوسي الحكيم حينما شجع حننيا الشيخ وحثه على أداء الشهادة برباطة جأش.

فاعترى الذهول رئيس الحكام والأمناء الذين معه لدى مشاهدتهم ذلك الرجل الذي كانوا يظنونه من خيرة المجوس، وقد تلقى المزيد من الإكرام والهبات من الملك، وإذا به الآن زعيم لمعسكر المعترفين ومشجع للمسيحيين. فأصدر على الفور بإلقاء القبض عليه وتقديمه للمحاكمة. ولما جيء به، سأله رئيس الحكام: "أأنت مسيحي؟" فأجابه فوسي الشجاع: "لا حاجة إلى هذا السؤال، فإن كلامي يشهد لكوني مسيحياً." فقال له رئي الحكام: "أأنت بنفسك انضممت إلى هذا المذهب، أم أنك تلقيته من آبائك؟" فأجابه فوسي: "معاذ الله أن أنكر إيمان آبائي. إني لقد ولدت في المسيحية." فأمر رئيس الحكام بزجه في السجن ريثما يُرفع أمره إلى الملك.

وفي صبيحة السبت التالي لجمعة الآلام التي فيها استشهد مار شمعون ورفاقه، دخل رئيس الحكام على الملك وأخبره بما تكلم به فوسي. فانذهل الملك لدى سماعه ذلك وقال: "بحظ الآلهة، إني لم أكن أدري أن هذا الرجل مسيحي وإلا لما ائتمنته يوماً واحداً على شؤوني ولا رقيته إلى هذا الإكرام. كنت أحسبه فارسياً من بني مذهبنا. إنها لجسارة فائقة، فهو لم يكتف بانتمائه إلى هذا المذهب، بل أصبح مشجعاً ومحرضاً للآخرين. قسماً بالآلهة إنه إذا لم يرعو عن هذا الضلال ويندم على ما قاله. فإني لن أتيح له أن يرى نور الشمس يوماً آخر".

وأمر الملك بأن يمثل فوسي أمامه، ولما دخل، سجد أمام الملك.

م- كيف تجرأت أيها الشقي فاحتقرت شأني وأهنت جلالتي ولم تقم وزناً لأمري الذي يرهب الأمم والممالك ونطقت بما أخبرني به رئيس الحكام؟

ف- حاشا لعبد الله الحي أن يحتقرك أيها الملك العزيز.

م- كيف أصدق ما تقوله وقد تجاسرت وأقسمت أمامي بالإله وليس بالآلهة؟

ف- أقسمت بالله لأني مسيحي، ولا أقسم بالآلهة لأني لست وثنياً.

م- وكيف تعتبرني ملك الملوك العزيز القوي وقد تجاسرت وقلت أمامي أنك مسيحي؟

ف- أيها الملك الفاضل، إني قد ولدت مسيحياً وتربيت في المسيحية. فأنى لي أن أنكرها مع علمي أنها حياتي؟

م- لا تقل أمامي بعد أنك مسيحي.

ف- مهما سألتني في هذا الشأن، فسأقول لك أني مسيحي.

م- أيها الشقي، ألست واقفاً أمام ملك الأرض كلها؟ فكيف تخاطبني مخاطبة الند للند؟

ف- لا قولن سيدي الملك هذا عن أحقر عبيده. فإني لست أخاطبك كالند، بل كعبد الله وعبد ملك الملوك.

م- وكيف تقول أمامي أنك مسيحي؟ ألا تخجل من أن تعترف أمامي بالمذهب الذي أمقته؟

ف- أرعني سمعك أيها الملك الفاضل: إني أعترف أمام جلالتك بالديانة المسيحية ولا أخجل. فإن أحد عبيد الله يقول: "أنطق بشهادتك أمام الملوك ولا أخزى"[٧٣]. وقال المسيح الذي أعترف به: "من يستحي بي وبكلامي، يستحي به ابن الإنسان أيضاً"[٧٤]. أما قول الملك أنه يبغض الديانة المسيحية، فإن كنت تبغضها أيها الملك، فهناك من يحبها، وهو الله الذي تدوم عبادته إلى الأبد.

م- أيها التعس، إني أقول لك ألا تصرح أمامي بكونك مسيحياً، وأنت الآن تستشهد أمامي بكتب النصارى.

ف- وحياة المسيح الذي أنا عبده، إن تأملي وتفكيري الدائم هو في ما سمعته من كتب النصارى.

فاحتدم الملك غيظاً لدى سماعه هذا الكلام وقال للملوك والعظماء الجالسين عنده: "ماذا يستحق هذا الرجل الذي ينطق بهذا الكلام أمامي؟" فأجابوه: "إنه يستحق أشنع الميتات." ثم قال لهم: "فماذا تقول إذن عن السحرة الذين يُعدون أساقفة وكهنة والذين يعترفون بالديانة المسيحية

---

[٧٣] مزمور ١١٨/ ٤٦.

[٧٤] لوقا ٩/ ٢٦.

ويعلمونها للآخرين، إذا كان هذا الذي نال مني أرفع المناصب يعترف الآن أمامي علناً بكونه مسيحياً، وهذا الذي تجرأ فحرض أحد المحكومين عليهم بالموت على الثبات ونبذ الخوف أمام السيف؟ فترى كم موتاً يستوجب هذا الرجل؟" فأجابوه: "إنه يستحق ألف موت وموت."

فقال الطوباوي فوسي: "وما الذي قلته، يا سيدي الملك، مما يستحق الموت؟" فقال له الملك: "ما تحدثت به مع ذلك المسيحي المحكوم عليه بالموت الذي خاف وهم بالرضوخ لإرادتي، كما قال لي رئيس المجوس." فقال الطوباوي فوسي: "لتأمر سيادتك، أيها الملك الصالح، بأن يردد المجوسي أمامي ما قاله فأسمعه." فأوعز الملك إلى رئيس المجوس في إعادة ما قاله قبل قليل بشأن فوسي. فقام وقال: "أيها الملك الصالح، عشت إلى الأبد ودام ملكك إلى الدهر: حينما كنا البارحة، أنا والأمناء وعدد غفير من المجوس، واقفين في الموضع الذي نفذ حكم الإعدام بأولئك السحرة الذين يدعون مسيحيين، لكي نرى لعلهم يتخاذلون ويطيعون أمر الملك، كان بينهم رجل شيخ شرع يرتعد حينما عروه وأوثقوه، ولعله كان يعمل بإرادة الملك لو لم يلق تشجيعاً من هذا الذي قان بغتة في وسط الازدحام وقال له: تشجع ولا تخف: اغمض عينيك برهة فتشاهد نور المسيح. أما أنا فحينما سمعت ذلك، تمنيت لو فغرت الأرض فاها وابتلعتني ولا أسمع هذا الكلام المشين لبلاد الجبابرة هذه ولشيعة المجوس. فما من أحد كان يظنه مسيحياً، بل كان الجميع يتخذونه مجوسياً."

فسأل الملك فوسي عن صحة هذه الأقوال، فأجاب:

ف- هكذا كان الأمر أيها الملك. إنما كذب المجوسي حينما ادعى أن الشيخ كان يريد أن ينجز أمر الملك. فمعاذ الله أن يحدث ذلك لدى المسيحيين الحقيقيين. فكان جسده ضعيفاً وليس فكره.

م- أيها الشقي المستحق الموت، لماذا تكلمني عن إرادة الرجل؟ أنت الذي قلت له تلك الكلمات."

ف- أجل لقد قلت لذلك البار هذه الكلمات، لأنه شريك معي في الإيمان، وسأفعل ذلك ما دمت حياً تجاه كل من يُقتل في سبيل المسيحية.

م- إن أبقيتك في الحياة فقل أكثر من ذلك.

ف- إني سأكون شاكراً، أيها الملك، إذا أسديت لي هذه النعمة وأهلتني لهذه الموهبة. وسترن أقوالي بعد موتي رنيناً أشد وأوسع في مسامع جميع المؤمنين.

م- أجب أيها الشقي على ما سألتك عنه: ألم أرفع شأنك إذ أرسلتك في شؤون تعود إلى مملكتنا؟

ف- بلى، أيها الملك، أن جلالتك رفعت شأني إلى درجة لم أكن أستحقها أنا أحقر عبيدك. وخرجت لأذهب في ما كلفتني به سيادتك، فرأيت في طريقي منظراً عجيباً استوقفني، ومنعني الله من التقدم إلى أبعد.

م- وما المنظر العجيب الذي رأيته؟

ف- وأي منظر أعجب من هذا وهو أن زمرة من أناس أبرار لم يأتوا بأية جريمة وهم يُقتلون في سبيل رجائهم بالله؟ إنهم ازدردوا العالم وأفراحه، ولم يخافوا منك أيها الملك العزيز الذي ترتجف أمامك جميع الشعوب، ولم يفزعوا من أمرك الذي يلقي الهلع في قلوب الممالك الجبارة، واحتقروا السيف المستل والموت الرهب، وأحبوا الواحد الأحد الذي هو الإله الحقيقي الأوحد.

م- أيها الغبي، أهذا منظر عجيب يستوقف المرء ليرى أناساً كسالى يموتون؟

ف- يا سيد الملوك، لا تفتر على عبيد الله. فلو كانوا كسالى، لما ماتوا في سبيل إلههم، ولأنهم ماتوا في سبيل إيمانهم بالله فمن الظاهر إنهم احتملوا في حياتهم أيضاً كل عناء وضيق في سبيل محبتهم لإلههم.

فغضب الملك لدى سماعه هذه الأقوال، وقال للملوك والأعيان الجالسين في حضرته:

م- أنه الآن لم يكتف بالتكلم عن نفسه، بل يتكلم عن رفاقه السحرة أيضاً. فأني لأقضين على جسارته بأشنع موت.

ف- أنا مستعد لكل أنواع الموت في سبيل الله، يا خيرة الملوك، لذا فأني أعلن عقيدة المظفرين بكل جرأة.

م- لماذا ازدريت بإكرامي أيها اللئيم؟

ف- إني لم أزدرد بإكرامك، ولكني أشتاق غاية الشوق إلى الإكرام الذي أناله من إلهي.

م- ألا تعلم أن كل مسيحي إنما يستخف بجلالتي؟

ف- معاذ الله أن يستخف المسيحيون بجلالة الملك إذا هو تركهم يكرمون الله كإله والملك كملك. أما إذا منعهم الملك من إكرام الله، فعليهم إذ ذاك أن يستخفوا بالإكرام الزمني الذي يأتيهم من الملك ويختاروا إكرام الله.

م- كل مسيحي إنما هو عدوي.

ف- لا يقولن الملك الصالح هذا الكلام، فإن كل مسيحي إنما يحب الملك.

م- ألا يكون كل مسيحي عدواً لي حينما لا يكمل إرادتي ولا يسجد للشمس والنار؟

ف- إن المسيحيين يكملون إرادتك في كل شيء إن كانت مطابقة لإرادة الله، أما إذا كانت إرادتك مخالفة لإرادة الله، فلا يحق لهم أن ينجزوا إرادتك قط.

م- أيها المنافق، كيف تكون إرادتي مضادة لله وأنا آمر بالسجود للشمس والنار والماء وهي أبناء هرمزد؟

ف- أيها الملك الصالح، أتسمح لي بأن أقول الحقيقة؟

م- لا مناص لك من الموت في كل الأحوال، فقل مهما شئت.

www.karozota.com

ف- وأنا أيضاً أشتاق إلى الموت، وأصلي لكي أموت في سبيل الحق ولا أحيا في سبيل الباطل. فإن إرادتك لا تطابق إرادة الله حينما تأمر بأن يؤدى للخلائق السجود الواجب للخالق وحده. ومن الواضح أن الله خالق السماء والأرض وكل ما فيهما يأمر الناس بألاّ يسجدوا لكل تمثال أو صورة مما في السماء وعلى الأرض وتحت الأرض. وقد قال لهم أيضاً ألا يرفعوا صوتهم أنظارهم إلى السماء فيروا الشمس والقمر والكواكب ويؤدوا لها السجود والعبادة. فكيف يتسنى لهم أن يتجاسروا ويخالفوا أمر الله؟ أما ما قلته من أن الشمس والقمر والنار والماء هي أبناء هرمزد، فإن كنا لا نسجد لأخي الشيطان فكيف نعترف بأبنائه؟

اضطرب الملك لدى سماعه هذه الكلمات القاسية، وقال للملوك والأعيان الجالسين في حضرته:

م- لم يكتفي هذا الأثيم بعدم السجود للآلهة، بل احتقرها أيضاً.

ف- إني لم أحتقر أحداً، أيها الملك الصالح. وإذا كان ما قلته سخرية، فإنما تعليم المجوس هو الذي يسخر بالإلهة ولست أنا.

م- لقد أصابك مس من الجنون، وأنا على يقين من أن هؤلاء السحرة هم الذين سلبوك عقلك، فانقلبت بغتة ضد أوامري وصرت عدواً لمملكتي واحتقرت آلهتي، لقد احتملتك طويلاً. والآن أنصحك بالكف عن هذا التفكير السخيف والتخلي عن هذا المذهب الأثيم. واخش بطش شابور ملك الملوك الذي هو من طبيعة الآلهة. وتذكر ما غمرتك به من الإجلال وارعو عما نطقت به، واعترف بذنبك أمام رئيس المجوس واقبل التأديب الذي تستحقه، فأعظم شأنك ثانيةً وأغمرك بالهبات، أما إذا لم تطع، فإني قد عزمت على أن أميتك شر ميتة، لتصبح عبرة لجميع الذين يتبعون ضلالتك.

ف- أيها الملك الصالح، عشت إلى الأبد ودام ملكك مدى الدهر. ارعني سمعك: إني لم أصب بجنون قط، ولم يغوني السحرة. بل أنا مسيحي منذ نشأتي، والمسيحيون يطردون الشياطين ويناوئون السحرة ويأمرون بقتلهم. وأني لم أعتنق مذهباً أثيماً قط، بل أنا على مذهب صالح يليق بعبد الله، وإني إذ أتذكر ما نلته منك من الإكرام، لا أنسى إكرام إلهي الذي يفوق كل إكرام، بل أتوق وأتلهف إليه. وأني أقسم بإلهي خالق السماء والأرض وكل ما فيهما، وهو ملك الملوك، بأني لن أخضع لأمرك هذا ولن أكفر بإلهي، ولن أقدم للشمس والقمر والنار والماء، ولا لأية من الخلائق السجود الواجب لله وحده. ونفسي وجسدي مستعدان لخوض غمار الموت. فافعل ما بدا لك، فلك السلطة على حياتي الجسدية، وبإمكانك أن تنتزعها مني حسب رغبتك.

م- انظر ما تجلبه على ذاتك، وفكر أني أمهلتك أكثر من شمعون الذي كان صديقي. فكر في ما حدث لشمعون الذي عصا أمري فسقط مع كثيرين بحد السيف. وبعد أن رأيت ما حدث له،

أبديت جسارة تفوق جسارته، وما زلت مصراً على عنادك. فأنا أنصحك ولكنك لا تسمع لي. وها أنا أقسم بالآلهة باني لن أمهلك أكثر هذه المرة. فأما أن تطيع إرادتي في نهاية هذا السؤال، وإلا فسأقضي عليك بموت رهيب.

ف- إنك صبرت عليّ صبراً يليق بجلالتك. أما الآن فألتمس من سيادتك ألا تجهد نفسك فتتصرف بالكلمات معي أنا أحقر عبيدك، بل نفذ فيّ بالفعل ذلك الموت الذي أعددته لي. لأن كلامنا نحن المسيحيين واحد، وقد تعلمنا من ربنا، وهو: نعم نعم، ولا لا. فإذا أهلتني أنت يا ملك الملوك لأموت في سبيل إلهي، فأن لساني سيكون عاجزاً عن أداء الشكر لرحمتك، إذ ليس بين جميع العطايا التي تلقيتها من سيادتك ما يوازي هذه العطية. وستعلم الآن أنه ليس ما هو قادر أن يفصلني عن محبة الإله الحقيقي، لا أنت يا ملك الملوك، ولا ملوك الأرض قاطبةً، ولا جميع ملائكة الله، ولا العلى ولا العمق وما فيهما...

حينئذ أصدر الملك أمره وقال: "اذهبوا به خارج المدينة، واضربوا عنقه في الموضع الذي فيه شجع المسيحيين، واستأصلوا لسانه، وليتعذب بموت أليم، لأنه تكلم بجسارة دون أن يهابنا نحن الآلهة."

وما أن سمع فوسي الشجاع هذه الأقوال، حتى سجد أمام الملك وقال: "عشت أيها الملك، إذ أنعمت عليّ بأن يقطع في سبيل الله لساني الذي نطق من أجل الله." وعلى الفور اقتاده المنفذون بسرعة وأخرجوه من عند الملك إلى ظاهر المدينة في الوقت الذي خرجت الأمس فرقة شمعون العظيم، وأخذوه إلى الموضع نفسه حيث استشهد القديسون. أما الملك، فأوعز إلى رئيس الحكام قائلاً: "سر عاجلاً في أثر ذلك الشقي، وحاول أن تنصحه لكي يكمل إرادتنا فيحيا ولا يموت، لأنه رجل نافع لمملكتنا. أما أنا فقد أقسمت ألا أعود فأحدثه بهذا الشأن. فاذهب أنت وابذل قصارى جهدك لكي يسجد ولو مرة واحدة للشمس فيحيا."

فخرج رئيس الحكام مسرعاً وراءه واستوقفه وأجلسه أمامه وشرع يقول له: "لا تسبب الخزي لبلاد الجبابرة. ولا تكدر ملك الملوك وتحزن أحباءك. اسمع نصيحتي واسجد مرة واحد للشمس وأرض الملك فتحي ولن تموت." فأجابه فوسي: "لمَ تتعب نفسك وتجهد فكرك؟ فقد تنازل ملك الملوك من الساعة الثالثة حتى السادسة وخاطبني بلطف ولم أنزل عند رغبته. أفتظن أني أقبل نصيحتك؟ معاذ الله. فلا تجهد نفسك، بل نفذ فيّ أمر الملك دون تأخير." فقال له رئيس الحكام: "إني لم أكن لأقول لك هذا، لو لم أعرف فكرة الملك وارتياحه بطاعتك لي. فإن الملك لن يغضب لكونك سمعتني ولم تسمعه، بل يفرح بذلك ويبتهج، لأني لست أفعل هذا دون رضاه."

فأجابه فوسي: "لقد سمعتني أنت وجميع الملوك والأعيان الماثلين أمام الملك إني لن أنفصل عن محبة الله في ربنا يسوع المسيح حتى إذا ناشدني في ذلك جميع ملائكة الله." فقال له رئيس

الحكام: "أنك يا فوسي لست أعمى ولا كليل البصر لكي لا ترى أن الشمس التي تنير الخليقة كلها هي إله."

إذ ذاك قال فوسي الصنديد: "إن كنا نخوض غمار الجدال، فلن تكفينا أيام عديدة لذلك. ولئلا أفحمك ويتأخر حكم الملك فيّ، اسمع باختصار ما أقوله لك: إن كل ما يرى ليس إلهاً بل خليقة خاضعة للتغيير. وإيماننا الصحيح والقويم يتجلى في كوننا نسجد لذاك الذي لا يدرك ولا يحد، وننتظر تلقي الخيرات اللامنظورة.. أما أنتم، فلكونكم من هذا العالم، فإنما تنتظرون الأمور المنظورة ليس إلا. أما نحن فنترجى الأمور الخفية. وقولكم إن الشمس تغمر الخليقة بنورها، فإن هذا النور ليس ملكاً للشمس التي لا وعي لها بما تمتلكه. فهذه المزايا تعود إلى الخالق الذي أبدع الشمس وأولاها هذا البهاء. لذا فإننا نحن المسيحيين لا نتعجب من الشمس بل من خالقها، ومن خلال أشعتها نرفع الحمد لمبدعها..." حينما سمع رئيس الحكام هذه الكلمات، قال: "ويحك، يا فوسي، وا أسفاه لجمالك الذي يفسد ولحكمتك وأقوالك العذبة. فامض إذن ومت موتاً شنيعاً حسب أمر الملك".

حينئذ نهض فوسي البطل ومضى مسرعاً إلى الموضع المعد له، ونزع ثيابه وأعطاها لأحد ذويه. فتزاحم عليه ألوف المؤمنين المجتمعين هناك واختطفوا ثيابه ومزقوها وتقاسموها فيما بينهم للبركة. فانذهل رئيس الحكام والمجوس الذين معه كيف أن المسيحيين ينتزعون هذه الثياب ويعتبرونها أثمن المواهب. وبينما ساد الاضطراب، جثا الطوباوي وشرع يصلي ويقول: "أحمدك يا إله الحق الذي تلقيت معرفتك من آبائي وتربيت بمقتضاها واعتمدت بالعماد المقدس باسم ثالوثك المجيد، الآب والابن والروح القدس، عربون التبني. فأصبحنا به ورثة وشركاء جسد المسيح الذي تألم لأجلنا ومات وبعث وقام، وبه تجلت لنا قيامة الأموات، وبصعوده انفتح لنا ملكوت السماوات. والآن أهلنا برحمتك لنكون وسطاء الحق أمام أعدائك، فنشهد أمام الملوك والعظماء لكونك أنت إله الحق وحدك مع مخلصنا يسوع المسيح الذي به خلصتنا وأعدتنا وقربتنا وقدستنا وجددتنا. امنحني يا رب أن أفرح بالنور الذي ناديت به على مسامع حننيا أمام أعداء الحق، في ذلك الميراث الذي هيأته لقديسيك في نورك الأبدي. فأفرح وأبتهج وأشيد باسمك العلي. وليكن الوعد الذي قطعته لبطرس حارساً لكنيستك لئلا تضطرب من أهوال الجحيم، ولكي تعترف بك اعتراف بطرس وتقول: أنت المسيح ابن الله الحي. ولك وله وللروح القدس المجد والإجلال والتعظيم، الآن وكل أوان وإلى أبد الدهور. آمين."

ولما انتهى قال للسياف: "اقترب الآن وأنجز ما أمرت به." فدنا السياف وطرحه على الأرض على وجهه وجلس على كتفيه، وأخذ سكيناً وشرع يشق رقبته حتى قمة رأسه. ودام على هذا العذاب نحو ساعة كاملة. وأخذ عجيج بكاء الحاضرين يرتفع إلى عنان السماء والقديس صابر أمام هذا العذاب الهائل. ثم قطع السياف لسانه واقتلعه من قفا رقبته. وللحال فاضت روحه.

وكان ذلك في الساعة عينها التي تكلم فيها بالأمس مع حننيا. وجرى استشاهده يوم السبت عشية أحد القيامة المجيدة.

وإذ لاحظ الأعداء إنه لم يبق شيء من جثث المائة والثلاثين الذين قتلوا في اليوم السابق، بل أخذت كلها ووريت الثرى، وحتى الأماكن التي فيها سفكت دماؤهم باتت لا تعرف لأن المسيحيين أخذوا التراب الملطخ بالدم تبركاً، أمروا بإقامة الحراس على جثة الشهيد. وشاء الله القدير، فانهال برد شديد على الحراس، دون أن يصيب المؤمنين الكامنين هناك بأي أذى. فولى الحراس الأدبار ودخلوا المدينة وهم يصرخون ويولولون من الألم من الألم. إذ ذاك قام واحد من المؤمنين المختبئين هناك ودنا مع ابنه من جثمان الشهيد، ووضعاه في كيس وحمّلاه على حمار وأتيا به بسرعة إلى المدينة. ولدى دخولهما إلى المدينة خيم على المدينة ظلام دامس حتى باتا لا يميزان طريقهما إلى منزلهما. أما الحمار فسار إلى الأمام دون أن يتوجه إلى منزل صاحبه، بل سار في طريق آخر حتى جاء ووقف على باب امرأة من المسبيين كانت مترهبة تقضي حياتها في النسك والأعمال الصالحة دون أن تغادر منزلها. وكانت كئيبة باكية لكونها لم تستطيع الخروج لتوديع شمعون والذين استشهدوا معه ومن بعدهم فوسي، ولا أن تنال منهم أيه بركة. إلا أن الرب استجاب رغبتها. فبينما كان الحمار الحامل جثمان فوسي واقفاً على باب دارها، فتحت خادماتها الباب عند الفجر، فدخل الحمار إلى فناء الدار وظل واقفاً. فأوعزت الطوباوية إلى خادمتها في إخراجه. وحاولت أن تفعل ذلم دون أن تفلح. وجاءت الطوباوية لمساعدتها، ولكن دون جدوى. فقد أبى الحمار مغادرة الدار. فاستدعت الراهبة أخاها الساكن بجوارها ليأتي ويخرج الحمار. فجاء وتناول قضيباً وضرب به الحمار ضرباً شديداً، ولكنه لم يخرج ولم يتحرك من موضعه. فدنا الأخ ولمس الحمل وإذ فيه جثة يقطر منها الدم. فقال لأخته: "أيتيني بسراج لنرى، فلعل الله أرسلنا عطية." ولما جاءوا بالسراج وأنزلوا الحمل وفتحوا الكيس، فإذ فيه جثة. ولما أمعنوا النظر فيها، ألفوها جثة فوسي، وكانوا يعرفونه جيداً لأنه من مدينتهم. وكان جرح رقبته حيث استل منه لسانه يشهد عليه شهادة واضحة. وما أن أنزلوا الحمل، حتى ركض الحمار وخرج من الدار وتوجه إلى منزل صاحبه. أما صاحبه، فلم يبحث عن الجثة، خوفاً من الفرس، فقامت تلك الطوباوية مع أخيها وحنطا جسد فوسي باعتناء كبير، ثم دفناه باكرام ليكون بركة لأهل المدينة.

استشهاد الراهبة مرتا ابنة فوسي

كان للشهيد فوسي ابنة راهبة اسمها مرتا. فوشي بها، وألقي القبض عليها في الساعة الثالثة (التاسعة) من أحد القيامة. وجلبت أمام رئيس الحكام، فدخل هذا على الملك وأخبره بشسأنها. فأمره الملك بأن يستنطقها لتختار بين أمور ثلاثة: أما أن تتخلى عن مذهبها وتجحد المسيحية،

أو أن تتزوج، أو أن تسلم إلى القتل. فخرج رئيس الحكام وسأل مرتا وقال: "ماذا أنت؟" فأجابته الطوباوية مرتا بتهكم: "إنني امرأة، كما ترى." ولما سمع الحاضرون سؤال رئيس الحكام وجواب مرتا الحكيمة عليه، طأطأوا رؤوسهم خجلاً. أما الحاكم، فأصفر وجهه من الغضب والخجل، ولكنه سيطر على ذاته وقال لها: "أجيبيني عما سألتك عنه." فقالت له مرتا: "لقد أجبت عما سئلت. فأنك سألتني: ماذا أنت، فقلت إنني امرأة، كما ترى."

ح- إني سألتك من أي مذهب أنت؟

م- إنني مسيحية وثيابي تشهد لذلك.

ح- أطلعيني على الحقيقة: هل أنت ابنة فوسي الذي اعتراه الجنون فناهض أمر الملك ومات شر ميتة.

م- إنني ابنته حسب الجسد، وإنني بالإيمان ابنة فوسي الحكيم الذي اكتسب في الأمس الحياة اللامتناهية بالموت في سبيل إلهه. وليتني أكون ابن فوسي الطوباوي الذي ينعم الآن بصحبة القديسين في النور والراحة، وأنا ما زلت مع الخطأة في عالم الشقاء هذا.

ح- أصغي إلي فأنصحك بما يجديك نفعاً: إن ملك الملوك رحيم لا يسر بموت الناس، بل يريد أن ينضم الجميع إلى مذهبه وينالوا منه الإكرام. وقد أكرم أباك أيضاً ورفع شأنه. إلا أن أباك أذنب إذ أنطق أمامه بما لا ينبغي قوله. وناشده ملك الملوك أن يعود عن غيه ولك يرضخ، فمات ميتة شنيعة. فأنت الآن لا تصري مثل أبيك على رأيك الفاسد، بل أنجزي إرادة ملك الملوك سيد الأقطار كلها، وأسجدي للشمس، وأجحدي مذهب المسيحيين، فتنالي الإكرام ويحقق الملك كل ما يرضيك.

م- ليعش شابور الملك، ولتدم نعمته ورحمته فيه وفي أولاده، ولتكن له ولأخوته وأصدقائه هذه الحياة التي يحبها. وليحل الموت الشنيع الذي قلت إن أبي مات فيه بجميع الذين يحذون حذوه. أما أنا الأمة الوضيعة وأحقر أماء الله والملك، فماذا ينفعني المجد الزائل؟ لقد قر رأيي بأن أهان مثل أبي في سبيل الله وأن أموت مثله في سبيل الإيمان.

ح- أنا عالم بقساوة قلبك أيها الشعب الشقي. فلا يكن لرجل متمرد أن ينجب أولاداً مطيعين. غير إني أجهد نفسي لأعيد بك إلى عبادة الآلهة الصالحين المهتمين بخير المسكونة، لئلا أكون مذنباً أمام الآلهة لعد إسداء النصح إليك.

م- قلت كلامك وأنا قلت كلامي. ولو لم يكن مجد هذا العالم الفاني قد أعمى بصيرتك، لأدركت الحقيقة التي أنطق بها، ولسمعت وميزت النصيحة المجدية من المضرة، وتلك المؤدية إلى ملكوت السماء من المفضية إلى جهنم النار، وتلك التي تهب الحياة من التي تذيق الموت.

ح- اسمعيني الآن ولا تعادني وتصري على رأيك في كل شيء. وبما إنك لا تريدين أن تتخلي عن مذهبك، فافعلي ما شئت. ولكن اعملي فقط ما أقوله الآن لك ولم تموتي، فأنت الآن شابة رائعة الجمال، فتزوجي وأنجبي أولاداً وتخلي عن اسم الراهبة الدنس.

م- أيأذن الشرع الطبيعي بأن تعطى الفتاة المخطوبة لغير خطيبها؟

ح- كلا.

م- فكيف تأمرني أنا المخطوبة لآخر بأن أتزوج برجل ليس خطيبي؟

ح- أحقاً أنك مخطوبة؟

م- حقاً إنني مخطوبة.

ح- ولمن أنت مخطوبة؟

م- ألا تعرفه سيادتك؟

ح- أين هو؟

م- لقد سافر في شؤون تجارية إلى موضع بعيد، ولكنه عائد عما قريب.

ح- وما اسمه؟

م- اسمه يسوع.

ح- إلى أي موضع ذهب؟ في أي مدينة هو الآن؟

م- إنه مسافر إلى السماء وهو الآن في أورشليم العليا.

ح- (وقد أدرك معنى قولها) ألم أقل إنه شعب قاس وتمترد؟ ها أنا أخضب جسمك بالدم، فليأت خطيبك ويجدك تراباً وهباء ويتزوجك.

م- إنه حقاً سيأتي بمجد على السحاب ويواكبه الملائكة وقوات السماء ومعه كل ما ينبغي للعرس. ويبحث أجساد خطيباته من التراب، ويغسلها بالندى السماوي، ويدهنها بدهن الفرح، ويوشحها بثوب البرارة الناصع، ويلبسهن خواتم الحق ويضع على رؤوسهن إكليلاً بهياً من المجد الذي لا يحول، ويجلسهن على مركبته المجيدة، ويرتفع بهن في الفضاء، ويدخلهن إلى الخدر السماوي وهو المنزل الذي لم تصنعه الأيدي والمشيد في أورشليم العليا.

فلما سمع رئيس الحكام هذه الأقوال، تركها في موضعها ودخل على الملك وأخبره بكل شيء. فأمر الملك بأن يخرجوا تلك الوقحة بخارج المدينة فتقتل في الموضع الذي فيه قتل والدها في الأمس.

فاقتادوا مرتا البتول الطاهرة في ظهر يوم أحد القيامة. وبينما كانوا يهيئون لها موضع الإعدام، جثث أمام الله متجهة نحو المشرق وصلت قائلة: "أشكرك يا يسوع المسيح ربي وملكي وعريسي على أنك حفظت بتولي مصانة حسب وعودك، وحفظت إيماني بالثالوث المجيد الذي عليه نشأت وفيه رباني والدي وفيه اعتمدت، وفي الديانة التي في سبيلها استشهد

أبي فوسي أيضاً. أشكرك يا يسوع، يا حمل الله الحامل خطيئة العالم، فمن أجل اسمك استشهد الأساقفة والرعاة والكهنة والشمامسة والرهبان، وقتل أشخاص امتازوا بالنعمة أمثال كوشتازاد وفوسي والدي. والآن أذبح أنا الشاة الفتية أيضاً أمامك وقد سمنت في مروج أقوالك وارتويت من ينابيع مواعيدك. فأقدم لك ذاتي ضحية طاهرة مقدسة ومرضية أمام الثالوث المجيد والخفي الذي علمتنا أن نتتلمذ ونعتمد باسمه. أفتقد يا رب شعبك المضطهد، وأحفظهم في الإيمان الحق وسط أعدائهم، ليصيروا كالذهب الصافي في بوتقة الاضطهادات التي أثيرت على شعبك، ويتقووا بالسجود لسيادتك، ويسجدوا دون خوف، ويعترفوا بالآب والابن والروح القدس، الآن وكل أوان وإلى أبد الدهور آمين."

وما أن أنهت صلاتها، حتى اسرعت من تلقاء نفسها وذهبت وانحنت فوق الحفرة التي أعدوها لذبحها. ولما دنا منها السياف ليربطها، قالت له: "لا حاجة إلى ربطي، فإني أتقبل الذبح يقرح في سبيل إلهي." ولما رأت السياف يسكن السكين، ضحكت وقالت: "الآن لست أقول مثل اسحق: ها هي ذي النار والحطب، فأين الخروف لل١بيحة؟ بل أقول: هو ذا الخروف والسكين، فأين الحطب والنار؟ لكن لي حطباً وناراً: فالحطب هو صليب يسوع ربي، والنار هي تلك التي أضرمها يسوع في الأرض حين قال: "إني أتيت لأضرم ناراً في الأرض، وما أبغي سوى اضطرامها."[٧٥] وكان ألوف المشاهدين الواقفين هناك يتعجبون من جرأة مرتا ويؤيدون المجد لله الذي عباده مثل هذه الشجاعة.

واقترب السياف وذبحها مثلما يذبح الشاة، واستودعت نفسها للمسيح. ومكث الحراس عند جثتها طوال يومين. وفي ليلة الثلاثاء، بعد إن ازداد عدد المقتولين عوض المسيح في ذلك الموضع، جاء أخو تلك الراهبة التي كان قد سبق ودفن فوسي، ورشا الحراس، وأخذ جثة مرتا وحنطها ودفنها مع أبيها.

وكان استشهاد الطوباوية مرتا في يوم أحد القيامة المجيدة (١٦ نيسان ٣٤١).

وكانت الراهبة التي قامت بدفن فوسي وابنته مرتا تقيم لهما ذكرى في بيتها كل سنة طوال أيام حياتها. وبعد وفاتها، ورث ابن أخيها منزلها، وكان هو أيضاً مهتماً بإقامة ذكراهما، شأن ما كانت تفعله عمته الراهبة. وبعد موته، وقع خلاف بين ولديه بشأن ذخائر القديسين الشهيدين. وكان الذي ورث البيت يريد اقتسام الذخائر بينه وبين أخيه. ولما علم بذلك صوماي أسقف المدينة، أقنعهما وأخذ الذخائر منهما وأعطاها لكنيسة المدينة لتبقى ذكرى صالحة وكنزاً نفيساً

---

[٧٥] لوقا ٤٩/١٢

في كنيسة المسيح. وفعل الأسقف صوماي هذا في السنة الثامنة لملك وهران بن يزدجـــرد[٧٦]، وذلك بعد تسع وثمانين سنة من استشهادهما.

مجزرة الأهواز الرهيبة (استشهاد آزاد والأسقفين آمريا ومقيما والكـــاهن هرمـــزد وآخـــرين كثيرين لا يحصى عددهم)

في يوم الاثنين بعد عيد القيامة، جلب الحكام من شنى المناطق الواقعة تحت إدارتهم جموعـــاً غفيرة من الكهنة والشمامسة والرهبان والمكرسين، ومن النساء القديسات والراهبات، بعد إن عانوا مختلف ضروب المضايقات والشدائد من حكام بلدانهم. كما إن المضطهدين قبضوا على علمانيين كثيرين من مختلف القرى. وأتوا بجميعهم إلى كرخ ليدان مقر إقامة الملك. ودخـــل رئيس الحكام إلى الحكم وأخبره بشأنهم. فأمر الملك قائلاً: "اخرج وأسألهم. فإذا هم أطـــاعوا إرادتنا وسجدوا للشمس، أطلق سراحهم ليعودوا إلى منازلهم، وإلا فليكن مصـــيرهم مصـــير رفاقهم الذين قتلوا في الأمس."

فخرج رئيس الحكام، ومر بين صفوفهم، ونادى بأعلى صوته قائلاً: "لقد عفـــا عـــنكم ملـــك الملوك." فلما سمعوا ذلك سجدوا وقالوا: "ليعش ملك الملوك." وإذ ذاك قال لهم رئيس الجكام: "هكذا يقول ملك الملوك: لا تموتوا عبثاً، ولا تهلكوا باطلاً. أطيعوني واسجدوا للشمس التـــي تنير الأرض قاطبة، فإني أنا شابور ملك الملوك الذي أشارك طبيعة الآلهة أســـجد لهـــا، وإن فعلتم، فستحيون ولن تموتوا."فأجاب جميعهم بصوت عالٍ وقالوا: "ليعش الملك الصالح، فنحن لا نموت عبثاً ولا نهلك باطلاً، بل نحيا ولا نموت لأننا لا نسجد للشمس ولا نـــولي للخلائـــق المجد الواجب للخالق. فإننا نموت في سبيل إلهنا، ولا ننكر السجود لجلاله." فقال لهم رئـــيس الحكام أيضاً: "افأجتمعتم على عدم السجود للشمس؟" فأجابوه هاتفين: "أجل، وليسمع الجميع إننا مسيحيون ولا نسجد للشمس." فقال لهم رئيس الحكام: "إنكم والحالة هذه تتعرضـــون للســـيف والموت." فصرخوا كلهم: "إننا لن نموت، بل نحيا، لأن الموت في سبيل الله حياة."

حينئذ أمر رئيس الحكام بإخراجهم إلى الموضع الذي فيه قتل رفاقهم قبل يوم فخـــرج معهـــم ألوف من الناس، من الجنود ومن سكان المدينة، وازداد الازدحام لمشاهدة تلك القوافـــل مـــن الشهداء الذين لا حصر لعددهم. ولدى خروجهم، رنت أسواق المدينة وطرقاتهـــا بأصـــوات التراتيل والمزامير الصاعدة من أفواه الجموع الغفيرة من الرجال والنساء. وأخرج المجـــوس من السجن مجرمين كثيرين ليقوموا بقتل المسيحيين. ولكنهم لم يتمكنوا في ذلك النهار من قتل الجميع، بل بقي عدد منهم مقيدين بالسلاسل عند جثث القتلى، تحت مراقبة الحراس.

---

[٧٦] هو الملك بهرام الخامس ابن يزدجرد (٤٢١– ٤٣٨). وقد اضطهد المسيحيين بقساوة بربرية أدت إلى تدخل الروم البيزنطيين.

وقبل أن ينتهوا من قتل الأولين، جاءهم الحكام في اليوم التالي بمسيحيين آخرين يفوقون الأولين عدداً. وسئل الآخرون مثلما سئل الأولون، واعترفوا هم أيضاً مثل الأولين، وأصدر الحكم عليهم مثل الأولين. وقصارى القول، لقد عجز القاتلون ولم تكف السيوف للقتل، واشتدت المجزرة وكثر عدد القتلى، وتعب السيافون، وازداد تهافت المسيحيين على الموت وهم يسترخصون الحياة في سبيل الحقيقة والإيمان، وتفاقم اندفاعهم نحو الموت، وازداد عددهم يوماً فيوماً..

وكان كثيرون من المسيحيين عابري السبيل من مختلف البلدان، وبعض من الجنود الذين حضروا لمشاهدة قتل الشهداء، ينزعون ثيابهم ويختلطون بصفوف الشهداء ويعلنون عن كونهم مسيحيين فيقتلون هم أيضاً معهم. فسادت الفوضى وعم الاضطراب حتى أضحى القتلة يعملون السيف دون تمييز. وفي الخميس التالي لعيد القيامة، بينما كان السيف يحصد العديد من المسيحيين خارج مدينة ليدان، كان ثمة أحد أمناء الملك اسمه آزاد، وهو رفيق الشهيد كوشتازاد، وكان من بين أخص الأمناء لدى الملك وأكرمهم عنده. وكان آزاد مسيحياً ويشتاق إلى نيل إكليل الشهادة، ويحاول الحصول عليه دون التعرض للضغوط البشرية ولمكائد الشيطان وحيله. فإذ لاحظ تلم الفوضى السائدة، غير ثيابه ولبس زي الرهبان، ووضع على رأسه قبعة سوداء، ثم ذهب ووقف بين المعترفين. واعترف معهم هو أيضاً بكونه مسيحياً، ونال إكليل الشهادة. في يوم السبت، سأل شابور الملك عن آزاد، فخرجوا يفتشون عنه من بين الأمناء ولم يجدوه. وذهبوا إلى بيته، ولم يجدوه هناك أيضاً. ونادى المنادي في المعسكر طوال يومين بحثاً عنه، ولكن دون جدوى. وكان الجميع منذهلين لعدم وجود آزاد.

ولم يشأ الله أن يبقى أمر آزاد العجيب مكتوماً. فحضر أحد المجوس ممن يعرفون آزاد حق المعرفة وقال:"إن راهباً من المسيحيين الذين قتلوا يوم الخميس كان وجهه شبيهاً بوجه آزاد، وكذلك قامته. وظننته آزاد، ولكنني ترددت إذ رأيته لابساً ثياب الرهبان، وأردت أن أراه وأكلمه، ولكني خفت إذ لعله ليس آزاد فأجلب بذلك الظن علي حينما يراني الناس مخاطباً مسيحياً في ذلك الوقت الرهيب." وانتشر الخبر، وساد القلق في المعسكر، ووصل النبأ إلى العظماء وبلغ إلى الملك نفسه. فأمر بفحص الجثث على الفور. فخرجوا يفحصون الجثث التي كانت ما تزال تملأ المكان تحت مراقبة الحراس. فوجدوا بينها جثة آزاد مع رأسه، ,اخبروا الملك بالأمر. ولما سمع الملك، اغتم كثيراً وانذهل. ولما عاد إلى نفسه قال: "لا يكن قتل المسيحيين فيما بعد بهذا التسرع. فكل من يقبض عليه بسبب مسيحيته، يجب أن يسأل عن اسمه واسم أبيه وأمه وعشيرته ومدينته أو قريته، وتسجل أجوبته في كتاب، ثم يسأل عن مذهبه، وتسجل كذلك أجوبته، ويسأل مرات كثيرة ويضرب ويضايق. فإن لم ينبذ ديانته، فليرفع أمره إلينا نحن الآلهة، فنصدر عليه ما بدا لنا من الحكم." ووضعت هذه السنة في الأحد

التالي لعيد القيامة (أي في الأحد الجديد). وإذ ذاك خفت حدة الاضطهاد بعض الشيء وساد هدوء نسبي.

أما أسماء الذين قتلوا في تلك الأيام، فلم يستطع أحد أن يجمعها ويسجلها، لأن معظمهم كانوا من الغرباء، وبسبب الفوضى التي سادت هناك، ثم لأجل عددهم الغفير، ولأن الفرس لم يدنوا أسماءهم وأسماء آبائهم وبلدانهم ومدنهم وقراهم، لأن سيفهم حصدهم بصورة عشوائية وهمجية. ولكن عرفنا أسماء آمرياً ومقيماً اللذين كانوا من اساقفة بيث لافاط الأولين، وكذلك اسم الكاهن هرمزد الذي كان من مدينة شوشتر، لأنهم كانوا من البلاد وفيها قتلوا.

إن هؤلاء جميعهم استشهدوا في سبيل المسيح في اضطهاد ضار دام من خميس الفصح حتى الأحد التالي للقيامة، أي مدة عشرة أيام مستمرة، وقتلوا عند تل يقع جنوبي مدينة كرخ ليدان. وتحتفل هذه المدينة بتذكارهم ثلاثة أيام: الجمعو والسبت والأحد التالية لعيد القيامة. وكان استشهادهم في السنة الحادية والثلاثين لحكم شابور الملك[٧٧].

استشهاد تربو وأختها وخادمتها

في ذلك الزمان، داهم المرض الملكة التي كانت ميالة إلى اليهود. فقال لها هؤلاء مفترين: "إنما أختا شمعون قد سحرتاك انتقاماً لموت أخيهما." وما أن بلغت هذه الأخبار مسامع الملك، حتى أمر بالقبض على الراهبة تربو وأختها القديسة وخادمتها الراهبة التي كانت تربيها على التعليم المسيحي. وأتي بهن على باب قصر الملكة للاستنطاق. فأرسل رئيس الحكام واثنان من الأعيان لمحاكمتهن. وما أن مثلن أمامهم حتى بهرهم جمال تربو الرائع واستهوى قلوبهم، فجالت فيهم أفكار فاسدة دون أن يطلع أحدهم الآخر على ما يضمره لها في قلبه. فوجهوا إليهم كلاماً قاسياً قائلين لهن: "إنكن تستوجبن الموت لأنكن سحرتن الملكة سيدة المشرق." فأجابت توربو وقالت لهم: "ما هذه الذرائع الكاذبة التي تتهمونا لها وهي غريبة عن مذهبنا؟ وبم أخطأنا إليكم حتى تتهمونا بما هو بعيد عن حقيقتنا؟ وإذا كنتم عطاشاً إلى دمائنا، فمن يمنعكم من شربها؟ وإذا كنتم تائقين عن قتلنا، فإن أيديكم ملوثة به كل يوم، أما نحن فإننا نقتل كمسيحيات ولا نجحد، فإنه مكتوب أن نعبد الإله الواحد ولا نشرك معه آخر. ومكتوب أيضاً على إن على الشعب أن يبيد كل ساحر على وجه الأرض. فكيف إذن نجري السحر، في حين إن السحر وجحود الله أمران يستحقان الموت؟ وكان القضاء يسمعونها بصبر ومرارة، وهم ساكتون ومنذهلون من جمالها الرائع وحكمتها الغزيرة، معللين النفس بالأمني الكاذبة فيها، وكان كل منهم يفكر في نفسه ويقول إنه سيحاول إنقاذها ليتخذها امرأة له.

---

[٧٧] – إنها بالأحرى السنة الثانية والثلاثون لحكم شابور، أي سنة ٣٤١م.

فقال لهن رئيس الحكام: "إنكن انتقاماً لموت أخيكن خالفتن شريعتكن وسحرتن الملكة، ورغم إن هذا الأمر غير جائز لكن حسب قولكن". فقالت له تربو: بدافع البغض والحسد، إلا أنه حي في الملكوت السماوي الذي يزيل مملكتكم الأرضية ويحل سلطانكم وينقض كرامتكم الفانية."
بعد ذلك أرسلوهن إلى السجن. وفي اليوم التالي، أرسل رئيس الحكام يقول لتربو: "إني سألتمس من الملك وأنقذكن من الموت، على أن تصبحي لي زوجة." وما أن سمعت تربو هذا الكلام، حتى اغتاظت وقالت: "أسدد فاك أيها الأثيم عدو الله، ولا تضف كلاماً آخر، لأن صوتكم الدنس لا يجد منفذاً إلى مسامعي، ولا كلامكم البذيء الذي سبيلاً إلى فكري الطاهر فإني خطيبة المسيح، وأحافظ على بتولي لأجله، وأعلق رجائي به، واستودعه حياتي. فهو قادر على إنقاذي من أيديكم الدنسة ومن الأفكار السيئة التي تضرمونها لي. فأنا لا أخاف من الموت ولا أفزع من القتل، لأنكم بذلك تمهدون لي السبيل لأذهب وأرى أخي الحبيب الأسقف شمعون، فأتعوى عن جميع ضيقاتي وأحزاني عليه."
كذلك أرسل من العينين إليها، يعرض كل منهما عليها العرض نفسه سراً. وكان جوابها ردعاً حاسماً ورفضاً عنيفاً قاطعاً. وإذ ذاك أتفق الثلاثة وشهدوا زوراً قائلين: "إنهن حقاً ساحرات." وبالرغم من ذلك أرسل الملك أمره بألا يقتلن إذا سجدن للشمس، إذ لعلهن لا يعرفن السحر. ولما سمعت المعترفات هذا الكلام، قلن: "إننا لا تستبدل إلهنا بخليقته، ولا نؤدي السجود الواجب لخالقنا للشمس التي هي صنع يديه، ولا نتخلى عن يسوع مخلصنا خوفاً من تهديداتكم." فعلاً ضجيج المجوس لدى سمعاهم هذه الكلمات وقالوا: "لتبد هؤلاء اللواتي سحرن الملكة وسببن في مرضها." فأذن للمجوس بقتلهن حسبما شاؤوا. فأمر بأن تقطع أجسادهن وتعبر الملكة فوق أشلائهن فتشفى. وبينما كانوا يقتادونهن إلى الموت، أرسل رئيس الحكام إلى تربو وقال لها: "إذا أذعنت لي لي، فلن تموتي أنت ولا رفيقاتك." فزجرته القديس بصوت عالٍ وقالت له: "أيها الدنس الشبق، لماذا تتكالب بجنونك على ما لا يحل لك؟ فإني لأموت ببسالة لكي أحيا، ولا أريد أن أحيا لكي أموت."
فأخرجوا القديسات الثلاث إلى ظاهر المدينة، وضربوا لكل منهن وتدين وشدوهن برؤوسهن وأرجلهن على تلك الأوتاد، كالنعاج التي تجز، ثم نشروا أجسادهن من وسطها فصارت ست قطع، وضعوا القطع في ست قفف وعلقوها على ستة أخشاب ذات أغصان، وفرشوا ثلاث منها على هذا الجانب من الطريق والثلاث الأخرى على الجانب الآخر... يا له من منظر أليم! أنصاف صلبان تحمل أنصاف أجساد! إنه لمنظر تشمئز منه النفوس وتخجل منه العيون وتتقزز منه الابدان! ثم أتوا بالملكة وطافوا بها وسط تلك الأجساد، وتبعها موكب الجنود... استشهدت هؤلاء القديسات في الخامس من أيار سنة ٣٤١.

استشهاد مار ميلس أسقف سوس وأبورسام الكاهن وسيناي الشماس

كان ميلس من مقاطعة رازيق[٧٨]، ونشأ منذ صغره في خدمة الملك الأرضي. إلا إن النعمة لم تدع هذا الإناء المصطفى أن يكون أرضياً شأن سائر الناس، بل اقتادته إلى خدمة الملك السماوي مثل ملاك. فاقتبل العماد، وألهمه الله أن يسير عادة خطى المسيح في البتولية. وكان يمارس التقشف ويعكف على الصوم والسهر، ويهذب نفسه بالتعليم الإلهي. فنمت في قلبه كلمة الله، وانفتحت أمامه آفاق معرفة الرب، واضطرمت فيه نار محبته، حتى إنه لم يستطع البقاء في الموضع الذي نشأ فيه، إذ كان مدعواً ليصبح مفيداً لكثيرين. فغادرة مدينة بيث لافاط ونزل إلى مدينة عيلام، وفيها تقع قصبة شوشان (سوس) حيث دفن شمعون برصباعي. وأخذ يبشر هناك بكلمة الحق كل يوم وبجهد نفسه طوال ثلاث سنين. ونمت في قلبه محبة الكنيسة، وتدرج في الرتب الكنسية حتى وصل الأسقفية التي اقتبلها من يد كدياب أسقف مدينة بيث لافاط الذي استشهد هو أيضاً في سبيل المسيح. وطوال السنين التي أمضاها ميلس في تلك المقاطعة، لم تستجب المدينة إلى رغبته في ما يرضي الله. وتعرض هناك لمضايقات عديدة، حتى إن الوثنيين رجموه وسحلوه وأخرجوه من المدينة. وكان كل يوم يعاني من العذابات صابراً. ولما رأى إن المدينة شديدة التمسك بالوثنية والمجوسية، غادرها ولعنها قائلاً: "لأنك لن ترضي بأن تشادي بالسلام، فسينقض عليك الدمار بغتة وسيحل بك الخراب عاجلاً، فتتهدم مبانيك الشامخة ويتبدد سكانك المتعجرفون."

ولم تمض ثلاثة أشهر على خروج القديس منها، حتى صدر عظمائها أمر غاظ الملك. فأرسل هذا جيشاً ومعهم ثلاثمائة فيل، فهدموا منازل المدينة وقتلوا جميع كنائسها وتركوها قاعاً صفصفاً.

أما القديس فحج إلى القدس لا يحمل في مزودته سوى الإنجيل. ومن هناك انحدر إلى مدينة الإسكندرية قاصداً الطوباوي أمونيس تلميذ أنطونيوس أبي الرهبان. ومكث هناك سنتين وهو يتفقد الأخوة وأديرتهم المنتشرة في البرية. وبينما كان في طريق العودة إلى بلاده، وجد راهباً كان يجلس وحده في كهف. وإذ عكفا معاً على صلاة الصبح، إذا بحية كبيرة قبيحة المنظر طولها اثنتان وثلاثون ذراعاً شرعت بالدخول إلى المغارة حسب عادتها، إذ كانت تسكن هناك. ولما رآها ميلس، لم يخف ولم يفزع، بل تشجع ومد يده نحوها وقال لها: "لم تتجاسرين أيتها الحية الرقطاء عدوة البشرية فتخرجينا لتدخلي أنت المغارة؟ فها إن حربة الرب تشقك إلى شطرين." وإذا بالحية تنتفخ وتنفجر من راسها إلى ذنبها. فسأل ميلس ذلك الأخ وقال له: "هل

---

[٧٨] رازيق أو بيث رازيقايي هي مقاطعة ري الواقعة في بلاد الماديين العليا. وتوجد أطلالها على بعد ٤٥كم في الجنوب الشرقي من طهران.

سبق ورأيت هذه الحية ههنا؟" فأجابه: "إنها كانت تسكن هذه المغارة دوماً. وأنا أيضاً أسكنها منذ مدة، ولم تلحق بي أي أذى." فأنحى ميلس إليه باللائمة وقال له: "بما إن الله قد جعل عداوة بين البشر والحية، فلماذا كنت تصدق عدوك وتسكن معه في موضع واحد؟" ثم نقل ذلك الأخ من هناك إلى موضع آخر.

وواصل الطوباوي سفره إلى مدينة نصيبين حيث كان الأسقف مار يعقوب يبني الكنيسة. فمكث هناك زماناً يسيراً ينعم بصحبة ذلك القديس الكبير، ثم انحدر إلى حدياب. ومن هناك أرسل إلى القديس يعقوب بمقدار كبير من النسيج الحريري لتغطية نفقات الكنيسة.

ومن هناك نزل إلى منطقة آرامايي حيث وجد أحوال المسيحيين تسودها الفوضى والخصام بسبب فافا بن عجي أسقف ساليق وقطيسفون وسلف مار شمعون برصباعي. فلاحظ إنه يتكبر ويتطاول على أساقفة البلدان المجتمعين هناك لمحاكمته، ويتعجرف على كهنة مدينته وشمامستها. فعلم إن سقوط هذا الرجل المتكبر وشيك. فقام في الوسط وقال له: "لماذا تتجاسر وتتكبر على اخوتك وأعضائك وتحسدهم وتحتقرهم كمن لا إله له؟ ألم يقل الكتاب: من أراد منكم أن يكون كبيراً فليكن لكم عبداً"؟[٧٩] فقال له فافا: "أو تعلمني ذه الأمور، يا جاهل؟ ألست أعرفها أنا أيضاً؟" فدنا ميلس، وأخرج الإنجيل من حقيبته ووضعه على وسادة أمامه وقال له: "إذا كنت لا تريد التعلم مني أنا الإنسان، فليجكم عليك الإنجيل ربنا الموضوع الآن نصب عينيك، لأنك لا ترى أمره بعينيك الروحية الخفية." فرفع فافا يده بغضب شديد وضربالإنجيل وقال: "تكلم أيها الإنجيل، تكلم.ط فثار ثأر القديس ميلس وأسرع وتناول الإنجيل وقبله ووضعه على عينيه وصرخ بأعلى صوته أمام ذلك الجمع كله وقال: "لأنك تجاسرت بغطرستك على كلمات الرب الحية، فهوذا قد أتى ملاكه فيضربك في نصفك ويشله، فتصبح آية الخوف والهلع لكثيرين. ولن تموت على الفور، بل تبقى آيو للعجب.ط وعلى الفور نزل شيء مثل برق من السماء وضرب فافا وشل نصفه. ومنذئذ صار فافا طريح الفراش يقاسي مر العذاب طوال اثنتي عشر سنة، حتى مات وسط ذلك العذابِ. واستحوذ الخوف والرعب على ذلك الجمع كله.

ومن هناك ذهب فافا إلى مقاطعة ميشان، وحل عند رجل ناسك كان يسكن في البرية. وكان رئيس تلك المقطاعة مصاباً بمرض عضال منذ سنتين. فما إن سمع بقدوم ميلس إلى هناك، حتى أرسل ليلتمس منه أن يتوجه إليه. فقال ميلس للرسول: "اذهب، ولدى دخولك، قل بصوت عال: إن ميلس قال: باسم يسوع الناصري اشف وأقم وأمشي." وما إن فعل رسول ذلك، حتى

---

[٧٩] متى ٢٠/٢٦

شفي موره شفاءً تاماً وقام وأتى عند ميلس وهو يؤدي الحمد لله مع سكان المنطقة الذي آمن منهم خلق كثير بسبب تلك الاعجوبة.

وأتوه يوماً بشاب مصاب بداء الصرع منذ صغره. فصلى عليه القديس ووسمه بعلامة الصليب فزال عنه الداء ولم يعاوده بعد ذلك قط. وآيات أخرى كثيرة جرت على يد القديس في تلك المنطقة تمجيداً لله العلي القدير.

ومن هناك توجه إلى وطنه رازيق. ودخل قرية كانت فيها امرأة نبيلة قد أصابها الشلل في جميع أعضائها منذ تسع سنين. فلما عرفوا موضع إقامته، حملها عبيدها وجاءوا بها إليه. فنظر إليها ورآها تتعذب كثيراً وتتوسل إليه بإلحاح. فقال لها: "أتؤمنين بإله الواحد الذي وحده يقدر أن يشفيك؟" فأجابته: "أجل، إني أؤمن يا سيدي إنه وحده الإله الأوحد ولا إله سواه." إذ ذاك قام وصلى وأمسك بيدها وقال لها: "باسم الله الذي آمنت له، قومي وأمشي وليزل عنك مرضك." وفي الحال برئت تلك المرأة من دائها، وقامت وأنطلقت إلى بيتها، وعم الفرح تلك القرية باسرها.

وفي هذه القرية ذاتها، جاء رجلان، يريد كل منهما أن يستحلف الآخر بشأن سرقة. فقال ميلس للذي هم بالقسم: "يا بني، لا تحلف كذباً فتظلم رفيقك في هذا الأمر." ولكنه لم يصغ إليه، بل تجاسر وأقسم. فرشقه الطوباوي بنظرته وقال له: "إذا كنت قد أقسمت صادقاً، فأذهب إلى دارك سالماً صحيحاً، وإلا فليصبك البرص الذي حل بجحزي، فتخرج من هنا متلحفاً بالخزي والعار." وفي الحال، حل البرص بذلك الرجل، واستحوذ الخوف على القرية. وكثير من سكانها نبذوا الوثنية واعتنقوا الديانة المسيحية.

وغادر المكان قاصداً موضعاً آخر، ورافقه في الطريق رجلان مسيحيان. فصادفوا في سبيلهم مهراً كبيراً أوقف مسيرتهم يوماً كاملاً دون أن يستطيعوا اجتيازه. حينئذ طلب من الرجلين أن يعودوا أدراجهما، وعكف هو على الصلاة. أما هما فابتعدا عنه قليلاً واختفيا في مكان يتسنى لهما ملاحظته ليريا ماذا عساه يفعل وكيف يعبر. أما هو فبعد أن فرغ من الصلاة، سار فوق النهر واجتاز دون أن ينزع حتى حذاءه.

وجاء إلى قرية فيها شماس يتهم بالزنى والفجور. فدعاه القديس وعاتبه في الكنيسة وقال له: "اعترف بالأمر يا بني إذا كان ما يقال عنك صحيحاً، وتب إلى الله، لأن الله رحيم غفور، ولا تتجاسر وقال له: "آه" يا سيدي لا تخطئ بحقي زوراً، فإنما قد افترى علي بهذا الأمر ظلماً." ولم يكتف بهذا القول، بل تجرأ وتناول كتاب المزامير ووقف على المنصة لكي يرتل. وإذ بشيء يشبه راحة اليد تخرج من المقدس وتلطمه على وجهه، فسقط للحال ومات. وساد المنطقة كلها خوف كبير.

وفي تلك القرية ذاتها، أتوا بشاب مخلع منذ الولادة. فلما رآه القديس، صلى عليه ثم أمسكه بيده وقال له: "باسم يسوع الناصري قم وأمش." وفي الحال شفي وشرع يمشي، وكان له من العمر عشرون سنة.

إن الآيات والعجائب التي أجراها الله على يد هذا القديس كثيرة لم نستطع تدوينها جميعها. فلنأت الآن إلى آية دمه العظمى وإلى ذكر آلامه واستشهاده المجيد.

كان صاحب تلك المنطقة رجلاً أثيماً متكبراً ومتعجرفاً يدعى هرمزد كوفريز. فما أن أبلغه أمر تنصر ميلس الذي كان في صباه وثنياً، حتى أرسل جنده وتوابه إلى "مهدلكرد" مدينة الرازيقيين، مع تلميذه أبورسام وسيناي، وألقاهم في السجن، وعاملهم بالضرب والعذابات مرتين محاولاً دفعهم إلى السجود للشمس. أما هم فكانوا يسخرون منه ويحتقرون كبرياءه وعجرفته ثابتين في الحقيقة ورافعين المجد لله بإيمان وعزم.

وبعد مرور سنة عليهم في السجن، شاء الحاكم الأثيم أن يخرج إلى الصيد في الجبل. وكان في غاية الإعجاب بنفسه. فأمر بإخراج القديسين الثلاثة وهم مقيدون بالسلاسل. ولما مثلوا بين يديه، وجه السؤال متهكماً إلى ميلس وقال له: "من أنت؟ أاله أم إنسان؟ وما إيمانك؟ وما تعليمك؟ أطلعنا على حقيقتك فنتتلمذ لك. وإذا تشأ تكشف لنا معتقدك، فإني سأقطع رأسك كواحد من هذه الحيوانات."

فعرف القديس ما في قلب هذا الرجل من المكر والنفاق، فقال له: "أنا إنسان ولست إلهاً. أما إيماني فلا أكشفه لمكرك الخداع، ولا ألقي تعليمي الطاهر على مسامعك الدنسة. ولكنني أقول لك قولاً عادلاً: الويل لك، الويل لك أيها الأثيم الشرير، ولجميع الذين على غرارك لا إله لهم. فإن الله سيدينكم بعدالته في العالم العتيد ويحكم عليكم بجهنم والظلام، ويجازي كبرياءكم بالبكاء وصريف الأسنان إلى الأبد. لأنكم لم تعرفوا إنه هو الذي وهبكم هذه الخيرات التي أنتم بها اليوم متمتعون." وكان الأثيم جالساً على كرسي يحيط به أناس كثيرون. فلما سمع هذه الأقوال، ثار ثأره وقام غاضباً واستل سيفه وضرب به كتف القديس ميلس فاخترقها من الأمام إلى الوراء. وقام أخو الأثيم أيضاً، وأسمه نرساي، واستل سيفه وضرب جنب القديس واخترقه. ومع أن القديس أشرف على الموت، وكان يستعجل الوصول إلى وليمة السماء، فقد تنبأ بموته عن موتهما الرهيب، وقال لكلا الأخوين: "من حيث إنكما انتقمتما على اخوتكما الشريرة وارتبطتما بصحبتكما الأثيمة على قتل البريء وسفك الدم عبثاً، فها إنكما غداً في مثل هذا الوقت سيسفك أحدكما دم الآخر في هذا الموضع نفسه، وستلعق الكلاب دمكما وتأكل الطيور لحمكما، فتثكلكما أمكما وتترمل زوجاتكما في يوم واحد". وإذ قال القديس هذه الكلمات، فاضت روحه وانتقل إلى ربه.

أما الأثيم، فأمر جنده بأن يذهبوا بأبورسام وسيناي ويصعدوهما على أكمتين متقابلتين وأن يرجموهما هناك. ونفذوا أمره في الساعة التي فيها استشهد مار ميلس.

وأمض كوفريز ليلته في الموضع ذاته. وفي الصباح جاؤوه بصيد وفير، وفي عجرفته نسي ما قال له الطوباوي ميلس وما أنذره من قصاص الله الذي سيحل بكلا الأخوين الماهرين بالرماية والصيد. وإذا بغزالة اخترقت الشبكة التي كانت تضم الحيوانات المصطادة وأفلتت بسرعة. فلاحقها الأخوان على فرسيهما وحاصراها فيما بينهما، وصوب كل منهما سهمه نحوها ورمياها به. وإذا بسهم كوفريز يصيب ويخترق بطن نرساي، وسهم نرساي ينفذ ويخترق صدر كوفريز. فخرا صريعين في الموضع الذي قتل فيه ميلس. وصارا منظراً عجيباً وخبراً رهيباً للبلاد كلها، وأكلت الوحوش والطيور جسديهما، لأن الفرس لا يدفنون موتاهم إلى أن يتناثر اللحم من العظام، فيدفنون العظام وحدها.

أما أجساد القديسين الثلاثة فقد سرقها أبناء البلدة ليلاً وذهبوا بها ودفنوها في قرية اسمها "ملقين". وقد أظهر القديسون اعجوبة كبيرة حتى بعد موتهم. إذ كان اللصوص والسباة يأتون دوماً إلى تلك المنطقة ويعيشون فيها فساداً. وكلما بلغوا حدود تلك القرية صدوا عن الدخول إليها وعن إلحاق الأذى بها. فآمن سكان القرية إن عظام القديسين الموجودة فيها عي التي تصدهم عن الدخول إليها.

وكان استشهاد هؤلاء القديسين في الثالث عشر من شهر تشرين الثاني (سنة ٣٤١م).

استشهاد مار شاهدوست أسقف وجاثليق ساليق وقطيسفون، ورفاقه الشهداء المائة والثمانية والعشرين

كان شاهدوست من مقاطعة بيث جرماي (كركوك). وكان في عهد مار شمعون بر صباعي قد أقيم رئيس الكهنة في الميدان. وبعد استشهاد مار شمعون، أقيم جاثليقاً خلفاً له. وكان يعيش متخفياً مثل سائر رؤساء الكنيسة، بالنظر إلى الاضطهاد الضاري الذي أثير على المسيحيين. وفي ذات يوم رأى رؤيا مذهلة. فدعا الكهنة والشمامسة الذين في المخابئ وقال لهم: "لقد شاهدت هذه الليلة في الرؤيا سلماً منيراً ترتفع من الأرض إلى السماء، وكان شمعون واقفاً في أعلاها ملتحفاً بالمجد، وكنت أنا واقفاً عند الأسفل على الأرض. فدعاني شمعون مبتهجاً وقال لي: "اصعد يا شاهدوست، اصعد إلي ولا تخف. فإني قد صعدت البارحة، وأنت تصعد اليوم." ومنذ استيقاظي، اعتقدت بل تأكدت إني سرعان ما سألتحق به بالشهادة. وأما قوله: إني قد صعدت البارحة وأنت تصعد اليوم، فيعني إنه قد قتل في السنة الماضية، وأنا أقتل في هذه السنة." وشرع شاهدوست يشجعهم مذكراً إياهم بكلام الرسول القائل: "تقووا في الرب وبقدرته

العزيزة، وتسلحوا بسلاح الله كله..."[٨٠] فإنكم بهذه الأعمال تظهرون للأنام كالأنوار وتبرهنون لهم عن تمسككم بكلمة الحياة.فلا نخافن إذن من الموت الزاحف علينا، بل على الذي يموت أن يجاهد كالصنديد، وعلى الذي يحيا أن يكون شجاعاً. لأننا إنما نقتل في سبيل المسيح والحقيقة.فلنجاهد مادام السيف مستلاً، ولنكافح ما دامت الحربة متلألئة، ولنسر ما دامت الشمس مشعة في الليل، لنصل إلى المنازل السماوية، لأننا بذلك نكتسب مجداً أبدياً، ونخلف ذكرى المآثر الجليلة للأجيال القادمة." ثم قال لهم: "صلوا لكي يتحقق سريعاً مغزى هذه الرؤيا."

وفي السنة الثانية من اضطهادنا[٨١]، بينما كان الملك في ساليق، بلغه أمر شاهدوست. فأمر بالقبض عليه. واسم شاهدوست يعني صديق الملك أو محب الملك[٨٢]. أجل، لقد أحب الملك السماوي حقاً بكل نفسه وبكل قوته. فكان طاهراً نزيهاً وقديساً. وحذا حذو سلفه القديس مار شمعون بر صباعي. وألقي القبض معه على عديد من الكهنة والشمامسة والرهبا والراهبات من المداين ومن القرى والأرياف المجاورة، حتى بلغ عددهم مائة وثمانية وعشرين. فكبلوهم جميعاً بالسلاسل وأودعوهم سجناً رهيباً قاسوا فيه الأمرين طوال خمسة أشهر. وفي هذه المدة أنزلوا به عذابات شتى ليدفعوهم إلى السجود للشمس، مرددين عليهم كلام الملك: "إنكم لن تموتوا إذا مثلتم أمري." فأجابهم شاهدوست عن الجميع وقال: "قولوا لمن أرسلكم: إننا ثابتون على قوة واحدة وحقيقية واحدة وعزم واحد، ونبشر بالإيمان بالإله الواحد الذي نعبده من صميم نفوسنا. وإننا لا نسجد للشمس التي هي خليقته، ولا نكرم النار التي جعلها لخدمتنا، ولا نخضع لأمرك الشرير خوفاً من تهديداتك فنتنكر لشريعتنا. فلك السيف ولنا الأعناق، لك

---

[٨٠] – أفس٦/١٠-١١.

[٨١] إنها في الواقع سنة ٣٤٢، إذ إن الكاتب يعتبر بدء هذا الاضطهاد سنة ٣٤٠.

[٨٢] كتب ابن العبري في تاريخه المنسي (٢،١٧ من النص السرياني) ما يلي:

"جاء بعد شمعون بر صباعي شاهدوست. وهو اسم فارسي يعني صديق الملك، وكان الروم يدعونه صادوق. وكان أركذياقوناً لشمعون بر صباعي وابن أخته من مقاطعة بيث جرماي. اختبر جاثيلقاً ورسم سراً في ساليق بعد ثلاثة أشهر من مقتل معلمه. وبعد سنتين رأى رؤيا فيها شاهد ناراً ترتفع من الأرض إلى السماء، وشمعون بر صباعي يدعوه ويقول له: ارتفع يا أهي شاهدوست إلى فرح ربك. ونقل هذا الخبر شابور الأثيم، فألقي القبض على الجاثليق ومعه ١٢ آخرين من كهنة ومؤمنين ورهبان وأختين لشاهدوست. وقتلوا كلهم في سبيل الإيمان المسيح. ويقال إنهم أدخلوا أولاً شاهدوست أماو الملك شابور الذي قال له "أنا قتلت شمعون رئيس المسيحيين وكذا أساقفة معه، فلماذا أنت صرت رئيساً لشعب أكرهه؟" فأجاب القديس: "إن رئيس المسيحيين هو الله، وهو الذي يقيم عليهم من يشاء. وكما مياه البحر لا تنضب، كذلك لن تزول المسيحية من الأرض." فاغتاظ شابور وأمر بقتله مع جميع الذين معه."

الموت ولنا الحياة. فلا تؤجل قتلنا يوماً واحداً، ولا تشفق في إراقة دمنا ساعة واحدة. لأن طوال أناتك مميت لمن يسمعك."

ولما ابلغ الملك هذا الجواب، أرسل إليهم أيضاً كلاماً أشد عنفاً قائلاً: "إذا لم تمتثلوا إرادتي وتطيعوا أمري، فإن ساعة هلاككم قد بلغت الآن." فأجابه جميع القديسين بصوت واحد وقالوا: "إننا لا نفقد إلهنا، ولا ننبذ المسيح. فإن الله مزمع أن يبعثنا لحياة جديدة وأن يجدننا في ملكوت السماء. فاجلبوا علينا أي موت تشاؤون، فإننا مستعدون لنموت في سبيل إلهنا. فنحن لن نسجد للشمس ولا نطيع أمركم الذي يقتل النفوس الضعيفة."

فتهيأ القديسون للقتل واستعدوا للموت، لأن حكم الموت بالسيف صدر على جميعهم. فأخرجهم الأعيان وأمناء الملك مقيدين إلى ظاهر المدينة، بينما أخذوا هم ينشدون بأصوات عذبة بأصوات عذبة هذا المزمور: "اللهم احكم لنا وخاصم لدعوانا مع أمة غير صفية ونجنا من صاحب الكيد والإثم.."[٨٣]. وحينما وصلوا إلى موضع تنفيذ الحكم فيهم قالوا: "تبارك الله الذي من علينا بهذا الإكليل الذي كنا ننتظره ولم يحرمنا من هذا الحظ الذي كنا نتمناه. تبارك المسيح الذي يتركنا في هذا العالم، بل دعانا للمثول أمامه بسفك دمنا." ولم يكفوا عن أداء الحمد لله إلى أن قضي على آخرهم.

استشهد هؤلاء المظفرون في العشرين من شباط (سنة ٣٤٣م).

أما شاهدوست فاقتادوه مكبلاً بالقيود إلى منطقة بيث هوزايي إلى مدينة بيث لافاط وهناك قطعوا رأسه بالسيف وبذل حياه في سبيل المسيح.

استشهاد برشبيا رئيس الدير ورهبانه العشرة وأحد المجوس

كان في ذلك العهد رئيس دير في منطقة فارس يدعى برشبيا يعكف على عبادة الله مع رهبانه العشرة. فوشى به قوم من الأشرار أمام حاكم مدينة (صطخرا)[٨٤]. وقالوا عنه: "إنه يفسد عقول أناس كثيرين، ويعلم السحر في بلادنا، ويدحض تعليم المجوس." فأمر الحاكم بالقبض عليه وعلى الاخوة الذين معه. فجاؤوا بهم مقيدين إلى الحاكم الذي أذقهم عذابات رهيبة، حتى هشمت ركبهم بالمطارق وكسرت سيقانهم وأذرعهم وأضلاعهم بالفؤوس، وشوهت أنوفهم وآذانهم وأعينهم إيما تشويه.

---

[٨٣] –مزمور ٤٢

[٨٤] اصطخر مدينة كانت تقع جنوبي غربي إيران. بنيت من أنقاض برسيبوليس وأصبحت المركز الديني للساسانيين وإحدى عواصمهم. قضى عليها تأسيس شيراز بالقرب منها سنة ٦٨٤م.

ولما رأى الحاكم الأثيم إن تلمك العذابات كلها لم تثنهم عن عزمهم أو تزعزع إيمانهم ولم ينحرفوا عن إلههم، وأمر بإخراجهم إلى ظاهر المدينة ليعدموا هناك. فخرجوا وهم يرتلون المزامير ويسبحون الله. وكان جمع غفير يحيط بهم.

وحينما شرعوا بقتلهم، حدث إن أحد المجوس كان خارجاً من المدينة ومجتازاً في تلك الطريق، مع امرأته الممتطية بغلة واثنين من أولاده وعدد من خدمه. ورفع بصره فرأى جمعاً غفيراً في ذلك الموضع. فقال للذين معه: "واصلوا سيركم ريثما أذهب لأرى ما أن هذا التجمع." فرأى كيف كان رئيس الدير يأخذ بيد تلاميذه الوحد تلو الآخر ويقدمهم لحد السيف، وهو يشجعهم مرتلاً لهم المداريش بصوت عذب. إذ ذاك فتح الرب عيني هذا المجوسي فرأى لساناً من نار على شكل صليب يتلألأ ويشع فوق أجساد المقتولين. فاضطرب وخاف ونزل على الفور من ظهر جواده، واستبدل ثيابه بثياب خادمه، ودنا من برشيا وهمس في إذنه: "لقد رأيت رؤيا غريبة، فاختارني إلهك حقاً لأموت معكم. فإنه هو وحده الإله الأوحد، وأنا أعترف به من كل قلبي. ولكن يجب أن لا يعلم أحد إني لست منكم. فأمسكني كواحد من تلاميذك وسلمني للقتل، لأنش مشتاق غاية الشوق إلى أن أموت معكم أنتم شعب الله المقدس والمؤمن." فصدقه الطوباوي بعد أن أطلعه المجوسي على رؤياه. فأمسكه وقدمه للقتل بعد التاسع، دون أن يعلم به أحد. وبعد قتل الحادي عشر. وفي الأخير قُتل رئيس الدير أيضاً، وبهذا المجوسي بلغ عددهم اثني عشر شهيداً، وأخذت رؤوس الشهداء إلى المدية، وعُلقت في هيكل "أناهيد" آلهة الفرس، لتكون مبعث هلع ورعب لكثيرين. أما أجسادهم صارت مرتعاً للوحوش وطير السماء.

وبعد ذلك عُرف أمر هذا المجوسي، فصار موضوع الحديث والدهشة في البلاد كلها، وبسببه انضم كثيرون إلى الإيمان المسيحي، وكان من بين الذين تنصروا امرأته وأولاده وخدمه، وعاشوا في البر والتقوى طوال أيام حياتهم.

استشهد هؤلاء القديسون في السابع عشر من حزيران (سنة ٣٤٣؟).

(١٨) استشهاد نرسا أسقف شهرقرد وتلميذه يوسف

في السنة الرابعة من "اضطهادنا" ألقي القبض على نرسا أسقف شهرقرد وعلى تلميذه يوسف، بينما كان الملك في هذه المنطقة. فلما مثلا أمام الملك، نظر إليهما وقال للطوباوي نرسا: "ما أبهى شيخوختك وأكرمها! وما أجمل شباب تلميذك! وإني لمشفق على جمالكما ولا أريد أن يتلوث بالدم فينزل إلى القبر بموت عنيف. فامتثلا الآن إرادتي واسجدا للمشس، فأجزل لكما الإكرام والهبات. فإن منظركما أعجبني كثيراً وسررت بمكارمكما الحميدة".

فأجاب القديس نرسا وقال له: "إن كلماتك المعسولة مرة جداً، وإن أقوالك المغرية لماكرة وخادعة. فإنك تحاول أن تحطنا من كرامتنا الحقيقية وتنحدر بنا إلى هوان هذا العالم الباطل والزائل الذي أنت به فخور، وكأنه قد أعطي لك كله وأنت مالكه. ألا تدرك أنه سيزول منك مثل حلم الليل العابر وإنه سيضمحل ويتلاشى كالخيال؟ أما أنا فإني شيخ قد ناهزت الثمانين من عمري، وقد خدمت الله الحق في جميع أيام حياتي. والآن أيضاً معاذ الله أن أقطع صلتي بالحق وأستبدل إيماني فأسجد للشمس خليقته وأعبدها".

حينئذٍ قال لهما الملك: "أظن أن دخولكما عليّ هو ساعة شؤم لكما. وإذا لم تطيعا أمري، فإنني لن أتأخر في القضاء عليكما". فقال له نرسا: "أيها الملك، لو كنت قادراً على قتلنا وإحيائنا وإعادة قتلنا سبع مرات متتالية، لما تخلينا عن إلهنا أو رضخنا لأمرك".

وعلى الفور صدر الحكم بقطع رأسيهما بحد السيف. فأخرجوهما من بين جمهور من الناس المتفرجين. ولما وصلا إلى موضع التنفيذ، رفع نرسا بصره ونظر إلى الجمع المحيط بهما، وقال له يوسف: "أيها الشيخ الجليل، ما بالك تنظر إلى الجمع؟ فإنه الشعب كله ينظر إليك وينتظر أن تطلقه وتذهب أنت في طريقك. فنظر الشيخ ببشاشة إلى يوسف، ثم دنا منه وقبّله وقال له: "طوباك يا يوسف الطاهر، فإن العالم لم يشغلك بمكائده، فدخلت فرحاً وبوجه مشرق في الباب الضيق المؤدي إلى الملكوت". ثم قُتل يوسف أولاً، وبعده قُتل هذا الشيخ الجليل.

استشهد هذان القديسان في العاشر من تشرين الثاني (سنة ٣٤٤؟).

(١٩) لائحة شهداء كرخ سلوخ وأماكن أخرى

١- **يوحنان:** "أسقف كرخ سلوخ. قُتل في قرية "حصين" بأمر أردشير أمير حدياب.

٢- **شابور:** أسقف كرخ سلوخ. قضى شهيداً في السجن على أثر التعذيب. وقد قال أمير حدياب: "اقطعوا رأسه وأتوني به لأراه". إذ لم يصدق أنه مات. فقطعوا رأسه وأتوا به إلى الأمير.

٣- **اسحق:** أسقف كرخ سلوخ. رُجم بالحجارة في نيقاطور[٨٥] على أيدي نبلاء المدينة الذين كانوا يُدعَون مسيحيين بالاسم، وقد أرغمهم أمير حدياب على ذلك.

٤- **اسحق:** كاهن قرية "حولاسر". رُجم بالحجارة خارج مدينة بيث سلوخ بأمر الحاكم أذركوشنسف.

٥- **فافا:** كاهن قرية "حلمين" قُتل في قرية "كلال" بأمر أمير حدياب.

---

[٨٥] نيقاطور أو بيث نيقاطور هي نفس بلدة أوانا في طيرهان بيث جرماي، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من جهة تكريت، تحاذي عكبرا.

٦- **أوهنام**: "راهب شاب. رُجم بالحجارة في قرية "كنزك"[٨٦] على أيدي نبيلات كرخ سلوخ اللواتي يدعن مسيحيات بالاسم. وقد أرغمهن أمير حدياب على ذلك. وكان هذا الشاب الشهيد من المدينة ذاتها.

٧- **كوشتازاد**: أمين من كرخ سلوخ. كان يعيش في بلاط أمير حدياب. وكان هناك سجين اسمه ورتاران، وكان بالاسم يدعى كاهناً وهو من قرية "سلوقانا". وحينما ضُغط عليه نبذ الحق وجحد الإيمان. فأمره أمير حدياب بأن يُقتل كوشتازاد لكونه لم يمتثل أمر الملك بالسجود للشمس. ولما همّ ورتاران بقتله، انذهل كوشتازاد وقال له: "أأنت تقتلني، أيها الكاهن؟" ثم ندم وقال له: "لقد أخطأت لأني دعوتك كاهناً. ولكن هلّم ونفذ إرادتك. فأنت لم تفلح في كهنوتك، شأن يهوذا في رسالته. أعرف أن الشيطان قد خدعك لتعمل ما يرضيه". فقتله بكل جسارة دون خجل.

٨-١١- **ساسان، زرون، نوح، طيماي**: علمانيون من بلدة لاشوم[٨٧]. قُيِّدوا بالسلاسل واقتيدوا إلى بيث هوزايي، وهناك قُتلوا بأمر شابور الملك، في سبيل الإيمان بيسوع المسيح.

١٢- **باعوثا**: امرأة علمانية نبيلة من كرخ سلوخ. قُتلت أمام قصرها بأمر الحاكم أذركوشنسف.

١٣-١٤- **تقلا ودناق**: راهبتان من كرخ سلوخ. قُتلتا بأمر الحاكم أذركوشنسف.

١٥-١٨- **طاطون، ماما، مزكيا، أنة**: راهبات من كرخ سلوخ. قُتلن خارج المدينة في موضع يُدعى "حورا" بأمر حاكم المدينة. ونمت بدمهن تينة صارت سبب التبرك والشفاء سنين عديدة. إلا أن المانويين اقتلعوها حسداً، فأصيبوا بداء الجرب الذي فتك بهم. واعترفوا بالعلة التي لأجلها ظهرت فيهم تلك الآية الخارقة.

١٩-٢١- **أبيت، حاتاي، مزكيا**: راهبات من مقاطعة بيث جرماي. قُتلن بأمر شابور الملك لدى حضوره في المقاطعة.

(٢٠) استشهاد دانيال الكاهن والراهبة

بعد مرور سنتين على استشهاد الطوباوي ميلس، ألقي القبض على الكاهن دانيال والراهبة وردة من بلد رازيق، وذلك بأمر حاكم المنطقة. فأتى بهما إليه. واستنطقهما وسط عذابات

---

[٨٦] قد تكون "كنزك" تلك البلدة الواقعة في أذربيجان الشهيرة بمعبد نارها، وهي تدعى الآن تختي سلمان وتقع في الجنوب الغربي من مدينة مراغا، وقد تكون قرية "كزنخ" الواقعة في الجبال التركية على مسيرة ثلاثة أيام من قصبة زاخو شمالاً.

[٨٧] لاشوم وتسمى الآن لاشين وهي بلدة تقع على بعد ١٢ كم في الجنوب الغربي من طاوق (داقوق القديمة) في منطقة بيث جرماي.

www.karozota.com

قاسية، وسألهما أن يتخليا عن إلههما الحقيقي. إلا أن المجاهدين الصنديدين ظلا صامدين في إيمانهما ومتمسكين برجائهما. فعذبهما هذا الحاكم العاتي مدة ثلاثة أشهر، حتى أنه ثقب مفاصلهما بالمثاقب، وربطهما في الجليد طوال خمسة أيام دون أن يجني فائدة من ذلك.
ولما رأى إنهما ما يزالان ثابتين في الحقيقة بعد هذه التعذيبات كلها، أمر بقطع رأسيهما.
استشهد هذان البطلان في الخامس والعشرين من شباط (سنة ٣٤٥؟).

(٢١) استشهاد المائة والعشرين شهيداً

في السنة الخامسة من "اضطهادنا" بينما كان الملك شابور في مدينة ساليق، ألقي القبض على ١٢٠ شخصاً من كهنة وشمامسة ورهبان وراهبات من مختلف البلدان ومن المداين ذاتها، وزّج بهم في غياهب السجن مدة ستة أشهر، أي طوال كله. وكانت ثمة امرأة نبيلة اسمها يزدلوخت – ومعناه ابنة الإله يزدان – من منطقة حدياب ومن مدينة أربيل، قامت بسحد احتياجات هؤلاء الشهداء طوال مكوثهم في السجن، وأنفقت عليها من مالها الخاص[٨٨].
وكان المضطهدون يخرجونهم بين الفينة والفينة للاستنطاق والتعذيب، فينكلّ بهم المجوس حسب هواهم، ويقولون لهم بأمر الملك: "اسجدوا للشمس الإله، وإلا فستموتون كلكم شر ميتة." أما هؤلاء القديسون فكانوا ثابتين على رأي واحدة وإرادة واحدة ويجاوبون: "حاشانا نحن العبيد الأمناء للإله الحق خالق السماء والأرض وكل ما فيهما أن نجحده ونتخلى عنه ونحيد عن طريقه ونتحول عن السجود له ونستبدله بالسجود للشمس التي هي خليقته وصنع يديه. فأسرعوا إذن في قتلنا لكي يتم فرحنا، ونفذّوا الموت فينا وننجو من تجديفكم وتعييراتكم التي تكتنفنا كل يوم".
ولما حان يوم رحيل الملك، جاء صديق ليزداندوخت من أمناء الملك وأخبرها سراً بأن الشهداء سيُقتلون في اليوم التالي. إذ ذاك أعدت لهم هذه الشريفة مأدبة فاخرة وتولت هي نفسها خدمتهم، وأخذت تبذل قصارى جهدها في إراحتهم، وغسلت أرجل جميعهم، ونزعت ثياب السجناء منهم وألبستهم جميعاً ثياباً جديدة ناصعة البياض، وكأنها هيأتهم للزفاف، وقالت لهم: "تشجعوا بالرب وتقووا بما وعدنا به في إنجيله. فإنه تألم بجسده وفتح بذلك لنا باب الشهادة لكي نقتدي به. فلا تفزعّن من الموت حينما يأتينا من أعداء البر، والآن اجتهدوا وواظبوا على الصلاة الليلة كلها، ولا تكفوا عن تلاوة المزامير وتأدية الحمد والمجد لله، لكي

---

[٨٨] لقد وضع القس سليمان الصائغ "مطران الموصل الأسبق" هذه القصة على شكل رواية أسماها "يزداندوخت، الشريفة الأربيلية" وطبعها مرتين في الموصل "سنة ١٩٣٦ و١٩٥٣". وهي رواية نسجها حول هذه النواة التاريخية، وذلك بأسلوب جميع ممتع.

تؤهلوا للنصيب الأفضل، وهو الاستشهاد في سبيل يسوع الذي أحببتموه." ولكنها لم تطلعهم مساء على الموت الذي ينتظرهم في الصباح التالي. إلا أنهم تعجبوا من تصرفها المتميز وقالوا لها: "ما هذا الامتياز الذي خصصتنا به اليوم؟ وما هذا التحريض المُلِحّ الذي توجهينه إلينا؟" فأجابتهم: "إنما كان هذا نذراً قد نذرته، فوفيته الآن." ثم عادت إلى منزلها وأمضت ليلتها. وعند الفجر، قامت وتوجهت إليهم وقالت لهم: "صلوا الآن بقلب طاهر يطفح فرحاً وبيّنة صافية خالصة. فإنكم اليوم تنالون إكليل النصر، اليوم تصعدون السلّم المؤدية إلى الملكوت السماوي، اليوم تخلّفون في المسكونة ذكرى عطرة، اليوم تتركون جهادكم الباسل في الدنيا، إذ تهيئون النصر بقتلكم وتختمونه بدمكم. ولكني أسألكم أمراً واحداً وهو أن تلتمسوا لي من ربكم الذي أحببتموه ولأجله تقتلون أن يَمُنّ عليّ بأن أراكم في ذلك اليوم وأدخل إلى بلادكم وأحل بالقرب من مقركم. فأنا أعلم إني امرأة خاطئة، ولكني أومن بأن الرب سيغفر لي إذا سألتموه ذلك".

فأجابها الشيوخ الأجلاء منهم وقالوا لها: "إننا واثقون بأن إلهنا برحمته الغزيرة سيسمعنا ويكافئك على ما بذلته من المكارم لأجل اسمه في سبيل مساعدتنا طوال هذا الزمان العسر الذي أجتزنا به، وإنه سيستجيب كل ما تسألينه بإيمان".

ولما كانت الساعة الواحدة من النهار، صدر الأمر باقتيادهم إلى الموت. فوقفت الشريفة يزداندوخت على باب السجن، وشرعت تقبل يدي ورجلي كل من يخرج منهم من السجن مقيداً، حتى آخرهم. فأخذوهم إلى ظاهر المدينة، وكلّف رئيس الحكام بالإشراف على استنطاقهم وعلى قتلهم. فقال لهم بأمر الملك: "اسجدوا للشمس فتحيوا" فصرخ القديسون كلهم بصوت عال وقالوا: "ألا ترون أيها العميان والجبناء أن الذين يساقون إلى الموت يكونون متوشحين بثياب الحداد وقد امتُقعتْ وجههم من هلع الموت، في حين أننا لابسون ثياب الفرح ووجوهنا متهللة ومتفتحة مثل زهر الصباح؟ فافعلوا بنا ما شئتم أيها المنفقون الأثمة. فحاشا أن نتخلى عن إلهنا لنسجد لخليقته. ولكننا نحتقر مملكتكم هذه ولا نطيع أوامرها، لكي نرفع بدمنا شأن ذلك الملكوت اللامنظور الذين تسرعون في إرسالنا إليه بقساوتكم. ففيه نجد الحياة والراحة الأبدية، وفيه تجدون العذاب وصريف الأسنان مدى الأبد".

وإذ ذاك صدر عليهم أمر صارم بأن يُقتلوا جميعهم بحد السف. فقُتلوا كلهم في سبيل المسيح إلههم. وفي تلك الليلة استأجرت الشريفة يزداندوخت رجالاً من السوق، رجلين لكل جثة، وهيأت ثياباً من كتّان فاخر لدفنهم. فحملوهم إلى بعيد وحفروا لهم مواضع بسرعة، ووضعوا كل خمسة منهم في حفرة، خوفاً من المجوس.

استشهد هؤلاء المظفرون في السادس من نيسان (سنة ٣٤٦)، وكانوا مائة وأحد عشر رجلاً وتسع نساء.

(٢٢) استشهاد الجاثليق بربعشمين ورفاقه الشهداء الستة عشر

في السنة السادسة لاضطهادنا، وُشيَ بأسقف ساليق وقطيسفون "بربعشمين"[٨٩] لدى الملك شابور. فنقل المجوس إلى الملك: "أن ثمة رجلاً قاسياً يناهض تعليمنا، ويعيد أناساً كثيرين عن ديننا، ويشغلهم عن خدمة الملك، ويحتقر الشمس والنار والماء." فسأل الملك عن هوية هذا الرجل، فقالوا له أنه ابن أخت شمعون بر صباعي وخلفه في رئاسة المسيحيين. فاغتاظ الملك لدى سماعه هذه الأقوال وأمر بأن يأتوه به. فألقي القبض على الأسقف بربعشمين وعلى ستة عشر شخصاً من الكهنة والشمامسة والرهبان من شتى الأماكن ومن المداين ذاتها. ولما أدخلوا الطوباوي بربعشمين عند الملك، وقال له هذا: "أيها الشقي التعس، لماذا تجرأتم على مخالفة أمري، وأصبحت رئيساً لهذا الشعب الذي أبغضته لكونه يحتقر آلهتي، وبسببه قتلت شمعون الذي كنت أحبه؟".

فأجابه بربعشمين قائلاً: "إذا أطعنا أمرك، ترتّب علينا نبذ إيماننا كله. ولكننا لا نتخلى امتثالاً لأمرك عن أصغر ما في ديانتنا، فكيف بأن نمتثل أمرك في شأن نعتبره من أكبر ما في الديانة؟" فقال له الملك: "أراك مخاصماً وجاهلاً وعطشاناً إلى الموت نظير خالك الذي باد وأباد الكثيرين معه." فأجابه الطوباوي بربعشمين: "إني لست عطشاناً إلى الموت ولا تواقاً إليه إذا تركتني أتبع طريقتي الحقة وأواصل تعليمي المستقيم. أما إذا أرغمتني بسلطتك على اعتناق الضلال، فإني لأفضل الموت لأنه حياة لي، وإني عطشان إلى الاستشهاد لأنه فرح لي. فمعاذ الله أن أتخلى عن الإيمان الحقيقي بالإله الواحد، كما استَودَعَه إياي مار شمعون الذي هذّبني".

فاحتدم الملك غيظاً وأقسم بالشمس إلهه وقال: "إني سأقضي على تعليمكم في الأرض وسأزيل ديانتكم من المسكونة." فضحك بربعشمين وقال للملك: "لماذا لم تأت بآلهيك الآخرين النار والماء وتشركهما في القَسَم مع الشمس. فلعل الثلاثة مجتمعين يساعدونك على إبادتنا من على

---

[٨٩] يقول ابن العبري في تاريخه الكنسي (٢، ٢٩): "أنه اسم كلداني يعني ذا الأسماء الأربعة. وكان من بيث جرماي، وهو ابن أخت مار شمعون برصباعي. انتخب ورُسمَ سراً في ساليق في منزل أحد المؤمنين. وكان دوماً يحرّض الأقليروس والرهبان والأساقفة على تغيير زيهم والتوشح بثياب بيض شأن العلمانيين لعلهم ينجون من الاضطهاد الضاري الذي أثاره شابور الأثيم... وبعد أن خدم بربعشمين سبع سنين متخفياً، بلغ خبره إلى شابور الملك. فألقي القبض عليه بصحبة ستة عشر من الكهنة والمؤمنين، وزُجّ بهم في السجن مدة أحد عشر شهراً. وحاول شابور بشتى الوسائل أن يقنعهم باعتناق الديانة المجوسية. ولكنهم رفضوا جميع العروض. فقتلهم في كرخ ليدان في منطقة الأهواز في التاسع من كانون الثاني. وإذ ذاك تخلى الأساقفة عن إقامة رئيس لهم، لأنه كلما أقيم عليهم واحد، كان مصيره القتل".

وجه الأرض، حسبما أقسمت؟" فتفاقم غضب الملك وقال له: "إنك تتكلم هكذا لأنك عازم على الموت، فتدفعني إلى قتلك على الفور. ولكني سأبقيك لأجعلك آية للرهبة والهلع، فيكون عذابك وموتك رادعاً يفزع كل من يتبع تعليمك. ثم أمر بزج الجميع في السجن وبربطهم بسلاسل ثقيلة وتكبيدهم مرّ العذابات. وكان المجوس يذيقونهم أصناف العذابات من شهر شباط حتى التاسع من كانون (الثاني)، متناوبين عليهم بضربات العصي والمطارق ومعذبين إياهم بالجوع والعطش، حتى التصق جلدهم بعظامهم واستحال لون وجوههم إلى لون الرماد والفحم، وصار منظرهم قبيحاً من جراء العذابات التي تكبدوها.

وفي مطلع السنة التالية، بينما كان الملك شابور في مدينة ليدان في منطقة الأهواز، أمر بإحضار الأسقف بربعشمين ورفاقه الستة عشر. فجاءوا بهم وهم مكبلون بالسلاسل وأوقفوهم أمام الملك فقال لهم الملك: "أيها الشعب الجاهل الغبي، إنكم تموتون بإرادتكم. فها أنكم قد فنيتم وبدتم، أفلا ترجعون من غيكم؟ فأين هم الأولون الذين قُتلوا من قبلكم؟ فهل أنهم عاشوا وحكموا حسب ادعائهم، لكي تقتفوا آثارهم فتموتوا أنتم أيضاً كما ماتوا ولم يحيوا حسبما ظنوا؟ فأصغوا إليّ الآن ولا تحتقروا أوامري فتحيوا، وسأكرمكم جميعاً بالعطايا والهبات، وأخصك بإكرامي أنت يا بربعشمين إذا سمعتني وسجدت معي للإله الشمس." وأمر الملك على الفور فأتوه بكأس ذهبية فيها ألف قطعة ذهب، وقال له: "خُذْ هذه الآن لتكون مثار مجد لك أمام الحاضرين، وأني سأزيد إكرامك وارفع منزلتك." فقال له الطوباوي: "لماذا تحاول إغرائي مثل ولد صغير، وأنت تحتقر ذاتك كطفل صغير فتستميلني بتراب يزول وبزهر يتناثر لكي أتخلى عن إلهي الذي لا يزول والذي بكلمته خُلقت هذه الأشياء كلها، وبأمره تزول وتُفنى جميعها. فلو أعطيتني ليس هذا حسب، بل مملكتك بأسرها، لما رضيت بالتخلي عن إيماني القويم." فقال له الملك: "لا تحتقرني بإعادة هذه الهبة التي أكرمتك بها، إذا كنت تريد أن تحيا أنت والذين معك. وإذا تجاسرت وقاومتني، فإني سأنجز فيك رغبتي وأشفي غليلي بشعبكم العنيد المتمرد." فأجابه القديس: "إذا أطعت أمرك هذا، فسيقول لي الله في ذلك اليوم الذي فيه تقف جميع الشعوب والأمم برعدة أمامه للدينونة: أيها الغبي، لماذا استبدلتني بالذهب الذي أنا وهبته لشابور الملك، وضللت وراء العدم؟ فاعلم أيها الملك: إني ثابت في إيماني بثقة، ومتمسك بحقيقتي بوعي. فانجزنَّ في إرادتك الشريرة القاتلة بالفعل وليس بالأقوال." فقال له الملك: "إني حتى الآن أحترمك كحكيم بالقول والفعل. ولكني عرفت الآن أنك جاهل، وإنك تنتمي إلى ذلك الشعب الغبي. إنكم لا ترضخون بالنصح واللين، ولهذا فإني سأعاملكم بالعنف وألقنكم بالتأديب كيف يُساس العالم وتتم السيطرة على الدنيا." فأجابه القديس بربعشمين: "إننا شعب حكيم وأمين قدّمنا ذاتنا للموت في سبيل إلهنا الحقيقي، واحتقرنا كبرياءك بجرأتنا المتواضعة تارة والعنيدة طوراً.، وبها أعلنّا أن العالم زائل، وعلمناك أنك ليس باقياً فيه إلى

الأبد. فأنت تحاول إغرائنا لنبيع حياتنا الكريمة بهباتك المسكينة، ونستبدل كنوزنا المجيدة بعطاياك البخسة والزائلة مثل آلهتك." فثار ثائر الملك وقال: "إني من الآن فصاعداً سأكتب إلى عساكري المنتشرة في كل مكان وآمرهم بأن يبيدوا من وجه الأرض كل من يُدعى بالاسم المسيحي." فأجابه بربعشمين: "إن البسالة التي نستمدها من الرب في جهادنا في سبيله لهي أشد بأساً من جهاد عساكرك في سبيلك. وإذا ظننت أنك ستفنينا بالقتل وتبيدنا بالموت، فإن حربتك تزيد من عددنا وسيفك يكثرنا ويقوينا. فإنك لعاجز عن مقاومة أمتنا. وبعد أن تلوث يديك بدمائنا، لن يسعك بعد ذلك أن تغسلهما منها. فها أن أصدقاءنا الذين قتلتهم ينعمون الآن في العلى، وأحباءنا الذين قضيت عليهم يفرحون الآن ويتنعمون في الملكوت. أما أنت، فإزاء فرحهم وتنعمهم، ينتظرك عذاب أبدي وبكاء وصريف أسنان لا نهاية له".

فازداد غضب الملك لدى سماعه هذه الكلمات وثار ثائره، وأصدر أمراً صارماً بضرب أعناقهم بحد السيف. وكتب إلى جميع عملائه في شتى أرجاء المملكة وقال لهم: "على كل من يجبني ويهتم بمملكتي أن يتصرف هكذا: يجب ألا يوجد في أرجاء مملكتي من يُدعى مسيحياً. بل عليهم أن يسجدوا للشمس والنار والماء، وأن يأكلوا دم الحيوانات. وكل من يخالف هذه الأوامر، يُقبض عليه ويُسلم إلى حكام المناطق لنزلوا به ما شاءوا من العذابات والموت".

استشهد القديس بربعشمين ورفاقه الستة عشر في التاسع من كانون الثاني (سنة ٣٤٧؟).

.. وظلت الرئاسة شاغرة في ساليق وقطيسفون نحو عشرين سنة، خوفاً من هذا الأمر العاتي[٩٠].

(٢٣) استشهاد يعقوب الكاهن وأخته مريم الراهبة

في السنة السابعة من اضطهادنا، ألقي القبض على يعقوب كاهن قرية "تلا شليلا" وعلى أخته مريم الراهبة، بأمر نرساي طمشابور. وكبّدهم ضربات أليمة وعذابات قاسية خالية من الرحمة بغية دفعهما إلى أكل الدم، ولكنها ثبتا في ثقتهما بالرب، وكان ينظران إليه بقلب طاهر مستقيم ويدعوانه إلى عونهما ويستمدان منه القوة والمساعدة.

ولما رأى الطاغية ثباتهما في الحقيقة، أمر رجلاً من الأشراف اسمه مهداد – وكان مسيحياً بالاسم وليس بالأعمال – بأن يخرج ويقطع رأسيهما. في سبيل إرضائه، فضّل هذا البائس الموت على الحياة، وخرج فقطع رأسيهما في قرية "تل درا" الواقعة على الزاب الكبير.

استشهد القديسان في السابع عشر من أيار (سنة ٣٤٧؟).

---

[٩٠] في الواقع، ظلت الكنيسة الشرقية بدون رئاسة بعد موت بربعشمين نحو أربعين سنة.

(٢٤) استشهاد الراهبة تقلا ورفيقاتها الراهبات الأربع

في هذا الزامن نفسه، وشي لدى نرساي طمشابور برجل منافق يدعى بولا (بولس) في قرية "كنشا"، وكان بالاسم يدعى كاهناً. فقيل للحاكم أن لهذا الرجل مالاً كثيرة وثروة طائلة. فأرسل الحاكم جنوده على الفور وأحاطوا بيت الرجل وقبضوا عليه ونهبوا بيته واستولوا على أمواله. وبسببه قبضوا أيضاً على الراهبات اللواتي في قرية وهن: تقلا ومريم ومرتا ومريم وإيمة. وأتوا جميعاً بهم مقيدين بالسلاسل غلىقرية حزة[٩١]. وادخلوا الرجل أولاً أمام الطاغية طمشابور. فقال له: "إذا امتثلت إرادة الملك وسجدت للشمس وأكلت الدم، فإني أعيد إليك أموالك." وإذ كان هذا الأثيم المنافق جائعاً إلى غناه وتواقاً إلى ثروته ليحترق بها، امتثل أمر الحاكم في كل شيء.

وحينما رأى طمشابور إنه لا يجد علة لقتله، فكّر في أن يقول له أن يقتل أولئك الراهبات، فلعله يخجل ولا يقدم على هذا الفعل الشنيع، فيستحوذ على أمواله ولا يعيد إليه. وإذ ذاك أمر بإدخال الراهبات أمامه. فقال لهن بصرامة: "امتثلن إرادة الملك واسجدن للشمس وتزوّجن فتخلصن من العذابات وتنجون من الموت بحد السيف. وإذا لك تطعن، فإني سأنفذ فيكن ما أمرت به ولن يخلصكن أحد من يديّ." فرفعت القديسات أصواتهن قائلات: "أيها المتكبر المتعجرف، لا تفزعنا وتخدعنا بكلماتك المضلّة، بل أنجز سريعاً ما أمرت به. فمعاذا الله أن نحيد عن إلهنا ونفعل ما تقوله لنا".

حينئذ أمر بإخراجهن من الموضع الذي كان جالساً فيه. ثم جلدوا كلاً منهن مائة جلدة. أما هن فكن يعترفن بأعلى أصواتهن ويقلن: "إننا لا نستبدل الله بالشمس، عليهن ولن نكون جاهلات وغبيات مثلكم أنتم الذين تركتم الخالق وسجدتم لخليقته." وعلى الفور صدر عليهن الحكم بالموت. وقيل لبولا المنافق: "أن تقتل هؤلاء الراهبات، تستعد كل ما أخذ منك." فدخل فيه الشيطان الذي دخل في يهوذا، وخده ذاك الذي وسوس للاسخريوطي، وأغراه الذهب وأغواه المال، فأهلك نفسه بمطمعه مثل ذاك الخائن، فأصابه في الأخير النصيب الذي أصاب ذاك، وجنى حبل المشنقة نظيره. ولعل هذا أيضاً مثل ذاك انشقّ من وسطه واندلقت أمعاؤه كلها[٩٢]. ولعل ذاك السارق ترك ترك إرثه لهذا: فذاك قتل يسوع، وهذا قتل المسيح في شخص العذارى. فإن الذين اعتمدوا بالمسيح قد لبسوا المسيح. فأية دينونة ونقمة تصدر عن كليهما. فإن العدالة تكيل لهما العقاب دون قياس، لأنهما أذنبا بغير قياس.

---

[٩١] كانت حزة بلدة تقع بالقرب من أربيل الحالية.

[٩٢] أعمال الرسل ١/ ١٨.

أما بولا الجشع، فبدافع محبة ماله الذي لم يُسترد إليه بامتثاله أمر الحاكم الأثيم، صلب وجهه وأمسى قلبه كالمجلود، وتناول السيف وتجرأ فتقدم نحو البتولات. وحينما رأته الراهبات قادماً نحوهن، صرخن بصوت واحد وقلن له: "أيها الراعي الجبان، أوَبَدأت بذبح نعاج قطيعك؟ أهذا هو الجسد المقدس الغافر الذي كنا نتناوله من يدك؟ أهذا هو الدم المحيي الذي كنت تقدمه لأفواهنا؟ والآن أيضاً فإنما السيف الذي تمسكه سيكون سبب حياتنا وخلاصنا. أما نحن فإننا ماضيات إلى يسوع الذي هو مالنا وميراثنا الأبدي. وأما المال الذي أحببته أنت، فإنك لن تكتسبه. فها نحن نسبقك إلى المحكمة الإلهية، ولن تتأخر مرافعتنا عليك، وسرعان ما يدركك عدل الله. والسبب الذي يدفعك إلى قتلنا، لن يبقى في حوزتك في الحياة. فنحن إنما نموت من أجل المسيح. ولكن الويل للرجل الذي على يده نموت. فاقترب إذن، أيها الجشع، وكمّل بنا لائحة أخطاءك، فتبدأ منا بداية دينونتك الصارمة. هلُمَّ أيها الوقح وحل قيودنا سريعاً وأنقذنا من منظرك قبل أن نراك معذباً بحبل المشنقة فتمزق أوصالك وتتذهل في ضيقك وتفيض روحك في صلبك الأليم".

لكن الوقح لم يبال بهذه الأقوال، بل اقترب ورفع السيف وضرب الراهبات الخمس وقطع رؤوسهن كسيّاف ماهر.

استشهدت هؤلاء الراهبات في السادس من حزيران سنة (٣٤٧؟).

.. ألم يكن هذا الغبي قد قرأ أو سمع ما جاء في الإنجيل عن الغني الذي درّت عليه أرضه غلاّت وافرة فقال: "يا نفسي، كلي واشربي وتنعمي؟" وما أن أنهى كلامه هذا حتى قيل له: أيها الجاهل، في هذه الليلة تُطلب نفسك منك، فالذي أعددته لمن سيكون؟[٩٣]. فحدث لهذا الكاهن المنافق ما حدث لذاك الغبي الجاهل. فحينما ظن أنهم سيعيدون إليه أمواله التي في سبيلها هلك نفسه، إذا به يُقتل في تلك الليلة نفسها. فقد خاف الحاكم من أن تؤدي جسارة هذا الرجل إلى رفع الأمر إلى الملك، فيؤخذ ما كان قد سلبه منه. فأرسل إلى السجن بعض من أعوانه، ووضعوا حبلاً في عنق الرجل وعلقوه مشنوقاً، ولم يُكشف أمر قتله لأحد.

فما أشبه موته بموت يهوذا، وما أشبه جشعهما! ولعل يهوذا معذور أكثر من هذا. فإن ذاك قد ندم فشنق نفسه، أمات هذا فلم يخجل فشنقه آخرون. ولأن عينه نظرت إلى الدم البريء الذي سفكه، فإن كل حكم أو عذاب يأتيه هو أقل من النقمة التي يستحقها.

(٢٥) جهاد الشهيدين: مار بهنام وأخته سارة والشهداء رفاقه

[٩٣] لوقا ١٢/ ١٧-٢١.

حينما توفي قسطنطين الثاني (سنة ٣٤٠) ابن الملك قسطنطين الكبير، خلفه على عرش مملكة الروم يوليانس المسمى بالجاحد. وما أن استوى هذا على العرش، حتى شرع يضايق المسيحيين. فكتب رسائل إلى مقاطعات مملكته كلها تقضي بإرغام المسيحيين على السجود للأصنام وتقديم القرابين للآلهة، وبقتل كل من يرفض ذلك. ووصلت هذه الرسائل إلى آمد "دياربكر" أيضاً. وهناك من أثّر فيهم الخوف فجحدوا المسيح.، وغيرهم ازدروا العذابات والضيقات وفضلوا الموت في سبيل المسيح على عبادة الأصنام. وكان في مدينة آمد في ذلك العهد أديرة كثيرة وشهيرة مزدحمة برهبان ذوي سيرة فاضلة وعزيمة لا تلين. فلما رأوا أن سيف الملك الأثيم مستل على المسيحيين، استاءوا وامتلئوا غيرة إلهية. فاجتمعوا من جميع الأديرة إلى دير زوقنين[٩٤]، وشجعوا بعشهم بعضاً قائلين: "خير لنا أن نموت من أجل المسيح الذي بذل ذاته واحتمل الألم والموت لأجلنا. فإذا كنا، أيها الأخوة، نتألم مع المسيح، فإننا سنتمجد معه أيضاً، كما قال الرسول[٩٥].

وسمع حاكم المنطقة أن ثمة اجتماعاً يعقد بين الرهبان، وظن أنهم ينوون مقاومة أمر الملك. فأرسل يستدعي بعضاً منهم وبدأ يخاطبهم بلطف ويقول لهم: "تعلمون، أيها الرهبان، أن الملك قد أصدر أمر يقضي بقتل كل من لا يقرب الذبائح للآلهة. ولكنهم رؤساء المسيحيين، فلا أريد أن تموتوا بحد السيف، بل أنكم إذا خضعتم لي وأنجزتم أمر الملك، فستنالون إكراماً وهبات كثيرة. أما إذا تمسكتم بمذهبكم، فاعلموا أن حياتكم ستُفنى وسط عذابات متنوعة." إلا أن خدام المسيح أجابوه بصوت واحد وقالوا: "إننا لن نرضخ لإغراءاتك ولن ننجز أمر الملك الأثيم." ولما رأى الحاكم ثبات عزيمته، أطلق سبيلهم ريثما يخبر الملك بشأنهم. فكتب إلى الملك رسالة يقول فيها: "إلى مولانا الملك القابض على زمام العالم، دمت إلى الأبد. لقد حكمت جلالتكم بالموت بحد السيف على كل من يقرب الذبائح للإلهة. وفي مدينة آمد الآن جماعة كبيرة من الرهبان يبدو لي أنهم مستعدون للموت في سبيل ديانتهم. فإذا لا تساندونا بقوة من عندكم، فنحن عاجزون عن مجابهتهم بالنظر إلى كثرة عددهم. وإذ لا يموت هؤلاء الرجال سريعاً، فإنهم سيجتذبون أناساً كثيرين إلى ضلالتهم. فمُرْ يا سيدي بإرسال جنود من الرومان لكي نبيدهم من هذه الولاية".

حينما سمع الملك الأثيم هذا الخبر، احتدم غيظاً، وأرسل على الفور جنوداً كثيرين من الروم للقضاء على عبيد المسيح. وما أن وصل خبر مجيء الجنود إلى المنطقة، حتى فر أولئك الرهبان، عملاً بكلام الرب الذي قال: "حينما يضطهدونكم في هذه المدينة، فاهربوا إلى

---

[٩٤] كان دير زوقنين ديراً عظيماً وشهيراً في تاريخ الكنيسة السريانية، وكان يقع بظاهر مدينة دياربكر.

[٩٥] روم ٨/ ١٧.

أخرى"[٩٦]. و"لا تقاوموا الشرير"[٩٧]. ولما وصل جنود الملك الأثيم ودخلوا إلى المقاطعة التي كان الرهبان فيها، شرعوا يطوفون البلاد كلها ويقتلون بغير رحمة من يجدونه فيها. فاستشهد كثيرون في سبيل المسيح: هذا هو سبب تشتت الرهبان الذين كانوا هناك.

وكان في تلك بلاد ناسك اسمه متى، وكان معروفاً وشهيراً في المنطقة كلها بالعجائب والآيات الكثيرة التي كان الرب يجريها على يده. فلما رأى أن الاضطهاد آخذ في التفاقم، غادر الموضع، وصحبه بعض من الأخوة الساكنين معه في الدير. وجاءوا إلى منطقة نينوى التي كانت خاضعة لمملكة الفرس. وكان المسيحيون المضطهدون ينعمون آنذاك بشيء من الهدوء والراحة. ولهذا فقد أراد متى ورفاقه أن يأتوا ويسكنوا هناك. وكان في المنطقة جبل كبير لا تسكنه سوى البهائم والوحوش... فصعد القديس إلى هذا الجبل مع رفاقه الذين كنوا هم أيضاً من المتوغلين في النسك. وما أن استقروا هناك زمناً يسير، حتى ذاع خبر متى في البلاد كلها. وشرع جميع المصابين بمختلف الأمراض يقصدونه فينالون الشفاء منه. وكان الهربان يعيشون بالحسنات التي تأتيهم من المسيحيين القادمين إلى زيارتهم. فتحقق فيهم كلام الرب الذي قال: "لا يمكن أن تخفى مدينة وهي مبنية على جبل، ولا يوقد سراج تحت المكيال"[٩٨]. ومنذئذ ازداد عدد المرضى المتوافدين عليه، وكانوا جميعهم ينالون الشفاء بصلوات القديس متى.

وبلغ خبر عجائب القديس إلى مسامع سنحاريب أمير منطقة آثور، وكان مجوسياً. وما أن سمع بذلك، حتى شرع يبحث عنه، إذ كان له ابنة مصابة بداء البرص منذ سنوات. وقد بذل الأطباء قصارى جهودهم في معالجتها، ولكن دون جدوى، فإن داءها كان يزداد تفاقماً. لذا فما أن سمع الأمير بوجود الناسك حتى سأل بعض المسيحيين عن صحة الأخبار التي وصلته وعن موضع سكنى القديس. فخاف المسيحيون وظنوا أنه لا يريد الإيقاع به، لذلك أجابوه وقالوا له أنهم لا يعلمون شيئاً عن هذا الرجل. وكان هذا تدبير النعمة الإلهية التي كانت مزمعة أن تكشف عن القديس للعالم بوساطة ابن الأمير ذاته الذي كان عتيداً أن يؤمن بالمسيح على يد القديس متى.

كان لسنحاريب ابن شاب يدعى بهناك – ومعناه بالفارسية الاسم الحسن – فأراد الشاب الخروج يوماً إلى الصيد، كعادة أبناء الأمراء. فترك قصر والده بصحبه كثير من الجنود والخدم، من الشباب أمثاله. وبعد أن أمضوا يومين في صيد الوحوش، ظهر أمامهم بغتة أيل

---

[٩٦] متى ١٠/ ٢٣.

[٩٧] متى ٥/ ٣٨.

[٩٨] متى ٥/ ١٥.

كبير. فأخذوا يطاردونه حتى وصلوا إلى لحف الجبل الذي يسكنه القديس متى. ولم يستطيعوا إدراك الأيل لأنه فر وارتقى قمة الجبل، وظلوا هم عند اللحف خائبين. ولما حلّ الظلام، اضطروا إلى المبيت في ذلك الموضع، وكانت بركة ماء على مقربة منه. وبعد أن استراحوا قليلاً، استسلموا إلى الرقاد فناموا نوماً عميقاً. وعند منتصف الليل، ظهر بغتة ملاك لبهنام وقال له: "انهض يا بهناك." فأفاق الفتى من نومه مذعوراً وهو لا يدري من الذي خاطبه. فشجعه الملاك وقال له: "لا تخف يا بهنام." فأجابه الشاب: "من أنت يا سيدي؟" قال له الملاك: "أنا ملاك الرب، وقد أرسلني الله لأخاطبك، لأنك مزمع أن تكون لله إناء مصطفى، وهو مزمع أن يُظهِر بواسطتك آيات وخوارق لا تُحصى." فقال له الشاب: "وكيف أتحقق مما تقوله؟" فأجابه الملاك: "ها أن في الجبل الذي تراه أمامك رجلاً عجيباً قديراً يجري الله على يده آيات وعجائب. فاذهب إليه وهو يهديك إلى الصراط المستقيم الذي يؤدي بالساكنين فيه إلى الحياة الأبدية." قال له الملاك هذه الكلمات، ثم اختفى.

وكان الشاب متردداً في شأن ما قاله له ملاك الرب. وفي الصباح، دعا بعضاً من مرافقيه وروى لهم ما رآه وسمعه من الملاك الذي ظهر له، وقصّ عليهم كيف أطلعه على الرجل الساكن في الجبل والذي على يده تجري الخوارق والمعجزات. وكان بين مرافقيه رجل مطلع بعض الشيء على شؤون المسيحيين، فقال له: "إن ما قاله الملاك لك بشأن هذا الرجل لأمر أكيد، يا سيدي. فقد سمعت ذلك من بعض المسيحيين الذين نالوا الشفاء منه." فعادت الطمأنينة إلى نفس بهنام، وتحقق من صحة ما قيل له، وشرع الصعود إلى الجبل دونما إبطاء، برفقة بعض من أصحابه. وساعدتهم النعمة الإلهية لكي يجدوا بيسر تلك المغارة التي كان القديس يسكنها. ولما رآهم القديس قادمين إليه من بعيد، ألهمه الروح ليخرج لملاقاتهم. فدنوا منه وسلموا عليه، فاستقبلهم بفرح، وعلم بقوة الله أن الرب قد دعاهم ليكونوا آنية مختارة تصلح لخدمته. ولما جلسوا، شرع القديس يتحدث إليهم ويسألهم عن سبب مجيئهم إلى هذا الجبل الوعر الذي أتعبهم وأرهق قوتهم، وقال لهم: "يبدو لي أنكم جنود مكلفون بخدمة ملك أرضي." ففتح الشاب بهنام فاه وأخذ يتكلم قائلاً: "يا سيدي، أنا ابن الملك سنحاريب الذي يسيطر على مملكة الفرس. وهؤلاء الذين تراهم هم عبيدي." ثم روى له قصة الصيد والأيل والملاك الذي ظهر له في الليل وأطلعه على أمور مستقبله وهداه في المجيء إليه..

ولما سمع القديس ما قاله الشاب، تعجب من كلام النعمة الذي يخرج من فمه، وشرع يكلمه من الكتب المقدسة عن كل ما صنعه الله للبشر، وكيف كلّمهم جيلاً فجيلاً وبمختلف الوسائل، بواسطة الأبرار والصديقين والأنبياء والقديسين، سعياً وراء خلاصهم. وحينما تمرد البشر ورفضوا عبادة الخالق وانجرفوا نحو عبادة الأصنام، أرسل الله ابنه الوحيد الحبيب، وولد من امرأة وظهر للعالم، وعاش كإنسان، وصنع وقات كثيرة: طهّر البرص، وفتح عيون العميان،

وأقام الموتى، وشفى المخلعين، وسار على أمواج البحر، وأشبع الألوف من خبز قليل... إلا أن اليهود الأشرار، حينما عاينوا عجائبه الكثيرة، حسدوه وحاولوا قتله وأفلحوا في صلبه على خشبة، ثم دُفن. ولكونه إلهاً، فقد قام من القبر في اليوم الثالث. ولدى صعوده إلى السماء، أرسل رسله القديسين وأولاهم سلطة صنع العجائب مثله وأوصاهم قائلاً: اذهبوا إلى العالم كله، وتلمذوا وعمذوا جميع الأمم باسم الآب والابن والروح القدس، وكل من يؤمن ويعتمد الخلاص... وبعد أن أوصى تلاميذه هذه الأمور، صعد إلى السماء، وهو الآن جالس على عرش مجده في أعلى السموات، وله يسجد الملائكة والبشر. وهو الذي أرسل ملاكه وكلمك، وسيتحقق كل ما قاله لك".

وكان بهنام يصغي بلذة إلى ما يقوله الناسك. ثم قال للقديس: "أريد أن أتحقق من هذه الأمور بالخبرة. فإن لي أختاً برصاء. فإذا أبرأها الذي تعبده، علمتُ حقاً أنه الإله الحقيقي ولا إله سواه." فقال له القديس: "إن أمنتم حقاً، فكل شيء مستطاع لمن يؤمن." ثم كلمه الناسك وأرشده وشرح له أموراً كثيرة عن الديانة المسيحية. فقال له بهنام: "أسألك يا سيدي أن تأتي معي إلى هناك." فقال له القديس: "بل اذهب وأحضر الصبية إلى ههنا." فأجابه بهنام: "كيف يمكن للصبية أن تأتي إلى ههنا. إنها لا تستطيع أن تفعل ذلك خوفاً من والدي ونظراً إلى ما تعانيه من الآلام الشديدة. فأتوسل إليك أن تصنع لي هذا المعروف إلى عبيدك فتنزل معنا، وإني لمؤمن بأن الصبية ستنال الشفاء والراحة بقدرة الله الذي تعبده." فلما سمع القديس كلام بهنام، لبى رغبته وهمّ بالذهاب معه بفرح، امتثالاً لكلام الرب الذي قال: "كل من سألك فأعطه، ومن طلب منك فلا تمنعه.

وأخذ القديس متى واحداً من الأخوة معه وانحدر من الجبل مع بهنام وأصحابه. وبعد مسيرة يوم واحد، وصلوا إلى سهل قريب من مدينة آثور. وفضل القديس المكوث هناك وامتنع من الدخول إلى المدينة، ولم يشأ بهنام أن يضغط عليه، بل أمر بعضاً من جنوده بالبقاء لدى القديس، ريثما يصل هو إلى بيت والده ويحاول إخراج أخته، ليأتي بها إلى هذا الطبيب الكبير الذي يشفي النفوس والأجساد. ولما دخل بهنام وجنوده إلى المدينة، أوصاهم بألا يكشفوا السر لأحد. ولما مثل أمام والده، فرح به هذا فرحاً عظيماً وأخذ يقبله ويلاطفه وكأنه لم يره منذ زمان طويل، ولم يدعه يغيب عن أنظاره طوال ذلك النهار لفرط حبه له. أما بهنام فكان على عجل من أمره ويريد العودة إلى القديس في أسرع ما أمكن. ولما حل المساء، استأذن الملك أباه في الذهاب لزيارة والدته وأخته. فأذن له الملك. فذهب بهنام إلى والدته التي غمرته بالحنان والقبلات.

وفكر بهنام أنه من الخير أن يكشف الأمر لوالدته حتى يتسنى أخذ أخته والخروج من المدينة خفية والوصول إلى القديس. فدنا من والدته بحرص وقال لها: "اسمعيني يا أمي الحبيبة، فإن

لي كلاماً أفضي به إليك." فقالت له أمه: "تكلم يا ابني الحبيب." فقال لها: "لقد صادفت رجلاً من المسيحيين الساجدين لإله السموات، وهو طبيب يُشفي جميع الأمراض دون دواء. وبينما كنت نائماً، ظهر لي رجل نوراني قال أنه عبد إله المسيحيين، وأطلعني على ذلك الرجل الذي ذكرته لك، وهو قد وعدني بأن يشفي أختي." وحينما سمعت الأم كلام ابنها هذا، تعجبت وتحيرت. وإذ كان عزيزاً عليها جداً، لم تشأ أن تقاوم رغبته، ولا سيما أنها سمعت عن شفاء ابنتها. فسعت في تسهيل الأمر بفرح.

وفي الصباح الباكر، خرج بهنام من المدينة مع أخته والجنود الذين كانوا قد رافقوه سابقاً، وساروا حثيثاً حتى بلغوا القديس الذي كان عاكفاً عن الصلاة آنذاك. ولما أنهى صلاته، دنا منه بهنام وسجد أمامه وقال له: "هوذا قد أتينا بأمتك، فاسمح يا سيدي بأن تمثل أمامك." فأتوا بها وأوقفوها أمامه. وركع القديس وصلى إلى الله قائلاً: "أيها الرب الإله القوي الجبار، الرهيب والمجيد وصانع المعجزات، الذي خلقت السماء والذي تطيعك عناصر الكون كلها... نتضرع إلى رحمة نعمتك أن تعطينا الآن مساعدة مواهبك الإلهية، فتشفي أمتك هذه من مرضها، لكي يعرف جميع الناس أنك أنت الإله الحق وحدك ولا إله آخر سواك...".

ولما أنهى الطوباوي صلاته، رفع عينيه إلى السماء وقال: "أيها الرب الإله، اسمع صلاة عبدك الخاطئ." ثم غرز عصاه في الأرض وقال: "لك القول أيتها الطبيعة الصماء، بقوة ذاك الذي بسطك على المياه السائلة، أن تفجري لنا ماء في هذه الساعة." وإذ بالأرض تنشق وتتدفق منها المياه. فأمسك القديس بيد الفتاة وقال لها: "أكفري بالشيطان وآمني بالمسيح، لكي يتم الشفاء لجسدك والتطهير لنفسك." فقالت الفتاة: "إني أكفر بالشيطان وبكل من يخدمه، وأكفر بالآلهة الكاذبة وبجميع الذين يسجدون لها، وأعترف وأؤمن بيسوع المسيح الذي تبشّر به، وبأبيه وبروحه القدوس." فوضع القديس يده اليمنى على رأسها وقال: "اعتمدت سارة باسم الآب والابن والروح القدس"، وغطسها في الماء ثلاث مرات. وما أن صعدت من الماء حتى زال برصها بقوة الله التي نالتها من مياه العماد، وكأن جسمها لم يُصَبْ بالبرص أبداً. وشرع جميع المشاهدين يرفعون المجد إلى الله ويقولون: "ما أعظم إله المسيحيين الذي يصنع مثل هذه العظائم على يد عبده متى! إنه حقاً إله السماء والأرض، وهو الذي يضرب ويشفي ويميت ويحيي".

أما القديس فقال لهم: "إذا آمنتم من كل قلبكم، فاقتبلوا رسم العماد المقدس، لتصحبوا من قطيع المسيح وورثة وأبناء في ملكوته." فأجابه بهنام ورفاقه بصوت واحد وقالوا: "إننا نؤمن ونتعمد باسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد الحق صانع العجائب." وإذ ذاك شرع القديس يمنحهم العماد المقدس واحداً فواحداً. وبعد أن اعتمدوا، علّمهم الصلاة الربية وحرضهم على التمسك بالديانة المسيحية، وحذرهم من العودة إلى عادات المجوس ومن تقديم الذبائح

للشياطين. فقبلوا بفرح كل ما قاله لهم القديس. وأنبأهم القديس أيضاً بما سيحتملونه من الآلام في سبيل المسيح وقال لهم: "يا أولادي، احرصوا على ما قد نلتموه، فإنكم بعد زمان يسير ستنتقلون إلى المسيح الذي آمنتم به." وكان يشير بذلك إلى الاستشهاد الذي سينالونه بحد السيف. وأجاب بهنام وقال للطوباوي: "لو اضطررنا إلى احتمال ألف موت من أجل المسيح، لما أنكرناه." وكذلك قالوا جميع الذين اعتمدوا معه. فاستودعهم القديس نعمة الله وأطلقهم من عنده. فعادوا إلى مدينتهم والفرح يغمر قلوبهم، وهم يمجدون الله على جميع النعم التي منّ بها عليهم.

ولما سمع الملك أن ابنته قد شفيت من مرضها، فرح فرحاً عظيماً وأمر بإحضارها. وحينما مثلت بين يديه ورآها، انذهل من هذا الأمر العجيب. وأخذ يسألها ويقول لها: "كيف شفيت يا ابني؟ ومن الذي شفاك؟" فأجابته: "إن الله خالق السماء والأرض هو الذي منح الصحة لجسدي والشفاء لنفسي على يد عبده القديس متى." فتساءل الملك بشيء من الأسى عن معنى تلك الكلمات. فأردفت الفتاة وقالت لأبيها بحكمة: "يا سيدي، لقد آمنا أنا وأخي بذاك الإله الذي شفاني، واعتمدنا باسمه، وإياه نعبد من الآن. أما الأصنام الصماء فإننا نزدري بها ونحتقرها." فأثارت تلك الكلمات غضب الأب على ابنته وأمر بإخراجها من عنده.

وفي صباح اليوم التالي، جمع الملك كل عظمائه وعرض الأمر أمامهم واستطلع رأيهم. فقالوا بضرورة إحضار الولدين بهنام وأخته سارة، لكي يحاولوا ردّهما عن فكرهما. فاستحسن الملك هذا الرأي، وأمر بإحضارهما. ولما مثل الولدان أمام الملك وعظمائه، شرع الملك يخاطبهما ويقول: "لا تعلمان يا ولديّ الحبيبين أنه لا إله إلا الآلهة التي نحن نسجد لها، وهي التي خلقت السماء والأرض. لذا ينبغي السجود لها وليس لإنسان مصلوب يتبعه المسيحيون بغباوة." فأجابه بهنام بدافع من الروح القدس وقال له: "إننا لا نسجد لآلهة صماء مائتة صنعتها أيدي البشر، ولها عيون ولا تبصر، وآذان ولا تسمع، ومثلها يكون صانعوها وجميع المتكلين عليها[٩٩]. ولما سمع الملك كلمات ابنه هذه قال: "أراك يا بهنام قد ضللت بسحر النصارى فبحق كيوان الإله العظيم وبيل وبيلتي، هؤلاء الآلهة الذين خلقوا العالم، إنكما إن لم تعودا عن رأيكما الفاسد هذا إلى السجود للآلهة وتقديم الذبائح لها كعادتكما، فإني سأبيد حياتكما عن وجه الأرض شر إبادة. ولا تظنا إني مشفق عليكما لكونكما ولديّ، فإنكما لستما أحبّ لي من آلهة الأرض كلها." حينئذ أجابت سارة بحكمة وقوة وغيرة إلهية وقالت للملك: "ألا ترى التغيير الذي طرأ على جسمي بالشفاء الذي نلته؟ إذن حقاً أنت أقل عقلاً من آلهتك. فهذه هي إنما حجارة وأخشاب، أما أنت فبإرادتك حرمت ذاتك من معرفة الناطقين. فنحن إذن نكفر بك

[٩٩] مزمور ١١٤/ ٤-٨.

وبآلهتك." فاحتدم الملك غيظاً وأمر بإخراجهما من أمامه ريثما يفكر في طريقة القضاء عليهما.

ولما خرجا من عند الملك، دخلا على أمهما الملكة التي كانت منذ مدة قد أيقنت من حقيقة الله، ولكنها كانت تخفي ذلك خوفاً من الملك. فشرعت الوالدة تخاطب ولديها وتقول لهما: "يا ولديّ الحبيبين، أشفقا على جمال شبابكما، لئلا يقضي عليكما الملك أبوكما بسورة غضبه." فأجاباها قائلين: "لقد كفرنا بالأب والأم، لأن المسيح الذي آمنا به قال: "من لم يبغض أباه وأمه وأخوته وأخواته وحتى نفسه، لا يستطيع أن يكون لي تلميذاً"[١٠٠]. لذا فإننا نزدري بجميع العذابات في سبيله، ولا يفصلنا عن محبته لا السيف ولا النار ولا العلى ولا العمق[١٠١]. وكانت والدتهما منذهلة بهذه الكلمات، والألم يحز نفسها خوفاً من فقدانهما، عالمة أن قصاص الموت ينتظرهما أن لم يذعنا لإرادة الملك ويسجد للآلهة.

وفي اليوم التالي، استوى الملك على عرشه واستدعى جميع عظمائه ومستشاريه وقال لهم: "ماذا نصنع بهذين الولدين؟" فقالوا له: "لا تسرع أيها الملك في إبادتهما، بل نرى أن تدعو جلالتكم إلى إقامة عيد فيه تُقرَّب التقادم للآلهة، ويدعى الولدان أيضاً للاشتراك في هذه العبادة، وإذ رفضا، أكملت فيها إرادتك." فاستحسن الملك هذا الرأي. وفي الغد، أقام الملك احتفالاً للآلهة، وقرَّب لها الذبائح والقرابين، واجتمعت المدينة كلها للاشتراك في هذا الاحتفال. ودُعي الولدان أيضاً إلى الاحتفال، وشرع الملك يخاطبهما قائلاً: "ألا تريان أن المدينة بأسرها تُكرم الآلهة وتسجد لها؟ أفتكونان وحدكما غريبين عن هذا؟ وكان الأجدر بكما أن تكونا السبّاقين في ذلك بصفتكما رؤساء الشعب وولدي جلالتنا. فاقتربا إذن وقدّما القرابين للآلهة ولا تكونا سبب عار لنا أمام هذا الحشد كله وأمام عظماء مملكتنا." فأجابه الولدان: "لقد قلنا لك أن لا نسجد لآلهتك ولا نرضخ لمشورتك، فإنه مكتوب: إن الآلهة التي لم تصنع السماء والأرض يجب أن تُباد من على وجه الأرض. أما نحن، فإلهنا هو رب السماء والأرض، وله يجب أن تخضع كل الكائنات لأنه هو الذي خلقها." فاحتدم الملك غيظاً لدى سماعه إهانة الآلهة، وأمر بقطع رأسيهما. وبالجهد الجهيد توصل العظماء إلى صده عن تنفيذ الأمر قائلين له: "لا تغضب عليهما أيها الملك، فإنهما صبيان لا يعرفان ماذا يقولان. فاصبر عليهما لعلهما يرعويان".

وما أن خرج الطوباوي من أمام الملك، حتى اجتمع هو وأخته برفاقهما الذين اقتبلوا العماد معهما. وكانوا هم أيضاً مستعدين لبذل حياتهم في سبيل المسيح دون السجود للآلهة. فحرضهم بهنام على الثبات في عبادة الإله الأوحد وقال لهم: "تعلمون، يا أحبائي، أن والدي الملك مزمع

---

[١٠٠] لوقا ١٤/ ٢٦.

[١٠١] طالع روم ٨/ ٣٨-٣٩.

أن يقتلنا. بيد أنه ينبغي لنا أن نصل إلى أبينا ومرشدينا مار متى لكي يزوّدنا بصلواته وببركاته." فوافق الجميع على اقتراح بهنام، وهيئوا الخيل ولوازم السفر، وخرجوا من المدينة خفية، وساروا إلى أن وصلوا إلى تل قريب من المدينة وحلّوا هناك للاستراحة. فقيل للملك أن ابنه وابنته أخذا معهما زمرة من العبيد المسلحين وخرجوا من المدينة. فظن الملك أن في الأمر تمرداً وعصياناً مسلحاً. فغضب جداً وأمر بتجنيد فرسان كثيرين مدججين بالسلاح لملاحقتهم، وأوصاهم بألا يعودوا إلا بعد القضاء عليهم. وأقسم بآلهته إنهم إذا عادوا دون إبادتهم على بكرة أبيهم، فإنما ذلك سيدل على خيانتهم ومن شأنه أن يجلب عليهم الموت الزؤام.

فامتثل الجنود أمر الملك وساروا مسرعين في أثر بهنام وصحبه الذين لم يكونوا بعد قد غادروا التل الذي استراحوا فيه. وما أن لحقوا بهم حتى انقضّوا عليهم كالذئاب المفترسة، وذبحوهم بلا رحمة. غير أنهم لم يتجاسروا على قتل بهنام وأخته سارة، بل استبقوهما راجين أن الملك سيندم سيندم على قتلهما فيصدر أمراً بالعفو عنهما.

أما بهنام البطل الصنديد فقال للقتلة: "إلا عجلوا في تنفيذ أمر الملك لئلا ينالكم عقاب الموت." فانذهل القتلة من عزيمة بهنام التي لم ترتخ ولم تلن إزاء مقتل أصحابه أجمعين، بل يزداد فرحاً وبهجة أمام فكرة الموت. إذ ذاك أمر القائد أحد جنوده قائلاً: "أسرع واقطع رأسه ورأس أخته، لئلا يغضب الملك علينا فيعاقبنا بالموت على عدم امتثالنا أوامره." وعلى الفور همّ الجلاد بقطع رأسيهما. فالتمس بهنام منهم أن يمهلوه بعض الوقت ليصلي. فأمهلوه. فعكف بهنام مع أخته سارة على الصلاة وشرع يقول: "أيها الرب الإله القدير، يا خالق الكائنات كلها، يا من تخضع لسيادتك جميع قوات السماء وربوات الملائكة، يا من تقبل بمحبتك للبشر الهدايا الصغيرة التي يقدمها لك الناس، وتغفر خطايا العائدين إليك من كل قلبهم، وتزيل وتمحو بجودتك نقائض التائبين إليك وزلاتهم، كما قلت في الإنجيل أنه سيكون فرح عظيم بخاطئ واحد يتوب[١٠٢]. أيها الرب محب البشر، ها نحن عبيدك الضعفاء قد عدنا من عبادة الأصنام إلى معرفة ألوهيتك السامية، واقتبلنا رسم المعمودية المقدسة على رجاء الحياة العتيدة. وعلى هذا الرجاء، قد ازدرينا بالحياة الزائلة واحتقرنا المملكة الزمنية في سبيل الملكوت السماوي. فنسألك يا رب، ألا ترذلنا نحن عبيدك الضعفاء، بل تقبل دمنا كذبيحة طاهرة وقربان ذي عرف زكي. ونبتهل إليك يا رب ونتضرع إلى نعمتك أن تبعد جميع الآفات والكوارث عن البلاد التي تكرم اسمك واسم عبيدك الضعفاء، وأن تمنح سكانها جميع النعم والبركات، وتنجّيهم من كل الأضرار الجسدية والروحية..".

---

[١٠٢] لوقا ١٥/ ٧.

وسُمع صوت من السماء يقول: "لقد سُمعت صلاتك أيها العبد الصالح بهنام، وإني أمنحك أكثر مما سألت. ولأنك تخليت عن المملكة الأرضية وأحببت اسمي، هلم أدخل ورث الملكوت السماوي الذي لا يزول ولا يحول". فغمر قلب القديس فرح عظيم، ورسم إشارة الصليب على جبينه، وفعلت سارة مثله، ثم جثيا على ركبهما ومدا عنيقهما للسيف وشخصاً بانتظارهما إلى السماء قائلين: "يا ربنا يسوع المسيح، تقبل أرواحنا، ولا تحسب على والدينا هذه الخطيئة، بل أرجعهما إلى معرفتك وإلى الإيمان بك." وإذ ذاك قطع السيف رأسيهما وضمهما إلى رفاقهما المقتولين..

وبعد أن نفّذ الجنود مهمتهم الدموية، تركوا أجساد الشهداء مثل كومة حجارة نفيسة على ذلك التل وعادوا مسرعين إلى المدينة، وأخبروا الملك بما فعلوا. ولم يندم الملك على مقتل ولديه الحبيبين، بل على النقيض من ذلك ازداد قلبه قساوة، وأمر الجنود الذين قتلوهم بأن يأخذوا نفطاً وكبريتاً وناراً وحطباً وأن يذهبوا ويحرقوا أجساد الشهداء لكي لا يبقى منهم شيء في العالم. ولما وصل الجنود إلى موضع المجزرة، شاهدوا أجساد القديسين تتلألأ مثل أشعة الشمس من خلال السحب الممطرة. وحينما جمعوا الحطب وهموا بإضرام النار، ارتجت الأرض وحدث زلزال شديد واستحوذ الهلع على جميع الحاضرين هناك، وانفتحت بغتة تحت موضع جثث القديسين هوة واحتوت الأرض تلك الذخائر لئلا يحرقها الأثمة. فاستولى الرعب على قلوب الجنود وهربوا مرتاعين، ودخلوا المدينة ورووا للملك كل ما حدث. فصرخ الملك صرخة عالية: "ما أعظم انتصار آلهتنا! فإنهم لم يؤهلوا أجساد هؤلاء المتمردين لأن تحرق بالنار، بل أخفوها في أعماق الأرض المظلمة، لئلا يراها البشر".

وكان استشهاد هؤلاء القديسين في العاشر من كانون الأول (سنة ٣٥٢).

وما أن مضت أيام قلائل، حتى أنزل الله بالملك سنحاريب عقاباً شديداً إذ سمح بأن تعتريه روح شريرة. فكان يولول ويصرف أسنانه ويمزّق ويعضّ جسمه. واستمر على تلك الحال أياماً عديدة. إلا أن الله الرحيم أرسل ملاكه فتراءى لزوجة الملك في الحلم وقال لها: "لا تخافي، فإن زوجك الملك سينال الشفاء." وكان الملكة مع الحاشية وأهل البلاط في حزن وأسى عميقين على الملك، فقالت للملاك: "من أنت؟" فقال لها: "أنا عبد الله العلي العظيم، وقد أرسلت سابقاً إلى ابنك بهنام وأرجعته من ضلال عبادة الأصنام إلى معرفة الإله الحق الأوحد. وهو الآن عند الله على رأسه تاج المجد. وعظامة عتيدة أن تصبح ينبوع خيرات لجميع المرضى والمتضايقين. فإذا شئتم أن تؤمنوا بالله وتنبذوا عبادة الأصنام، فسيكون خلاص لكم أيضاً وشفاء للملك من هذه العلة التي صابته." فقالت له: "وماذا علينا أن نفعل؟" فأجابها الملاك: "أن تأخذي زوجك الملك إلى المكان الذي فيه قُتل الشهداء القديسون، وهناك يُقال لكم ما يجب فعله لخلاص حياتكم." وعند الصباح، أخذت الملكة زوجها في عربة يحرسها جنود كثيرون. ولدى

وصولهم إلى الموضع، نزلوا عند ثغرة تلك الهوة وظلوا هناك حتى المساء. ولما حل الظلام، شرعت الملكة تناجي ابنها سراً وتقول له: "يا بني الحبيب، اغفر لنا ما أخطأنا به إليك، وساعد أباك المعذب بهذا الداء، حتى إذا ما زال عنه الألم، نؤمن نحن أيضاً بالله ونحظى معكم بميراث السماء." وما أن قالت هذا، حتى استحوذ عليهم نوم عميق، وتراءى لها الفارس المغوار بهنام وهو متوشح بالنور، وعلى رأسه إكليل المجد، وقال لها في الحلم: "إذا شئتم أن تنالوا الشفاء، ستدعو رجل الله مار متى الساكن في الجبل الذي تجاهكم، وعلى يده سيكون اهتداءكم إلى الله وتنالون شفاء النفس والجسد وتتحررون من عبودية الشيطان: وسيتحقق لكم هذا حينما تعودون إلى الله وتنبذون عبادة الأصنام".

وفي الصباح، استيقظت الملكة وقد اعتراها الذهول من كل ما قيل لها في الحلم. وإذ كانت قد اختبرت قوة صلاة القديس متى حينما شفى ابنتها، لم تساورها الشكوك في هذا الأمر. فدعت أحد الأمناء وروت له كل ما ظهر لها في الحلم وقالت له: "خذ معك عاجلاً عدداً من الجنود، واذهب وآتني بالقديس متى، وهو سيشفي الملك من دائه." فنفّذ أمرها على جناح السرعة وتوجه مع الجنود إلى الجبل، وأفلحوا في العثور على مغارة القديس، فوجوده هناك مع رهبانه. وبعد أن حي!وه، أخبروه بأمر استشهاد القديسين وبمرض الملك. فأدى القديس الحمد لله على عظيم نعمته، ثم أطلعوه على رغبة الملكة في ذهابه إليها. فقام حالاً وذهب معهم فرحاً، لأنه سبق وعرف أنهم سيعودون إلى الله. وأخذ معه خمسة رهبان وسار شطر مدينة آثور. ولما وصلوا إلى موضوع استشهاد القديسين، توقفوا قليلاً للصلاة، ثم استأنفوا السير إلى المدينة. وحينما أخبروا الملكة بوصول القديس، أوعزت على الفور في أن يمثل أمامها. وما أن دخل، حتى قامت الملكة من عرشها وسجدت أمامه وسلمت عليه باحترام، ثم روت له كل ما جرى وهو يصغي إليها بارتياح. ثم فتح القديس فاه وشرع يكلمها من الكتب المقدسة. فأفعم قلبها رجاء وأنار عقلها بالكلمات الإلهية. فقالت له: "إننا سنفعل كل ما تأمرنا به، إنما نلتمس منك أن تشفي الملك من مرضه." فأمر القديس بإحضار الملك أمامه. فلما أتوه به، تنهد القديس إذ رآه على تلك الحالة البائسة، وجثا مصلياً وقال: "أيها الرب يسوع المسيح، يا طبيب المرضى، ألتمس من نعمتك أن يأتي حنانك إلى عوننا في هذا الوقت، فيشفى عبدك من هذا المرض الذي ألمّ به، لكي يعظم جميع المشاهدين اسمك القدوس ويؤمنوا بأنك أنت الإله الحق ولا إله آخر سواك." وفي الحال ولول الشيطان وخرج من الملك على شكل حبشي وهو يصرهخ ويقول: "تباً لكم عبيد يسوع الناصري، فقد جعلتموني سخرية في الأرض كلها." إلا أن القديس زجره وطرده ولم يظهر بعد ذلك. فأخذ جميع الحاضرين يؤدون المجد لله على تلك الآية الباهرة.

وحينما عاد الملك إلى ذاته، وعاين التغيير الذي طرأ عليه بصلاة القديس متى، جثا على قدمي الطوباوي وأخذ يطلب منه قائلاً: "يا عبد الله العلي، ألتمس منك أن تغفر لنا كل ما فعلناه بجهلنا، وأن تحررنا من الضلال الذي نحن فيه." وإذ رأى القديس استعدادهم الحسن، أمر بإحضار ماء وشرع يعمدهم باسم الآب والابن والروح القدس. فاعتمد في ذلك اليوم أناس كثيرون، وشفي كثيرون من أمراضهم بصلاة القديس. فعمّ الفرح جميع القلوب. ودنا الملك وجثا أمام القديس وقال له: "اسأل ما شئت فأعطك، حتى إذا كان نصف مملكتي." فأجابه القديس: "لتزدهر مملكتك، وليزدَدَّ إكرامك. إنما أسألك أمراً يؤول إلى ذكرى صالحة لك في هذا العالم وإلى المكافأة الأبدية في العالم العتيد، وهو أن تبني لنا كنيسة في موضع إقامتنا. لأن الله سيجمع هناك عدد لا يحصى من الرهبان، فتكون هذه الكنيسة موضع اجتماعهم، وفيها يؤدون الصلوات ويقدمون قرابين الشكر للثالوث المجيد." فسُرَّ الملك بما قاله الطوباوي، وأمر بإعداد كل ما يُلزم لبناية هيكل، وأوعز إلى المهندسين والبناءين قائلاً: "نأمركم ببناء كنيسة كبيرة وجميلة، بإرشاد أبينا الروحي وهادي نفوسنا إلى معرفة الحق." وأوعز إلى وكيله في تهيئة النفقات اللازمة. ثم بارك الطوباوي للملك والملكة بلادهم واستودعهم نعمة الله.

ولدى خروج القديس رافقه الملك مع جنوده إلى الموضع الذي فيه استشهد بهنام ورفاقه. فنزلوا هناك وصلوا. وقال له القديس: "علينا، يا سيدي الملك، أن نهتم بأجساد القديسين ونقيم لهم مرقداً يصبح مزاراً وينبوعاً للخيرات لجميع قاصديه." فأجابه الملك: "لا تهتم بهذا الأمر، فأنا بنفسي سأتولى تحقيقه. أما أنت فاهتم بالعمل الذي تريد القيام به." وفي اليوم التالي، صعد القديس إلى الجبل مع رهبانه وجميع الفعلة، وشرعوا يبنون الكنيسة. وكان الله يساعدهم دوماً فتأتيهم النفقات من البلاط، ويقبل المؤمنون من كل جهة للمشاركة في العمل أو لتقديم الهدايا والنذور له. وقد انخرط كثيرون منهم في سلك الرهبانية. فاجتمع إليه رهبان عديدون وقدموا من أماكن بعيدة وسكنوا في ذلك الجبل، وازداد عددهم حتى بلغ ٧٠٠٠ راهب: منهم سكنوا في المغاور وغيرهم في الكهوف وآخرون أقاموا لهم أديرة صغيرة. لذا فقد دُعي هذا الجبل "جبل الفاف" أي جبل الألوف، ويُدعى اليوم جبل مقلوب وفيه يقع دير مار متى الشهير.

أما القديس، فبعد أن أنجز بناء الكنيسة والسور، حفر حولها صهاريج واسعة لخزن المياه لحاجة الرهبان والزائرين. ولما لاحظ إقبال الناس الشديد على الموضع ووعورة الطريق المؤدي إليه، طلب من الملك أن يساعده في تمهيد هذا الطريق. فلبى الملك حالاً رغبته في تسوية الطريق.

وحينما شاء الملك أن يبني مزاراً للشهداء في الموضع الذي فيه قُتلوا، التمست منه الملكة وقالت: "أطلب منك يا سيدي الملك أن تأذن لي بأن أهتم أنا بنفسي بهذا الأمر، لتكون لي حصة في هذا العمل الجليل، كما قمت أنت ببناء الكنيسة الكبيرة لأبينا مار متى." فأذن لها

الملك. ولما أرادت بناء المزار، قال لها مار بهنام في الحلم: "أرسلي إلى الجبل الذي فيه يسكن القديسون، واحضري من هناك رجالاً يستحقون أن يلمسوا بقايا أجسادنا النفيسة." وفي الصباح، دعت نفراً من عبيدها وأرسلتهم إلى الجبل بهذا الشأن. وكان القديس قد انتقل إلى ربه منذ مدة، وخلفه مار زكا في رئاسة الدير. فلما وصل رسل الملكة، استقبلهم بفرح. وما أن أطلع على سبب مجيئهم، حتى سرّ كثيراً، ولكنه لم يستع هو ذاته أن يذهب معهم لكونه مشغولاً بإدارة الرهبانية فدعا مساعده الطوباوي مار إبراهيم وقال له: "إنه لمن الضروري أن تذهب مع رسل الملكة بصحبة نفر من الأخوة، فتقوموا بهذا العمل حسب إرادة الله".

فذهب الطوباوي إبراهيم بصحبة راهبين يضارعانه فضلاً وفضيلة وجاءوا إلى الملكة. فاستقبلتهم مثل ملائكة الله، وأطلعتهم على ما قيل لها في الحلم. فقال لها إبراهيم أن تُعدَّ رجالاً جديرين بهذه المهمة. ثم انطلق الجميع مع الملكة وكثير من أهل البلاط. ولدى وصولهم إلى موضع الاستشهاد، جثا الطوباويون وصلوا مدة غير يسيرة. وعند ختام صلاتهم، تطلع القديس إبراهيم في فوهة تلك الهوة، فأبصروا نوراً يتلألأ منها شبيهاً بنور الشمس وتفوح منها رائحة المسك العطرة. فانحدر مع الأخوة إلى داخل الحفرة، فرأى أجساد القديسين ملقاة على الأرض، كل منها على حدة. وأوعز إلى الملكة في النزول أيضاً. ولما نزلت، شرعت تقبل أجساد الشهداء، وتعرفت إلى جسدي حبيبيها بهنام وسارة وهما موضوعان في جهة وحدهما، وكأنهما الشمس والقمر بين النجوم. وفرحت الملكة مع الرهبان إذ أهّلهم الله لاكتشاف هذا الكنز النفيس.

وأمرت الملكة بالشروع ببناء الجب. وفي أيام قليلة أنجزوا بيت الشهداء، وجمعوا أجساد الشهداء في بيت صغير. وصنعت الملكة جرنين من الرخام، ووضع مار إبراهيم جسد بهنام في أحدهما وجسد سارة في الآخر، ووضعهما في الجدار الشرقي في نهاية الجب. وأخذت العجائب تجري هناك، والناس يقدمون من كل صوب طلباً للتبرك والشفاء.

ومثل مار إبراهيم أمام الملكة ليستأذنها بالعودة إلى ديره. فناشدته أن يأخذ ما يشاء من الذهب والمال. ولكنه رفض العرض رفضاً قاطعاً. إلا أن الملكة استحلفته أن يأخذ شيئاً من الذهب لبناء هيكل يكون مصلى للأخوة ويبقى ذكراً صالحاً لها. فرضخ القديس لإرادتها الصالحة وأخذ مالاً وبنى به هيكلاً جليلاً في الموضع الذي كان يُدعى "كوخياثا – الأكواخ"، وغلب عليه اسم دير مار إبراهيم حتى اليوم.

أما الراهبان اللذان كانا قد رافقاه في بناء الجب، فلم يعودوا إلى الجبل، بل تركهما القديس إبراهيم هناك ليقوما بخدمة مراقد الشهداء واستقبال المتوافدين عليها. وعلى مر الزمن. ازداد إقبال الناس على إكرام الشهداء، ولم يكن ثمة موضع يحتمون به من حر الصيف وبرد الشتاء. وكانت هذه الحالة تزعج الناس والراهبين، إلا أن الله الرحيم فتح لهم باب الفرج بعد حين.

www.karozota.com

فحدث أن أحد أشراف المؤمنين من بلاد فارس الداخلية قصد الذهاب إلى القديس لزيارة الأماكن المقدسة، مع بعض من ذويه وخدمه. وكان هذا الرجل غنياً ويُدعى اسحق. وشاء الله أن تجتاز طريقه بمرقد الشهداء هذا، ورأى ازدحام الناس على الموضع ومعهم مرضى عديدون. ولما سأل عن الخبر، قيل له أن ثمة مرقد الشهداء ومنه تفيض النعم والبركات على الزائرين والمرضى. فشكر الله على أنه أتاح له هذا اللقاء الجميل. ولدى دخوله إلى المزار، استقبله الراهبان وشرحا له عن الموضع والشهداء. فدخل وصلى متضرعاً إلى الله ملتمساً عون الشهداء، لا سيما لعبد محبوب لديه كانت فيه روح شريرة. ولما أنهى صلاته، جلس عند أقدام هذين الراهبين طالباً منهما المزيد من الشرح حول هؤلاء الشهداء. فقصّا عليه الخبر كله، وشرع الرجل يمجد الله ويقول: "الويل لنا نحن الذين ندعى مسيحيين بالاسم فقط دون الأعمال." وبعد أن أمضى ساعات طويلة مع الراهبين، عاد إلى موضعه مضطرماً بحب الله، وأمضى الليلة كلها في الصلاة. وفي منتصف الليل، ظهر له مار بهنام في الحلم وقال له: "اسحق، اسحق، لقد سُمعتْ صلاتك، وسيُستجاب طلبك بشأن عبدك. ولكن اهتم بإقامة هيكل للصلاة ههنا، وسيحسب الله ذلك لك أجراً أعظم من ذهابك إلى القدس." ثم توارى عنه القديس. فاستيقظ الرجل من نومه منذهلاً، وتساءل هل كان ذلك حلماً أم خيالاً؟ وفي الصباح، روى الحلم للراهبين اللذين تعجبا من الأمر. ثم ذهبوا كلهم إلى بيت الشهداء، فجثا الرجل وأخذ يصلي ويسأل الله أن يُمنّ عليه بتحقيق ذلك الحلم. وفي الليلة التالية، بينما كان الجميع غارقين في النوم، ظهر القديس بهنام في منتصف الليل على شكل جندي مسلح لذلك العبد الممسوس ولكزه برمحه وقال له: "شفاك المسيح ابن الله." وفي الحال خرج منه الشيطان وشرع الغلام يولول ويتنهد من نومه العميق. فاستيقظ الجميع على صوت صراخه وأيقظوه، وسأله سيده عن الأمر، فروى له الغلام كل ما جرى له في النوم وكيف خرج منه الشيطان. فأخذ الجميع يمجّدون الله. فعلم الرجل حقيقة ما قيل له، وأخذ الغلام وجاء به إلى الراهبين اللذين شرعا يمجدون الله على تلك المعجزة.

بعد ذلك اطلع الرجل الراهبين على سابق قصده في تشييد الكنائس، وقد أيد الله هذا القصد بما جرى ههنا. فرضي الراهبان على أن يخبرا رئيسهما بذلك. ولما علم مار زكا، أرسل مار إبراهيم وبعضاً من الرهبان إلى مرقد الشهداء. وساعدتهم الملكة في قسط كبير من النفقات. ولما أرادوا أن يبنوا الكنيسة عند باب الجب، ظهر مار بهنام للطوباوي مار إبراهيم وقال له: "أيها الأب المبارك، لا تعملوا كما فكرتم، بل غداً صباحاً سأقف فوق الجب، ويجب أن تُبنى الكنيسة على مرمى حجرة من الجهة الغربية".

وفي مدة قصيرة بُنيت الكنيسة ثم أقاموا السور وشيدوا بيوتاً أخرى للزائرين. وكانت الملكة لا تكف عن مدّهم بالمساعدة. وحينما أنهوا بناء الكنيسة، نقلوا عظام القديسين بهنام وسارة

ووضعوهما في الهيكل الذي بُني لهما. أما بقية ذخائر القديسين فتركوها في الجب. ومنذ ذلك الوقت، دُعي الموضع "دير الجب". وبعد ذلك الرجل الكريمة إلى بلاده، وعاد مار إبراهيم إلى ديره في الجبل، فرأى أن مار زكا قد غادر الحياة منذ مدة. فأجمع رأي الرهبان على إقامته رئيساً عليهم حتى موته.

.. وما يزال دير مار بهنام قائماً حتى اليوم، وقد أضيفت إليه أجنحة عديدة للزوار. إلا أنه الآن خالٍ من الرهبان. وتقام في هذه السنة بالذات تظاهرات إيمانية وحضارية عديدة بمناسبة مرور ١٦ قرناً على استشهاد مار بهنام وأخته سارة ورفاقه الأربعين. وينوي السريان جعله قريباً معهداً لطلاب الكهنوت. أما دير مار متى القابع على جبل مقلوب، فقد حظي في هذه السنين الأخيرة باهتمام السلطات العراقية ورعايتها الخاصة، وبنيت فيه أجزاء جديدة وتم ترميم القديمة، وهو يجتذب العديد من الزائرين لحسن موقعه وللذكريات الجليلة التي ينطوي عليها. وليس فيه الآن سوى أسقف وراهبين.

(٢٦) استشهاد الشماس برحذبشبا

في السنة الخامسة عشرة من اضطهادنا، ألقي القبض بأمر شابور طمشابور على برحذبشبا الذي كان شماساً في مدينة أربيل، وشرع هذا الظالم يعذبه مر العذاب ويقول له: "إن أردت أن تنجو من العذاب والموت، أكرم النار والماء وكل الدم".

أما هذا المظفر، فكان يهزأ به ويقول له: "ومن أنت أيها المنافق اللئيم حتى تحملني على نبذ الحقيقة وعلى الانحراف عن السلوك الذي أنا عليه منذ نعومة أظفاري؟ فحيّ الله الذي أعبده بالحق، والمسيح الذي أنا منكل عليه، فلا أنت ولا ملكك الذي أنت فخور به، ولا تنكيلاتك ولا القتل الذي تهددني به، لا تستطيعون أن تفصلوني عن محبة يسوع الذي أحببته منذ صغري حتى هذه الشيخوخة التي بلغتها الآن".

فثار ثائر الحاكم عليه، وفي سورة غضبه أمر بأن يقطع رأسه. وكان ثمة رجل من الأحرار اسمه عجي، وهو علماني من قرية "تحل"[١٠٣]، وقد ألقي القبض عليه لكونه مسيحياً يأبى السجود للشمس. فأمر الحكام بحل وثاقه وأوعز إليه في قتل الطوباوي، لكي يدفعه بذلك إلى جريمة أبشع من تلك التي رفض ارتكابها.

فأخرجوا الطوباوي برحذبشبا إلى ظاهر بلدة "حزة" وربطوه فوق أكمة هناك. ونالوا عجي سيفاً. فأمسك به نرتعداً، وضرب عنق الطوباوي سبع ضربات ولم يستطع حز رأسه لما اعتراه من الخوف والهلع. فغضب عليه المجوس المشرفون على تنفيذ الأمر وتهددوه. وإذ

[١٠٣] بلدة أسقفية في مقاطعة بيث جرماي لا نعرف موقعها بالتأكيد.

ذاك تناول ثانية السيف الذي كان قد رمى به أرضاً وهو مخضّب بدم الطوباوي، وغرزه في جسمه إزاء موضع القلب، وعلى الفور فاضت روح الشهيد.

إلا أن هذا الرجل الجاحد القاتل لم يبق بغير عقاب. فما أن قتل هذا الشهيد، حتى أنزل به الرب داءً أليماً، فانتفخت يده اليُمنى وأضحت مثل سارية، فكان يرقد على سريره وذراعه ممتدة على سرير آخر، حتى نتن جسمه كله وتفسخ. وبعد أن أمضى أياماً وهو يعاني الأمرين، مات شر ميتة، وقد تخلى عنه الجميع.

وأقام المضطهدون حارسين على جثة الشهيد برحذبشبا. وحينما حل الظلام، حاول راهبان كامنان هناك أن يسرقا جثمانه. إلا أن الحارسين لم يستسلما إلى النوم ولم يقبلا رشوة قدمها الراهبان لهما. وإذ لم تبق للراهبين وسيلة أخرى، انقضّا على الحارسين وأشبعاهما ضرباً وشدا وثاقهما، ثم أخذا الجثة وذهبا بها ودفناها في تلك الليلة نفسها.

كان استشهاد برحذبشبا في العشرين من تموز (سنة ٣٥٦؟).

(٢٧) قصة مار قرداغ الشهيد

كان قرداغ يتحدر من سلالة الملوك الآشوريين. فوالده من سلالة نمرود الجبار، ووالدته من صلب سنحاريب الشهير. ولد من أبوين وثنيين. وكان والده كوشناوي رجلاً وجيهاً في المملكة وشهيراً بين المجوس. وكان قرداغ جميل المنظر، رشيق القد، قويِّ الجسم، ماهر في القتال وشديد التمسك بالديانة الوثنية. وذاع خبر بسالته في المملكة كلها وهو ما يزال في الخامسة والعشرين من عمره. ولما بلغ هذا الخبر مسامع شابور الملك، استدعاه إليه وأكرمه، بعد أن شاهد ما يتحلى به من الجمال والقوة. وأمره يوماً بأن يلعب في الميدان أمام جميع عظماء المملكة وأن يرمي السهام على هدف صغير وضع فوق سارية عالية. وأتوه بقوس وبستة سهام من مشجب الملك. فرشق السهام وأصاب الهدف في الموضع نفسه. فكال له الملك وعظمائه المديح والثناء على مهارته الخارقة. وفي اليوم الآخر، أمره الملك بأن يأتي إلى الميدان ويلعب بالكرة معه ومع عظمائه. فامتثل الأمر، ونال استحسان الجميع وإعجابهم. وفي اليوم الثالث، خرج الملك إلى الصيد بصحبة مائة من عظمائه وثلاثمائة فارس. فأمر الملك قرداغ بالخروج معه راكباً حصاناً من خيول الملك، وبالسير أمام الملك على رأس حَمَلة سلاحه. وإذ أوشكوا على الدخول إلى غابة أبصروا أمامهم أيلة تعدو مع ولدها. فصرخ الملك وقال: "ارفع قوسك وصوبه إلى الأيلة واقتلها مع ابنها دفعة واحدة. إذ ذاك هتف الملك بأعلى صوته وقال: "عشت يا قرداغ، عش وافرح بشبابك وأبهجنا بمآثرك." وما أن عاد الملك من

الصيد حتى أمر بمنح قرداغ هبات وافرة، ثم أقامه وزيراً على آثور ومرزبانا[١٠٤] يمتد حكمه نهر تور ماراً حتى مدينة نصيبين، وأرسله بأبهة وحمّله هدايا كبيرة ونفيسة لوالده.

وحينما تولى إدارة الولاية الواسعة التي عُهدت إليه، خاف منه المسيحيون خوفاً شديداً، إذ كانوا يعلمون غيرته العارمة على الديانة المجوسية، وأخذوا يرفعون الصلوات لأجله في الكنيسة كلها، عسى الله أن يخفف من شدة تغضّبه فلا يضطهد الشعب المسيحي الذي كان آنذاك عرضة للاضطهاد الشديد في مملكة شابور العاتي.

ولما وصل قرداغ إلى داره في أربيل مدينة الآثوريين، أقام عيداً كبيراً للآلهة وأكرم المجوس كثيراً، ومنح معابد النار هدايا نفيسة. وبعد أيام قليلة شرع ببناء حصن وقصر على تل يُدعى "ملقي". وأنجز البناء في سنتين، فأقام حصناً منيعاً وقصراً رائعاً. وشيد في لحف التل معبداً للنار، وعيّن مجوساً لخدمة المعبد والنار. وبينما كان يبني الحصن، رأى ذات ليلة في الحلم أن فارساً مدججاً بالسلاح وراكباً حصاناً قد وقف فوقه. ثم لكزه بطرف حربته وقال له: "يا قرداغ." فأجابه: "هاءنذا." فقال له: "اعلم يقيناً أنك ستموت أمام هذا الحصن شهيداً في سبيل المسيح." فقال له قرداغ: "من أنت حتى تفئلني بهذا؟" فقال له الطوباوي: "أنا سركيس خادم المسيح، ولست أفئك كما تظن، بل سبقت وأنبأتك بالمستقبل كما كشفه لي المسيح سيدي." ولما استيقظ قرداغ من نومه، تولاه خوف شديد، وقص الحلم على أمه وحدها. فقالت له أمه: "حذارِ يا ابني من أن تسبّب المتاعب للمسيحيين، فإني أعلم حقاً أنهم يسجدون للإله الأوحد الحقيقي. وإلههم هو الذي أراك الحلم." إلا أن قرداغ لم يولِ هذا الحلم أهمية كبيرة.

وكان ثمة رجل طوباوي اسمه عبديشوع يسكون مغارة[١٠٥] في جبل منطقة "بيث بغاش"[١٠٦]، وكان رجلاً فاضلاً ينعم برؤى إلهية. فقال له الرب في الرؤيا: "قم وانحدر وأحضر أمام المرزبان قرداغ، فإني بواسطتك سأصطاده لي، وعليه أن يعاني كثيراً من أجل اسمي." فنهض الطوباوي عبديشوع وأخذ عصاه وحمل الإنجيل في مزودة صغيرة ونزل متوجهاً شطر أربيل، كما أمره الرب. وفي أحد الأيام، بينما كان قرداغ خارجاً ليلعب بالكرة في الميدان، التقاه عبديشوع وقطع طريقه واجتاز أمامه، فغضب قرداغ إذ رآه مجتازاً أمامه، فقال للذين معه: "إن هذا الرجل لشؤم." ثم أوعز إلى اثنين من جنوده في لطم القديس عبديشوع على وجهه وفي الاحتفاظ به ريثما ينظر في أمره. وعاد قرداغ إلى بيته، ثم ركب حصانه ثانية

---

[١٠٤] مرزبان –وجمعها مرازبة– لقب كان يطلق على حكام الأقاليم.

[١٠٥] ما زالت مغارة عبديشوع موجودة على مسافة نحو ساعتين جنوبي مزار الربان بويا "بيري" في الجبل المطل على مصيف شقلاوة في شمال العراق.

[١٠٦] بيث بغاش هي المنطقة الواقعة شمالي شقلاوة في أعالي الزاب الكبير.

وذهب إلى الميدان، فاضطرم القديس عبديشوع بغيرة إلهية ورفع يده ورسم علامة الصليب وقال: "أيها الرب الإله القدير، أظهر له مجدك واكشف له عن قوتك ليعرف أنك أنت الإله الحق ولا آخر سواك، كما أظهرت لي في الرؤيا." أما قرداغ وأصحابه، فحينما وصلوا الميدان وهموا بملاحقة الكرة على صهوة جيادهم، إذا بالكرة تلتصق بالأرض، ولم يفلحوا في تحريكها من مكانها. فأمر قرداغ أحد جنوده بأن ينزل ويأخذ الكرة بيده ويقذف بها بعيداً. فتناولها من الأرض وقذفها بقوة، ولكنها سقطت عند قدميه. وحاول جميع جنوده قذفها ولكن دون جدوى. فتعجب الجميع وقالوا: "حقاً أن ذاك الرجل الذي التقيناه لساحر، وهو الذي سحر كرتنا ونغّص فرحنا." فأجاب واحد منهم وقال: "بينما كنا نتهيأ لامتطاء جيادنا، رأيت ذلك الرجل يرفع يده اليمنى ويرسم علامة تشبه صليب المسيحيين، وكانت شفتاه تتحركان وكأنه يتمتم شيئاً".

فعاد المرزبان إلى داره منذهلاً، وأمر بإحضار القديس عبديشوع وسأله بعنف وقال له: "من أين أنت أيها الرجل؟ وما شأنك؟" فأجابه الطوباوي: "لقد سمعت من والدي أنهما كانا من قرية حزة في منطقة الآثوريين. ولكونهم مسيحيين، فقد طردهم الوثنيون من هناك. فذهبا وسكنا في قرية "ثمانون"[١٠٧] من أعمال منطقة قردو. أما أنا فليس لي موضع إقامة خاص، لإني سمعت من المسيح ربي الذي جاء وخلصنا بموته أنه لم يكون له موضع يسند إليه رأسه، مع كونه سيد السموات والأرض والملائكة والبشر وهو الذي يدبّر كل شيء ويحفظ الكل بعنايته. أما عملي فهو أن أرفع دوماً الحمد والمجد والشكر إلى الله خالقنا ومدبرنا الذي أبدعنا على صورته ومثاله، وخلصنا بابنه الوحيد الذي اتخذ جسدنا وأولانا معرفة وإدراكاً لكي لا نحسب الخلائق آلهة، ولا نؤدي للخلائق التي هو أبدعها السجود الواجب له وحده، كما تفعلون أنتم أيضا الوثنيون الضالون." فغضب قرداغ وأمر بأن يُضرَب القديس على فمه. وإذ كان عبديشوع يتألم كثيراً، رفع عينيه إلى السماء وصلى إلى الله في قلبه لكي يحقق ما قاله له في الرؤيا. فقال له قرداغ بحدة: "لماذا تدعونا ساجدين للخلائق، أيها الشيخ الجاهل؟" فسكت الطوباوي ولم يحر جواباً. فقال له قرداغ: "لِمَ لا تجاوبني؟ ألا تعلم أن موتك وحياتك منوطان بي؟" فقال له عبديشوع: "أظن يا سيدي أن من يضربونه على فمه يعلمونه بذلك أنه لا يحق له الكلام، ولذا لم أرد الجواب على سيادتك. أما قولك أن موتي وحياتي منوطان بك فليس صحيحاً. فإن لك السلطة على قتل الجسد، وهذا لا نعتبره موتاً نحن عبيد المسيح والساجدين للصليب، بل نحسبه حياة حقيقية خالدة. ولكنك لست مسلطاً على نفسي وعلى حياتي في المسيح. وقد أوصانا الرب وقال لنا في إنجيله: "لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد، فإنهم لا

[١٠٧] "ثمانون" قرية تقع على مسيرة نهار واحد شرقي جزيرة ابن عمر.

يستطيعون أن يقتلوا النفس، بل خافوا مني، فإني أستطيع أن أبيد النفس والجسد في جهنم"[١٠٨]، ولكن إذا كنت تريد أن أكلمك، فهدئ غضبك وأرح نفسك، وأصغِ إلي بلطف ومر بألا يضربوني من بعد".

فأقسم له قرداغ وقال: "تكلّم بما شئت، فلن يضربك أحد." فقال له عبديشوع: "أتسلم بأن من هو أزلي غير مخلوق هو الإله الحق؟".

ق- أجل إني أسلك بذلك.

ع- أتعترف بأن كل مخلوق غير أزلي إنما هو خليق؟

ق- أجل إني أعترف بذلك.

ع- أوَتعلم أنه لا ينبغي السجود للخلائق، وإن كل من يسجد للخلائق يُغيظ الله خالقها؟

ق- أجل أن ما تقوله هو الحق. ولكن قل لي من الذي يسجد للخلائق؟

ع- أنت وجميع رفاقك الوثنيين تسجدون للخلائق.

ق- إن بيّنت لي إني أسجد للخلائق وأغيظ الله. فإني سأذعن لك بفرح وأتبع تعليمك وأقر بفضلك العظيم. أما إن لم تبرهن لي عن ذلك، فاعلم أنك قد أهنتني إهانة جسيمة.

ع- ألا تسجد للشمس والقمر والنار والماء والهواء والأرض وتدعوهما آلهة وآلهات؟

ق- بلى، إني أسجد لها لكونها أزلية وغير مخلوقة.

ع- ومن أين علمتم أن النيرات أزلية وعير مخلوقة؟

ق- من مدارها الدائم ومن عدم تغيير طبيعتها ومن كونها مرتكزة في العلى.

ع- إن الخصائص التي ذكرتها عن النيرات، إنما قد نالتها من خالقها الذي إليه يعود المجد لا إليها. أما كونها غير أزلية فهو واضح لكونها عديمة الحياة. وإن قلت إنها حية، فحا هي حياتها؟ أهي الحياة الحيوانية أم الحياة الناطقة؟ وإذا كانت لها حياة حيوانات، فلماذا لا تقتات مثل الحيوانات، وإذ كانت ناطقة وعاقلة، فلماذا لا تهدأ وتستريح من مسيرتها في زمان الحر الشديد. فلو كانت الشمس ناطقة، لخففت في الشتاء من شدة البرد ومن لهيب الحر في الصيف، ولوزعت حرارتها باعتدال في جميع الأمكنة، ولتعبت وتألمت من مسيرتها الدائمة. فإن كل حي منظور ومتحرك من ذاته يتعب أيضاً. وكل ما ليس حياً ولا يتعب فإنما آخر يحركه. فالحجر والسهم والعَجَلة تستقي حركتها من آخر، ولذا فهي لا تتعب لأنها ليست حية. أما الطير والحيوانات فتتحرك من ذاتها، فهي تتعب لأنها حية. فإذا كانت النيرات وعناصر الطبيعة تتحرك من ذاتها فهي حتماً تتعب وتتألم لأنها منظورة. ولكونها لا تتحرك من ذاتها،

---

[١٠٨] متى ١٠/ ٣٨.

لأنها صماء لا نفس لها، فهي إذن لا تتعب، بل تتحرك بقوة الآخرين، مثل الحجر والسهم والعجلة. فالنيرات والعناصر تتحرك بقوة الله، والحجر والسهم والعجلة تتحرك بقوتنا".

ق- ولماذا إذن لهذه النيرات حركة دائمة ونور وقوة لا تخضع للتغيير والفساد أكثر من الأمور الأرضية؟

ع- لأنها في العالم كأعضاء رئيسية في الجسم، مثل الدماغ والقلب والكبد. فإذا انتزعت من الجسم شعرة أو ظفر أو سن، فإن تلك خسارة جزئية. إما إذا انتزع الدماغ أو القلب أو الكبد، فينتج من ذلك فقدان الحياة كلها. هكذا إذ أباد أحد الأجزاء الصغيرة المكونة للعالم، كالحيوانات والزروع، فهي خسارة جزئية. أما لو ترك الخالق النيرات تبيد، فلكان ذلك فساد للعالم كله. فإن النيرات رباط جسم العالم كله، وهي بمثابة أعضاء رئيسية فيه، وبمثابة عينيه ودماغه، ومنها تأتي الحرارة إلى الأجسام والنباتات، ونظام الأزمنة وترتيب السنين والشهور والأسابيع والأيام. إلا أنها لا تمتلك هذه الخواص بذاتها، بل نالتها من قوة خالقها وحكمته، في حين أنها هي ذاتها لا حياة لها ولا شعور... ولهذا فإن النيرات ليست أزلية، بل مخلوقة وعديمة الحياة والشعور، ومن يسجد لها إنما يغيظ الله خالقها. وكذا الشأن مع العناصر، أي الأرض والماء والنار والهواء. فهي أيضاً مخلوقة وعديمة الحياة والشعور. وكيف ندعو أزلية تلك العناصر التي كل منها يبطل وينقض الآخر. فالماء ينقض الأرض ويغمرها ويجرفها، والأرض تبتلع المياه التي تغور في جوفها، والهواء يأتي على الماء ويحوّله إلى بخار، والماء يطفئ النار ويخمدها، ويُحبس الهواء في الظرف ويحترق بالنار ويمتزج بالروائح الكريهة. وقصارى القول: إن كلاً من هذه العناصر يبيد الآخر، وجميعها تنحل وتتغير وتحتاج إلى بعضها البعض. وكل محتاج إنما هو مخلوق، وكل ما ليس مخلوقاً فهو ليس محتاجاً. وبديهي أن العناصر يحتاج بعضها إلى بعض لفائدة الجميع. فالأرض بحاجة إلى الماء لتنمية الزروع، والماء يحتاج إلى الهواء ليرفعه ويضخه، ولا فاعلية للنار دون الحطب الذي ينمو بقوة الأرض والماء والهواء. فالعناصر كلها إذن محتاجة، ومن ثمة فهي مخلوقة. وإن الأزلي حي ناطق، في حين أن العناصر عديمة الحياة والنطق والشعور. فإن للنباتات والحيوانات حياه: فالنباتات تنمو وتزهر، والحيوانات تتحرك وتنتقل وتستخدم حواسها. أما العناصر فلا شيء لها من ذلك، بل هي صماء كالحجارة. ومن ثمة فإن من يسجد لها ويحسبها أزلية فهو بذلك يغضب الله. فبحق إذن دعوتكم ساجدين للخلائق وبعيدين عن الله."

لما سمع المرزبان هذه الأقوال احتدم غيظاً وعماه الضلال لئلا يذعن لأقوال الطوباوي. فأمر بربط القديس عبديشوع بسلاسل قاسية وبزجّه في غرفة مظلمة، وبعدم إعطائه كل مساء سوى قليل من الخبز دون ماء. أما القديس فكان فرحاً متهللاً وهو يقول: "الرب عوني، فلا أخاف، فماذا يفعل بي الإنسان؟".

وفي اليوم التالي خرج المرزبان إلى الصيد. وما أن رمى سهماً حتى سقط السهم عند قدميه. وحدث الأمر عينه للجنود الذين معه. وأعادوا الكرة مرات عديدة، إلا أن الهواء أبى أن يحمل السهام التي كانوا يرمونها. فاعتراهم خوف شديد، وقال المرزبان لمرافقيه: "أظن أن الشيخ الذي قيدناه هو ولي الله، فجرت هذه الأعجوبة بصلواته لأننا أسخطناه." فعاد تواً إلى منزله وبات في حزن عميق لا يأكل ولا يشرب وقد عزم على إطلاق سراح الطوباوي عبديشوع في الغد. وفي منتصف الليل، امتلأ المنزل الذي كان عبديشوع مسجوناً فيه نوراً ساطعاً مجيداً. وتراءى له جميع غفير من الملائكة، وهم يسبحون بصوت عالٍ ويقولون: "صرخ الصدّيقون والرب سمعهم وأنقذهم، والرب قريب من الذين يدعوه بالصدق، وهو يحقق رغبة عباده. إنه يسمع طلبهم ويخلصهم.." وكان الطوباوي عبديشوع يتلو المزامير معهم فرحاً. واستحوذ خوف شديد على جميع المجاورين للمنزل. وإذا بالأبواب جميعها تنفتح، ولمس ملاك الرب سلاسل الطوباوي فسقطت من يديه ورجليه. وأمسكه بيده وأخرجه من سجنه. ولما قاده خارج السجن ترك يده وقال له: "اتبعني" وكان الملاك يتقدمه بثياب متلألئة حتى أوصله إلى مغارته، ثم تركه هناك واختفى.

وفي الغد، أمر المرزبان بحل وثاق القديس وبإحضاره أمامه. ولما فتحوا باب سجنه ودخلوا وجدوا السلاسل ملقاة على حدة، ورائحة بخور فاخرة تفوح من البيت. وبحثوا عن الطوباوي، فلم يجدوه. فانذهلوا واعتراهم الخوف. وأسرعوا إلى المرزبان وأخبروه بالأمر. ولما سمع المرزبان ذلك، استحوذ عليه الخوف والحزن، وأخذ يلطم وجهه ويبكي بكاء مراً ويقول: "الويل لي، الويل لي، الويل لي، فإني عذبت رجل الله. حقاً أن إله المسيحيين لعظيم. إنه الإله الحق الذي خلق السماء والأرض وكل ما فيهما، ولا إله آخر سواه".

في الحال دخل غرفته ورسم على الجدار الشرقي علامة الصليب، وجثا على الأرض وشرع يصلي أمامه ويقول: "أيها المسيح إله المسيحيين، استجبني ولا ترذلني، وأهّلني لكي أحصى في عداد الساجدين لك وأنال الوسم المقدس. فإني أؤمن وأعترف بأنك أنت الإله الحق، كما يعترف ويعلّم المسيحيون. وإذا كان إنساناً ذاك الذي ظهر لي بشكل إنسان وتكلم معي باسمك، وأنا بجهلي أسخطه، فأهّلني يا سيدي لكي أراه ثانية وأستغفره عن جهالتي، فأبلغ بوساطته إلى معرفتك والانتماء إليك. وإذا كان الذي ظهر لي أحد ملائكتك، فليظهر لي ثانية وليعلمني ما يجب علّي فعله." وما أن ختم صلاته بعلامة الصليب، حتى سمع صوتاً لذيذاً عذباً يقول له: "كل من يسأل يأخذ، ومن يطلب يجد، ومن يقرع يُفتح له"[١٠٩]. فغمرته التعزية والفرح لدى سماعه ذلك الصوت وطابت نفسه وأخذ يمجد الله. ثم خرج وجلس على سريره وتناول طعاماً

---

[١٠٩] متى ٧/ ٨.

واستعاد نشاطه. فأخذ العجب كل مأخذ من المجوسي الذي كان يعزّم عليه عند الطعام، ومن امرأة المرزبان وأهل داره، كيف أن يتناول الطعام دون تعزيم. بيد أن أحداً لم يتجاسر فيسأله، لأنه كان عنيفاً صارماً تجاه أهل داره.

وبعد ثلاثة أيام، ظهر له القديس عبديشوع ليلاً فرحاً مبتهجاً وقال له: "يا ابني قرداغ، إن شئت أن تراني، هلم إلى المغارة الفلانية وهناك تجدني." ولما استيقظ من نومه، ابتهج كثيراً وطابت نفسه. وعند الصباح قام مسروراً وغيّر ثيابه متنكراً، وأخذ معه اثنين من عبيده الأمناء، وقد نالا معه نعمة العماد بعد ذلك. وامتطى صهوة جواده وسار شطر منطقة بيث بغاش، قاصداً الجبل الذي كان عبديشوع يسكن فيه، حسبما حدده له في الرؤيا. ولما ابتعد عن قصره مسافة أيام، التقاه الشيطان بزي رجل شيخ وهو غاضب وحزين ويعّض لحيته بأسنانه ويقول لقرداغ: "إلى أين أنت ذاهب أيها الكذاب التعس؟ لماذا خدعتني وتخلّيت عني وتبعت ذلك الشيخ اللعين تلميذ يسوع الذي صلبه رفاقنا اليهود في أورشليم ومات؟ فإني قد أقسمت بأن أثير عليك الملك وعظماء فارس كلهم، وأسفك دمك مثل دم اللصوص والأشرار." ولما سمع أحد عَبدَي قرداغ هذا الكلام، قال لسيده: "أستل سيفي وأقطع رأس هذا الشيخ الكلب الذي تجاسر فأهان سيدنا؟" فقال له سيده: "دعه، فإن السيف لا يعمل فيه. إنما ربنا يسوع المسيح الذي آمنت به هو الذي يفنيه ويقضي عليه لدى مجيئه. فإني هكذا سمعت عنه من المسيحيين." وفهم قرداغ أنه الشيطان، وقد تراءى له بشكل إنسان. فبصق عليه في الحال وقال له: "ليزجرك المسيح ربي الذي بنعمته خلّصني من ظلام الضلال، ودعاني إلى نور معرفته العظيم." ثم رسم إشارة الصليب على ذاته. وما أن سمع الشيطان اسم المسيح، حتى تغير وصار مثل حية سوداء ولت الأدبار واختنقت في شق صخرة هناك.

واستأنف قرداغ سيره مبتهجاً وهو يمجد الله. وفي إحدى مراحل سفره، بينما كان نائماً، ظهر له القديس سركيس في الحالم وقال له: "يا أخي قرداغ، لقد ابتدأت حسناً. فجاهد ببسالة لتصبح لي أخاً إلى الأبد. وهاءنذا أكون معك وأساعدك إلى أن تنال إكليل الشهادة." وفي اليوم الآخر عند العصر، وقد أوشك قرداغ أن يبلغ الجبل الذي يسكنه مار عبديشوع، ظهر ملاك الرب لعبديشوع وقال له: "قم اخرج إلى لقاء المرزبان قرداغ واستقبله ببشاشة، لأني قد اخترته، يقول الرب، وهولي، وهو مزمع أن يقاسي آلاماً كثيرة في سبيلي." فقام القديس عبديشوع فرحاً وأخذ عصاه وضم بيسراه كتاب الإنجيل المقدس وسار مرتلاً: "إن حامل الزرع يذهب ذهاباً ويبكي، أما حامل الحزم فيأتي فرحاً"[١١٠]. ولما لمح قرداغ من بعيد، قال له مبتهجاً: "ما أضعف قيودك، يا سيدي المرزبان! فإنها لا تُحسب شيئاً عندنا نحن الموثقين بالروح القدس

[١١٠] مزمور ١٢٥/ ٥.

والسائرين شطر السماء. ولكن هكذا يستقبل عظماء العالم ورؤساؤه أولئك الغرباء الذين يقصدونهم." فأجاب قرداغ بفرح عظيم وقال له: وإن كنا قد أسرناك في ضلالنا، فإنك قد حررتنا من قيود الوثنية واجتذبتنا لكي نأتي ونستغفرك. وأنت كالأب الرحوم تلتمس من الرب المغفرة لكل ما ارتكبناه أمامه من الآثام." قال هذا ونزل حالاً من حصانه وانطرح باكياً عند قدمي القديس عبديشوع وأخذ يقول له: "اغفر لي يا سيدي عبد الله، وابتهل إلى المسيح ربي لكي يؤهلني لأنهي شوطي في محبته." فأمسكه الطوباوي بيده وقال له: "قم"، ثم قبّله وقال له: "هلم بسلام يا ابني الذي ولدته في قيودي، فالرب يسوع المسيح ينتظرك، وملائكته القديسون يفرحون بك".

حينئذ اقتاد الخادمان حصان سيدهما إلى دير في لحف الجبل، وقد تلقيا أمراً بألا يقولا من هو صاحبه. أما عبديشوع والمرزبان فقد صعدا إلى مغارة القديس. ولما حان وقت الصلاة قام عبديشوع ليؤدي صلاة المساء، وكان قرداغ واقفاً بجانبه، وقد تولاه الخوف والفرح. وإذا بزمرة بشعة من الشياطين يظهرون في الكهف فوقهما وهم يرقصون ويصفقون ويضحكون قائلين: "ما أجمل الوزير والمرزبان وقد ترك بيته ومجده وسلطته وعظمته، وهو يبيت صائماً في المغاور لدى أناس ضالين يسكنون الكهوف!" أما الطوباوي عبديشوع، فلم يكف عن صلاته، بل أوعز إلى قرداغ في أن يردّ عليهم جواباً مناسباً. فقال لهم قرداغ: "مع كونكم كذابين ومصدر الكذب، فقد نطقتم الآن بالحق. أجل، ما أجمل للوزير والمرزبان أن يتنعم بقوت روحي فيه حياة حقيقية، مع أناس قديسين انتصروا بجهودهم على مكائدكم الخبيثة، فتركوا الأرض وبادروا إلى السماء. فحينما كنت أتنعم بالموائد الدسمة وبالخمور الفاخرة، حسب رغبتكم الدنسة، كنت محروماً من مائدة الحياة في المسيح، وبعيداً عن الله، وكنت رفيقاً لكم أنتم أبناء الظلمة والمتمردين والمعذبين للعذاب الدائم. أما اليوم، وقد أهّلني المسيح ربي لنور معرفته، فإني الآن أتنعم بمائدة تعليمه الروحي المقدس. فاذهبوا عني أيها الدنسون إلى الظلمة البرانية." وفي الحال، ولوا هاربين مولولين وصارخين حتى أن الجبل دوى بعجيجهم.

ولما انتهى عبديشوع وقرداغ من صلاتهما وجلسا، قال عبديشوع لقرداغ: "يا ابني، إن لنا ههنا قليلاً من الحمص المنقوع وشيئاً من الخل. فلنأكل ولنشرب ماء." فأجابه قرداغ: "سمعاً وطاعة يا أبانا." ولما صليا وبدأا بتناول الطعام، ظهر لهما ملاك الرب وقال لهما: "السلام عليكما"، وقدم لهما رغيفاً من الخبز الفاخر. ثم قال لقرداغ: "حينما جئناك، قيدتنا بالسلاسل، وأعطيتنا خبزاً دون ماء. أما حينما جئت إلينا اليوم، فإننا أحللناك في جبال عالية جميلة، وأتيناك بخبز فاخر، مع مياه باردة تجري من قمم الجبال. ولكنك جئت أهلاً، فإن قدومك إلينا قد أبهج الملائكة والبشر." قال هذا ووضع الرغيف أمامهما وانصرف. فجثا الرجلان واستمرا على

www.karozota.com

الصلاة نحو ثلاث ساعات وهما يشكران الله. ثم تناولا ما أرسلته لهما السماء، وواظبا على الصلاة طوال الليل.

وكان راهب شيخ اسمه "بيري" يسكن في مغارة تبعد عن مغارة عبديشوع بنحو تسعة أميال[١١١]، وكان رجلاً فاضلاً تقياً وقد أمضى في ذلك الجبل ثماني وستين سنة في الزهد والصلاة. فأوحى إليه الرب في الرؤيا وقال له: "قم انطلق إلى مغارة عبديشوع، فتجد هناك المرزبان قرداغ، فشجّعه بحضورك وقوه بأقوالك." فقام الشيخ بفرح عظيم وانطلق. وعند انبلاج الصبح وصل إلى مغارة عبديشوع. فلما رآه هذا، اندهش، إذ لم يكن هذا الراهب الشيخ قد غادر مغارته طوال الثماني والستين سنة. فقال الشيخ لعبديشوع: "لقد حلّ عليك ضيف كريم، فلماذا لم تدعنا معه إلى الوليمة؟ فقال له عبديشوع: "اغفر لنا يا أبانا، فإني لم أرد أن أزعج شيخوختك." فقال له الشيخ: "ولو انك لم تدعني، فإن الرب أرسلني إلى ههنا." فصليا وتصافحا، وقبّل الشيخ قرداغ وقال له: "هلم بسلام يا عيسو رجل البرية الذي انقلب وأصبح يعقوب الوديع وهو الآن في سكنى الصديقين." ثم جلس وخاطبه بكلام الله حتى الساعة التاسعة وباركه وقبّله ثم عاد إلى مغارته.

وأمضى قرداغ خمسة أيام عند عبديشوع وهو يلتمس منه ليلاً ونهاراً أن يؤهله لنيل العماد المقدس. وفي عشية اليوم السادس، ظهر مار سركيس في الحلم لعبديشوع وقال له: "لماذا تتأخر في فتح باب الشهادة أمام أخي قرداغ؟" ولما استيقظ عبديشوع من نومه، غشيه خوف شديد، فدعا قرداغ وقال له: "هلم يا بني ننزل إلى الدير الذي فيه الخادمان، لنكمل ما قيل لي في هذه الليلة." وبينما هما نازلان من الجبل، قص عبديشوع على قرداغ ما رآه في الحلم. ولما وصلا إلى الدير، اجتمع الأخوة وهيئوا ما يلزم للعماد. فاقتبل قرداغ مع خادميه المعمودية المقدسة بفرح وابتهاج، ثن اشتركوا في الأسرار المقدسة. ومكثوا بعد العماد عند عبديشوع سبعة أيام، ثم عاد قرداغ مع رفيقيه إلى بيته والإيمان بالمسيح يغمر قلبه فرحاً. ولما بات في إحدى مراحل عودته، ظهر له الشيطان بزي مجوسي وقد تمزقت ثيابه وهو يبكي ويولول ويقول: "لماذا تركتني يا ابني قرداغ وانضممت إلى أعدائي؟" فأجابه قرداغ بشجاعة وقال: "إني واثق بقوة المسيح ربي، بأني سأنقذ كثيرين من أنيابك المبيدة وأحملهم على السجود للمسيح ربي." فقال له الشيطان: "إن لك أناساً ضعفاء يسكنون المغاور، أما أنا فلي ملوك فارس كلها وعظمائها. ولأنك خدعتني، فإني سأذهب وأطلع الملوك والولاة على أمرك لينزلوا

---

[١١١] هو المزار الذي يطلق الآن عليه اسم "ربان بويا" (بيري) ويقع في أعلى الوادي الكائن في الجبل المشرف على شقلاوة في شمال العراق. وما يزال مسيحيو شقلاوة يحتفلون بعيده في الاثنين الثالث بعد القيامة مع بقية الأولياء شفعاء البلدة، ويسمون هذا العيد بعيد "جاكي وبيري" أي عيد الصالحين والشيوخ.

بك شر ميتة." أما قرداغ، فرسم على ذاته إشارة الصليب وقال له: "أبادك المسيح ربي الـذي في سبيل حبه أما مستعد لاحتمال الآلام والموت بفرح." وفي الحـال تغيـر ذاك المجوسـي وأصبح مثل حبشي شيخ وولى هارباً مولولاً.

وما أن عاد قرداغ إلى بيته، حتى أحضر إليه راهباً فاضلاً اسمه اسحق ليعلمه المزامير ويقرأ له الإنجيل المقدس. ومنذئذ امتنع عن أكل اللحم، واكتفى بتناول طعام بسيط مرة في النهـار، وفتح كنوزه وأخذ يوزع عطايا كثيرة وصدقات سخية على الكنـائس والأديـرة والأعمـار المقدسة، وعلى الفقراء والمحتاجين والأيتام والأرامل. وكانت جموع المرضى تقصد داره كل حين، مما سبّب حرجاً وانزعاجاً لامرأته وذويه. فدعاهم قرداغ وقال لهم: "أيها الجهال، لماذا تحزنون على الأموال الأرضية التي تُخزَن في السماء؟ إن شئتم فاسمعوا ما تقوله بشرى الرب السارة: "لا تكنزوا لكم كنوزاً في الأرض حيث يفسد السوس والآكلة، وحيث السارقون ينقبون ويسرقون، وحيث يكون كنزكم هناك يكون قلبكم أيضاً"[١١٢]... فإذا كنتم تحبونني فحيث أكـون أنا تكونون أنتم أيضاً. وإذا لستم معي، فأنتم إذن عليّ. ولا تشفقوا على أموالي، لأني أعطيها للمسيح ربي الذي هو الملك الحق." وقد تغير قرداغ وصار وديعاً وحليماً لذويه ولجميع الناس، وكفَّ عن الحروب والخصومات التي كان يألفها، وامتنع عن الصيد واللعب في الميدان وعن أمور أخرى كثيرة، وعكف على الصوم والصلاة وقراءة الكتب المقدسة. وكان مواظباً علـى سماع الدعاوى وتحرير المظلومين وإنصافهم في جميع المناطق الخاضعة لحكمه.

وكان والداه يسكنان في قرية "برحبتون"[١١٣] حيث كانت لهما أموال كثيرة وممتلكـات واسـعة ومعبد للنار كانا قد شيداه على نفقتهما. وقد جعله قرداغ بعد مدة ديراً كبيراً دُعـي باسـمه... حزن والداه حزناً عميقاً لدى سماعهما أنه صار مسيحياً وأخذ يوزع أمواله علـى الكنـائس والأديرة والفقراء. فقال والده لوالدته: "إن المصيبة التي حلت بنا لجسيمة، وسنصبح عاراً عند رفاقنا. وظننا أنه سيكون لنا وارثاً صالحاً وإذا به يصبح هادماً لبيتنا." فقالت والدته: "أرى أن لا نمنعه، بل ندعه يفعل ما يشاء. ولعل ما يقوم به أمر حسن؟ وربما نخطأ إذ نحاول صـدّه عن ذلك." فزجرها زوجها وقال لها: "اسكتي أيتها الغبية، فأظن أنك أنت أيضاً مسيحية، ولعلك أنت دفعت بابنك إلى هذه الغباوة." وفي الحال كتب إليه أبوه رسالة جاء فيها: "ولو أنـك قـد أبغضت ذاتك واحتقرت حياتك فصرت مسيحياً وجلبت الهوان على عشيرتنا وجعلتنا عاراً بين رفاقناً، ولكن لا يسمح لك بتوزيع أموال معبد النار وأملاكه على المسـيحيين." ولمـا اسـتلم الطوباوي رسالة والده وقرأها، ضحك كثيراً وقال: "ما أجهل شيخنا وما أسرعه إلى جهـنم!"

---

[١١٢] متى ٦/ ١٩-٢١.

[١١٣] برحبتون قرية في الجبل الواقع على الضفة اليسرى من الزاب الكبير.

ورد على رسالته بالجواب التالي: "أيها الشيخ، إنك تسجد للنار، وبالنار أن مزمع أن تتعذب. أما أنا فأعطي أموالي للمسيحيين، لأني سأنعم معه وإياه أرجو وعليه أتكل. ومعبد النار التي أنت فخور بها سأجعلها قريباً هياكل للمسيح وأقيم فيها مذابح جميلة. وليس لي معك نصيب أو ميراث، لأن المسيح دعاني وقرّبني إليه وجعلني ابناً لأبيه الخفي".

أما امرأة قرداغ فلم تستطع إلى الصبر سبيلاً وهي ترى أموالها تتبدد بالعطايا والصدقات، فعزمت على الكتابة إلى أبيها لتخبره بالأمر. وكان أبوها شابور نيكوركان ذا شأن كبير ويشغل منصب "شهارخواست". ولما كتبت الرسالة وعزمت على إرسالها في غداة ذلك اليوم، ظهر لها ليلاً في الحلم شاب جميل المنظر لابساً ثياباً بيضاً وجالساً على كرسي من ذهب على باب حصن الطوباوي، وهو ممسك بقلم من نار ويكتب رسائل على ورق أبيض عريض ويختمها بخاتمه ويرسلها إلى السماء بأيدي شباب رائعي الجمال متوشحين ثياباً بيضاً ويطيرون بأجنحة نورانية إلى السماء. فلما رأت هذا المنظر الرهيب والشباب صاعدين إلى السماء ونازلين منها لإبلاغ الرسائل، دنت منه وسألته قائلة: "من أنت يا سيدي؟ وما عملك؟ ولما أنت جالس ههنا دون أن يحسّ بك المرزبان؟ وما الذي تكتبه؟" فأجابها: "أنا زعيم قوات الرب الإله خالق السماء والأرض. وقد أرسلني ملك العالمين العظيم لكي أسجل الهبات والصدقات التي يمنحها زوجك، وأرسل بحسابها إلى السماء. إما قولك أن المرزبان لم يحس بي، فإنه قول كاذب. فإن المرزبان يعرفني وهو يدري أني ههنا. أما أنتِ فلا تعرفينني لأن قلبك متعلق بالأرض." وحينما استيقظت من نومها، اعتراها خوف شديد وبادرت مرتجفة إلى الطوباوي قرداغ وقصّت عليه ما رأته، وأرته كذلك الرسالة التي كتبتها في الأمس لترسلها إلى والدها. فقال لها قرداغ: "حقاً أن الرؤيا التي رأيتها عظيمة ورهيبة وحقيقية، ولكن قلبك غبي. وقد قال الرب في إنجيله: "إني أتيت لأقسم الرجل على أبيه، والابنة على أمها، والكنة على حماتها، واعداً المرء أهل بيته"[١١٤]. وقد يصل الأمر إلى حد يكون فيه انشقاق وانقسام بين الرجل وامرأته مع كونهما جسداً واحداً. وقد قال الرب في موضع آخر من الإنجيل: "حينما يتجلى في مجده يوم البعث وينال الأبرار النعيم والأشرار العذاب، اثنان سيكونان على سرير واحد، واحد منهما يؤخذ للسماء للملكوت والنعيم، والآخر يُترك في الأرض في جهنم والعذاب"[١١٥]. أما أنا، فلي ثقة بالمسيح بأني سأذهب إليه سريعاً بعد أموالي." ومنذ ذلك اليوم، لم تتجاسر امرأته أن تقول له شيئاً، ولم تُظهر من بعد وجهاً كاسفاً بسبب تبذير الطوباوي أمواله.

---

[١١٤] متى ١٠/ ٣٥-٣٦.

[١١٥] متى ٢٤/ ٤٠-٤١، لوقا ١٧/ ٣٤.

ومضى على قرداغ سنتان وثلاثة أشهر وهو يسير بمقتضى السيرة الفاضلة اللائقة بالمسيحيين الحقيقيين، فبلغ خبره إلى الشعوب المتواجدة في الجنوب والغرب، وعلموا أنه كفّ عن الحروب والقتال وفضّل حياة الهدوء، فاستعد الروم والعرب والشعوب المجاورة، واجتمعوا مثل رمل سواحل البحر، وشرعوا يتوغلون في المنطقة الخاضعة للطوباوي. أما هو فكان قبل أيام قلائل قد صعد إلى الجبل عند معلمه مار عبديشوع، ومكث عنده شهراً كاملاً، وهما يترددان دوماً إلى الشيخ القديس بيري الناسك. فانتهزها الأعداء فرصة ليعيشوا في منطقته فساداً، فدمروا البلاد وسبوا كثيرين من سكانها من نهر تورمارا إلى مدينة نصيبين الواقعة على الحدود. وكان من بين الذين سبوهم والد ووالدته وامرأته وشقيقه وأخته وجميع أهل بيته. ونجا من بين جنوده مئتان وخمسة وثلاثون فارساً، وأخذوا يبحثون عنه في الجبل. فوجدوه في مغارة بيري الناسك مع معلمه عبديشوع وقد اجتمع حوله عدد كبير من الكهنة لإكرامه. ولما رآهم قرداغ، بادرهم وقال لهم: :تبدون وكأنكم قد أفلتم من قبضة اللصوص." فأجابه واحد ذو طباع شرسة ومتزمت في وثنيته وقال: "حينما يسكن الوزراء والمرازبة في مغاور اللصوص والمضلّين، كان لا بد لنا من أن يحصل ذلك." وما أن قال هذا حتى ضربه ملاك الرب. فسقط في موضعه ومات حالاً. ولما رأى رفاقه ما حدث له، خافوا خوفاً شديداً وآمنوا كلهم بالرب يسوع المسيح واقتبلوا العماد في ذلك اليوم عينه. أما الطوباوي قرداغ، فقال للقديسين بيري وعبديشوع: "أبويّ وسيديّ، صليا لأجلي لكي أذهب فأعيد السبي من الغزاة بقوة الرب." فرسما عليه إشارة الصليب وقبّلاه ثم ودعاه بسلام.

وحينما وصل إلى قصره المشرف على قلعة ملقي، وشاهد ما حل بالموضع من الدمار والقتل والنهب، حزن حزناً بالغاً. فأرسل على الفور سعاة في أثر الغزاة وكتب إليهم ما يلي: "ظننتم أني أنا قرداغ قد نزعت عني القوة الأولى للقتال والرحب، ولهذا تجرأتم فدخلتم إلى بلادي ودمرتم منطقتي. إلا فاعلموا أني لم أنزع القوة بل قد لبست قوة لا تُقهَر. فأرسلوا لي النفوس التي سبيتموها وخذوا الأموال واذهبوا بسلام. وخير لكم أن لا ثيروا حرباً عليّ." أما هم فحينما بلغتهم الرسائل، كتبوا إليه أقوالاً مشينة وشتائم وكلمات تعيير. فكتب إليهم ثانية بالمعنى ذاته. ولكنهم كانوا واثقين بأنفسهم وبوصولهم القريب إلى بلدانهم، فقطعوا رأس أخيه وأرسلوا به إليه. فلما رأى الطوباوي رأس أخيه مبتوراً حزن وثار ثائره، وأمر بضرب البوق، ودخل هو مع جنوده المئتين والأربعة والثلاثين وسبعة من عبيده إلى كنيسة الله، وبسط ذراعيه إلى الرب مبتهلاً وقائلاً: "احكم يا رب حكمي وقاتل الذين يقاتلونني[١١٦]، امسك السلاح والترس وهلم إلى عوني، انزع وارفعه على مضطهديّ، وقل لنفسي: أنا مخلّصك..." وحينما أنهى

[١١٦] مزمور ٤٢/ ١.

صلاته، أخذ قليلاً من تراب المذبح المقدس وذرّ منه على سلاحه وحصانه وعلى جنوده، وعلّق في عنقه صليباً من ذهب يحتوي على ذخيرة العود المقدس. ورفع يده ومدّ بصره إلى العلى ونذر للرب نذراً وقال: "أيها الرب القدير الجبار، إذا كنت معي في الطريق الذي أسلكها وأدركت أعدائي بقوتك وانتصرت عليهم وأرجعت منهم السبي وعدت بسلام من هذه الحرب التي فُرضتْ عليّ، فإني سأستأصل معابد النار وأبني بيوت الشهداء، وسأهدم بيوت الأصنام وأشيد في مواضعها مذابح مقدسة. والصبيان المجوس الذين خصصهم آباؤهم بخدمة الشيطان، سأجعلهم عبيداً للمسيح ورهباناً لخدمته، والكنوز والأموال التي خصصها آبائي بمعابد النار، سأوزعها على الكنائس والأديرة." وحينما انتهى من التعبير عن نذره ووعوده، سُمعَ صوتٌ صدر عن البيت المقدس يقول: "تشجّع وتقوّ ولا تخف يا عبدي قرداغ. فإني معك، وسأسلم أعداءك إليك.: ولما سمع ذلك الصوت، انطرح هو وجنوده على وجوههم أمام مذبح الرب وظلوا هكذا مدة ساعتين ثم قاموا بفرح ومجدوا الله.

وأمر قرداغ فضربوا بالبوق ثلاث مرات ثم امتطوا جيادهم. حينئذ قال له أحد حملة سلاحه: "يا سيدي، إننا لا نعرف الطريق التي ينبغي السير فيها لملاحقة أعدائنا." فضحك الطوباوي وقال له: "إن ذاك الذي بشرنا بالنصر هو الذي يدلنا على الطريق". ولما مشوا مسافة ميلين، أبصروا قطعاً من حرير امرأته ملقاة على الطريق. لفقد تصرفت هذه المرأة بحكمة مدهشة، إذ نثرت قطعاً من حرير ثيابها على الطريق في كل فرسخ وفرسخين، لتكون علامات تهدي زوجها لملاحقة الأعداء، فإنها كانت واثقة ببسالته وشجاعته ورحمته وتعلم أنه لا بد له من مطاردة السباة. ولما رأى الطوباوي تلك الرقع، فرح ومجد الله. وساروا على هدى تلك الرقع حتى وصلوا إلى منطقة قردو. ولما بلغ نظره، رأى فصائل الأعداء حالّة على نهر الخابور وهم يأكلون ويشربون ويغنّون آمنين، وقد أخذتهم نشوة الانتصار في السبي والغنائم الكبيرة التي غنموها. إذ ذاك نزل الطوباوي من حصانه هو وجنوده وجثوا على الأرض وأخذوا يصلون ويبتهلون إلى الله أن يوليهم النصر. وبعد الصلاة، أمر الطوباوي بأن يضربوا بالبوق ثلاث مرات وصرخوا صرخة مرعبة دوت لها تلك الهضبات، ثم انقضوا على الأعداء. وفي تلك اللحظة ظهر اله القديس عبديشوع معلمه رافعاً علامة الصليب بيده وجارياً أمامه وهو يقول له: "يا بني، هذه هي علامة انتصارك العظيم. فتشجّع فإن الرب قد سلم أعداءك إلى يدك." فانقض الطوباوي على الأعداء انقضاض النسر على فريسته، وسطا عليهم كالبرق الرهيب والجبار الصنديد، وصرخ عليهم ثلاث صرخات مرعبة وقال لهم: "هذا هو يوم الجزاء لجسارتكم، أيها الكلاب الدنسة." وما أن دارت المعركة حتى هرع السبايا كلهم إلى لقاء قرداغ واحتموا به وصاروا من ورائه. وأخذ يكبل الضربات لأعدائه حتى تشتتوا من أمامه وصار يحصدهم كما تُحصَد سنابل الحقل، وسقطت جثثهم في نهر الخابور مثل الجراد، ولم

ينجُ منهم سوى القلائل ممن لاذوا بالفرار إلى الجبال المجاورة. فلاحقهم إلى لحف الجبل الذي فوقه استقر فلك نوح. ثم عاد قرداغ ظافراً فرحاً وهو يرتل: "هؤلاء بالعجلات وهؤلاء بالخيل، أما نحن فقوتنا باسم الرب إلهنا. وهم ركعوا وسقطوا، ونحن وقنا وتهيأنا، لأن الرب إلهنا خلصنا..." ثم دخل معسكرات الأعداء فنهبها وارجع السبي كله. وفي طريق العودة، أمر عند المبيت بأن يُرب بالبوق واجتمعت العساكر كلها واستعرضهم فوجدهم سالمين جميعاً.

وما أن وصل إلى داره، حتى أمر باستئصال معابد النار التي بناها آباؤه، وأقام عوضها هياكل مقدسة لله العلي. وهدم معابد الأصنام التي كان المجوس فيها يكرمون النار، وشيّد عوضها مذابح مقدسة للمسيح. وأنجز الرب كل ما كان قد نذره. فلما رأى المجوس ما جرى، كتبوا سراً إلى المجوسي الأكبر الذي يُدعى موبدان موبيد. فدخل هذا على الملك شابور وقال له: "يا سيدي الملك، عشت إلى الأبد، إن قرداغ الذي أكرمتوه إكراماً عظيماً حتى جعلتموه وزيراً لآثور ومرزباناً على المنطقة الغربية، قد انضم إلى الديانة المسيحية، فاستأصل معابد النار وبنى الكنائس والأديرة، وهو يضايق المجوس ويضطرهم إلى الانضمام إلى الديانة المسيحية. إنه قد احتقر السجود للآلهة وازدرى تعليم المجوسية وحسب مملكتكم أرملة لا زوج لها." ولما سمع الملك هذا الكلام، زجره بعنف وقال له: "كيف سمعت هذا ولم تسمع بالانتصار العظيم الذي حققه قرداغ، إذ دمّر الألوف من الروم والعرب بمائتين وأربعة وثلاثين رجلاً؟" ولما سمع المجوسي هذا الكلام من الملك، اضطرب وغشيه خوف وأخلد الصمت، ثم خرج حزيناً من عند الملك. وذهب فجمع عظماء المملكة وحرضهم على الوشاية بقرداغ أمام الملك. فاتفقوا كلهم وأرسلوا يقولون للملك: "يا مولانا الملك، إذا طاب لكم أن تُرذل الوثنية وتبطل وأن نصبح جميعنا مسيحيين، فأوعز إلى عبيدك في ما يترتب علينا فعله. وإلا فلماذا تتغافلون عن قرداغ الجسور الذي يهين الآلهة ويهدم معابد النار ويبني هياكل للدين المسيحي؟".

ولما سمع الملك هذا الكلام حزن جداً، إذ يكن يكنّ لقرداغ مودّة عميقة. ونزولاً عند رغبة العظماء، اضطر إلى استدعاء قرداغ. فأمر بكتابة رسالة إليه جاء فيها: "لقد سمعنا بالانتصار الباهر الذي أحرزته على الروم والعرب والشعوب الأخرى الذين تجاسروا على الدخول إلى أرضنا. فطاب لنا أن نشاهدك لنكافئك على انتصارك العظيم. ولدى وصول رسالتنا إليك، هلّم عجلاً إلينا دون إبطاء." ذلك لأن الملك خاف من اطلاعه على الأمر جلياً، لئلا يتمرد ويسبب الاضطراب في المملكة. ولما استلم الطوباوي رسالة الملك وقرأها، ابتسم وقال بلطف لحاملها: "إن الرسالة لا تحمل إليّ ما في قلب الملك. ولكنه قال الحق أن عليّ أن أنال منه مواهب عظيمة وباقية، وأنا مستعد للذهاب إليه بفرح عظيم. وذهب حالاً إلى الكنيسة وفتح الرسالة أمام الرب وصلى قائلاً: "أيها المسيح ابن الله، الذي افتدى كنيسته بدمه ونقض الخطيئة، وأهّلني أنا الخاطئ لأكون من المنتسبين إليه، أعطِني القوة لكي أجابه الجهاد الذي

ينتظرني، وهبني أن أخوضه بانتصار وأن أموت لأجلك وفمي يلهج بشكرك وبتمجيد اسمك." ثم رسم على نفسه إشارة الصليب وانطلق شطر العاصمة. ولما وصل البلاط، أرسل الملك يقول له سراً: "إن المجوس وعظماء المملكة حانقون عليك ويريدون قتلك، لأنهم سمعوا أنك قد نبذت الديانة المجوسية وسجدت للآلهة وصرت مسيحياً. فيحنما تمثل أمامي، لا تقل أنك مسيحي، لكي يخجل مقرّفوك، فتنال منا إكراماً عظيماً. ولدى عودتك إلى منطقتك، اعمل كما تشاء".

وفي صباح اليوم التالي. أُمِر الطوباوي بالمثول أمام الملك. ولدى دخوله، كان جميع المجوس وعظماء المملكة قد اجتمعوا هناك وأخذوا يتهددونه ويحرقون الأرمّ عيه. أما الطوباوي، فنظر إليهم بوداعة وأخذوا يتلو المزامير في قلبه ويقول: "أحاط بي جميع الشعوب وباسم الرب قهرتهم. أحدقوا بي واكتفوني وباسم الرب قهرتهم. أحاطوني كالنحل، ثم خمدوا كنار الشوك، وباسم الرب قهرتهم.."[١١٧] ولما مثل أمام الملك، صاح الملك وقال له: "أتيت أهلاً وسهلاً، أيها الجندي الظافر، يا زينة مملكتنا. لقد سمعنا بانتصاراتك وامتدحنا بأسك، ونحن مستعدون أن نكافئك مكافأة عظيمة. ولكننا سمعنا أيضاً ما هو أصعب من ذلك، فإذا كان الأمر هكذا – وحاشا ذلك – فإنك تستحق الموت الزؤام. فيقال أنك نبذت الديانة المجوسية العظيمة واحتقرت الآلهة وصرت مسيحياً." وحين كان الملك يقول هذا الكلام، كان يغمز له بعينيه أن ينكر ذلك ويقول أنه ليس مسيحياً. أما الطوباوي قرداغ، فاستنجد بالله سراً ودعاه إلى معونته وردد في قلبه ما قاله داود: "إني أنطق بالصدق أمام الملوك ولا أخجل"، ثم فتح فمه بشجاعة وقال للملك: "حقاً أيها الملك إني مسيحي، وإني اعترفت وأعترف سراً وعلناً بكوني مسيحياً. وإني بقوة المسيح قد انتصرت على الأعداء ودمرت معسكرات الغزاة الذين تجرأوا على البلدان التي عهدتُم بها إلى إدارتي".

فحزن الملك حزناً عميقاً لدى سماعه هذا الكلام، وتظاهر بالغضب مراعاة لعظماء المملكة، وقال للقديس: "لأنك جحدت أمامنا الآلهة التي تدير السماء والأرض، واعترفت بيسوع الذي صلبه اليهود، فنحن أيضاً نجحد محبتك ونسلمك إلى أشنع موت." فأمر الملك بأن تُربط يداه ورجلاه ويُرسل إلى بلاده لتجري محاكمته هناك. وفعل الملك هذا ظاناً أنه إذا كُبّل بالسلاسل زماناً طويلاً فلعله يندم وينبذ المسيحية فيحيا. أما رئيس المجوس فكان يطلب أن يسلم إليه ليدينه حسب جسامة ذنبه. ولكن الملك لم يلبّ طلبه، إذ كان يرمي إلى إنقاذ القديس، فأرسله إلى بلاده مصحوباً بمائة فارس وخمسين راجلاً وعشرين من الأشراف، لكي يُحاكم هناك. وكتب رسالة إلى كوشتزاد ودينكوشنسف حاكمي تلك البلدان جاء فيها: "إن قرداغ الذي أكرمناه إكراماً كبيراً كما تعلمان،

---

[١١٧] مزمور ١١٧/ ١٠-١٢.

وأقمناه وزيراً ومرزباناً على تلك البلدان، قد جحد الآلهة واحتقر مملكتنا وازدرى ديانتنا، واعترف بيسوع المصلوب وصار مسيحياً. فهوذا قد أرسلناه إليكم مخفوراً مع حراس أمناء، وقد أمرنا بإمهاله سبعة أشهر للتفكير والعودة عن رأيه. فإذا لا يبتعد في هذا الزمان المحدد عن الديانة المسيحية ويستأصل ويعود إلى ديانة المجوس ويسجد للآلهة الشمس والقمر والنار، فقد أمرنا برجمه بالحجارة على باب داره، ونحن براء من دمه".

ولما وصلت رسالة الملك إلى الحاكمين المذكورين بشأن قرداغ وقرأاها، قاما عاجلاً وأتيا به إلى "بورزميهر" الذي كان قائداً في الحدود تمتد سلطته من نصيبين إلى المنطقة الغربية. وما أن سمع بورزميهر بقدوم قرداغ حتى هرع لاستقباله مع وجهاء المجوس الموجودين في المدينة، وأدخلوه إلى المدينة بحفاوة وشرعوا يناشدونه بالعودة إلى الوثنية ليمارس سلطته حسب أمر الملك. أما هو فقال لهم: "إنني مسيحي ولا أسجد للشمس والقمر مثلكم." وإذ لم يذعن لهم، انطلقوا به إلى الحاكم "شهرخواست" الذي كان الملك قد خوّله محاكمة كل الذين ينبذون الديانة المجوسية. ومال النهار إلى الغروب حينما بلغوا إزاء دير مار يهوب. وكان الوثنيون كثيرين على ضفاف النهر القريب من دير مار يهوب وفي القرى المجاورة. وكان هناك مقر شهرخواست، وهو شديد التعصب للوثنية، وقد عذّب المسيحيين كثيراً بغية إرجاعهم إلى الوثنية. فخرج هذا إلى لقاء قرداغ. ولما رآه قال له: "إني لا أسجد لك لأنك تركت المجوسية وصرت مسيحياً. ولكن اسمعني واسجد للشمس والقمر وعد إلى ديانة المجوس، وإلا فسأذيقك الأمّرين." فقال له قرداغ: "زجرك المسيح الذي اعترفتُ به، أيها الكلب النجس." فاحتدم الحاكم غيظاً لدى سماعه هذا الكلام وأمر بمضاعفة قيوده، وأحضروا أمامه مختلف التعذيب ووضعوا سلسلة حديدية في عنقه ونكّلوا به أي تنكيل.

وفي تلك الليلة، ظهر له القديس عبديشوع ومعلمه بيري الناسك والطوباوي مار سركيس الشهيد وقالوا له: "تشجّع ولا تخف يا قرداغ." فقام وصلى معهم. ثم رسموا عليه إشارة الصليب وشجعوه ثانية وانصرفوا. أما هو فاستمر على الصلاة طوال الليل، وكان مستعداً أن ينال إكليل الشهادة في ذلك المكان نفسه..

في الصباح، اجتمع الوثنيون وأخذوا يتوعدونه ويقولون أنه إن لم يسجد للشمس فسيبدونه شر إبادة. أما هو فقال لهم: "إليكم عني يا أبناء جهنم. فإني إنما أسجد للمسيح الملك الذي هو إله الآلهة ورب الأرباب." ولما سمع الحاكم ذلك، كان بودّه أن يقتله هناك لولا أمر الملك القاضي بإعطائه مهلة سبعة أشهر. وكان الحكام الذين رافقوه أيضاً غير موافقين على قتله هناك. فأعادوه إلى بيته لكي يموت هناك حسب أمر الملك. وحينما ول قرداغ قرب حصنه الواقع بجانب قرية ملقي ورفع عينيه ورأى قصره وبيته، شخص بنظره إلى السماء ورفع فكره إلى الله وصلى قائلاً: "أيها المسيح رجائي، أنت الذي أسلمت نفسك للصليب ويديك ورجليك للمسامير لأجل خلاص البشر، وحررت آدم وبنيه من قيود الموت، حرّرني أنا أيضاً من هذه القيود وخلّصني من الشعوب

الضالة، ليرى مبضيّ ويخزو لأنك أنت ساعدتني وعزَّيتَني." وفي الحال سقطت القيود من يديه ورجليه، فعاد وسجد نحو المشرق وبسط بيده نحو السماء وشكر الله. ولما عاين الذين معه ذلك الأمر، لاذ بعضهم بالفرار وتشتت الآخرون واختبئوا بين قصب المستنقع الواقع على مقربة من حصن القديس. أما هو فصعد إلى قصره ودخل بيته فرحاً مشيداً بمجد الله. وشجع امرأته وأخته وذويه، وأمر بإقامة حراس ورقباء على سور حصنه.

ولما بلغ الخبر مسامع الملك، اضطرب واحتدم غيظاً وزأر كالأسد الهصور. وكتب على الفور رسالة إلى بورزميهر قائد المنطقة الغربية يأمره فيها بإرسال كتائب الفرسان ليحاصر حصن الطوباوي ويحتله ثم يرجمه أمام باب حصنه. وإذا عجز الفرسان عن محاصرة الحصن واحتلاله، فليذهب القائد نفسه مع كل جنوده ويحتل الحصن. فأرسل القائد عشرين كتيبة من الجنود وحاصروا حصن الطوباوي طوال شهر ولكن دون جدوى. وسقط العديد منهم في القتال، إذ كان قرداغ يطل عليهم كالبرق من السور ويرميهم بوابل سهامه ويجندلهم. فجاء القائد نفسه مع جيشه كله، ولكنهم لم يحصلوا على نتيجة...

إذ ذاك كتبوا إلى الملك ليخبروه بالأمر ليقترحوا عليه استعمال الحيل للقبض على قرداغ. فأمر الملك برحيل الجنود عن الحصن وببقاء عشر كتائب منها فقط على بعد ميلين أو ثلاثة من الحصن. واجتمع وجهاء عشيرة قرداغ، بإيعاز من الملك، لكي يلتمسوا منه أن يساعدهم لئلا يهلك ذووه بسببه. ولما اجتمعوا حول الحصن، صعد قرداغ وخاطبهم من فوق السور وقال: "لماذا تزعجون أنفسكم أيها الناس، ولماذا أنتم متجمعون؟" فسجدوا له من بعيد وبكوا جميعهم وقالوا له: "أشفق على نفسك وعلينا، ولا تقاوم الملك فتخلف سمعة سيئة لعشيرتنا الشهيرة. بل مُر بفتح باب الحصن واخرج إلينا وأطِع أمر الملك واسجد مرة واحدة فقط للنار والشمس، وأنقذ حياتك وأنقذنا، بعدئذ افعل ما شئت.." أما الطوباوي فأجابهم: "ليتكم تشفقون على أنفسكم كما أشفق عليكم أنا. فلأني حقاً أشفقت على نفسي أنقذتها من الضلال الذي ما زلتم فيه، وقرّبتها إلى المسيح نور العالم. وأنا مستعد لاحتمال ألف ميتة لأجل اسمه القدوس. وإذ تسمعوني، فإنكم تشتركون معي لكي نقدّم للمسيح جوقة من الشهداء فنرتفع إلى السماء وننعم معه بالحياة الخالدة. أما قولكم لا تقاوم أم الملك فإنكم تكلمتم كلام العجائز. فما الأصعب، أن أقاوم إنساناً مسكيناً يوجد اليوم وغداً لن يكون، أم أن أقاوم ملك الملوك السماوي الذي لا يزول ملكه ولا يتغير لاهوته؟ فطالما كنت في الوثنية مثلكم دون أن أعرف المسيح رجائي الحقيقي، خضعت للملك الوثني الأثيم وخضت المعارك في سبيله بكل بسالة. أما الآن وقد عرفت أن المسيح هو الملك السماوي والرجاء الحقيقي، فإني لا أخضع للملوك الضالين والمائتين ولا أخاف من تهديداتهم." فلما سمعوه يهين الملك ويدعوه أثيماً وضالاً، صرخوا جميعهم وسدوا آذانهم وقال بعضهم لبعض: "لنبتعد من ههنا ولا نسمع التجديف على ملك الملوك المسجود." فضحك الطوباوي وقال لهم: "إنكم حقاً لبؤساء،

فإنكم تجدفون على الله خالق العالمين ومدبرها، وتؤدون للخلائق الصماء والسجود الواجب لـــه، وتتملقون الإنسان المائت البعيد عن الله".

وبينما كان قرداغ يخاطبهم، أقبل كوشتزاد ودينكوشنسف الحاكمان مع مجوس آخرين ودنوا من حصن الطوباوي وقالوا له: "إننا لا نسجد لك لأنك أهنت الآلهة وقاومت ملك الملوك وأصـــبحت مسيحياً، ولكن اسمع ما أمر به ملك الملوك في رسائله بشأنك. فقد أمر ملك الملوك قائلاً: "اسجد للنار والشمس والقمر، وابنِ من جديد ما هدمته من معابد النار، واستأصل الكنائس والأديرة التي شيدتها، وجدّد انتمائك إلى المجوسية، فتحي ولن تموت، بل تعود إلى سلطتك." فنفر الطوبـــاوي وقال لهم: "سدوا أفواهكم أيها النجسون خَدَمَة الشيطان. فحاشا لي أن أتخلى عن الإله الحق الذي خلق السماء والأرض وأسجد للخلائق الصماء. فإني أحسب أوامر ملككم الوثني تجاديف يوجهها الشياطين بوقاحتهم إلى الله." فلما سمع المجوس هذا الكلام، عادوا إلى أدراجهم مولولين قـــائلين: "من ذا الذي يستطيع سماع التجديف على ملك الملوك؟" وانحنى واحد منهم اسمه "سيبرزاد" وأخذ حفنة من تراب الأرض وذرّة قبالة الطوباوي وقال: "هذا في فم الذي جدّف على الآلهة وعلى ملك الملوك." وإذ ذاك أومأ الطوباوي إلى أحد عبيده لكي يناوله القوس وسهماً واحداً. فرماه القـــديس وأصاب المجوسي في فمه واخترقه وخرج من ورائه، فمات للوقت في مكانه. فضـــحك قـــرداغ وقال له: "خذها مكافأة لك على محبتك لآلهتك وملكـــك." فـــلاذ المجـــوس الآخـــرون بـــالفرار مذعورين، وانطلق وجهاء عشيرته خائبين حزانى.

فنادى الطوباوي أحدهم اسمه أنوش، وكان رجلاً شهيراً بالمعرفة والاستقامة، وقال له: "هل تظن يا أنوش إني أتحصن ههنا خوفاً من الموت في سبيل المسيح؟ كلا ثم كلا. فـــالموت فـــي ســـبيل المسيح ألذ إليّ من الحياة الزمنية. ولكني لن أسلم نفسي بين أيدي أناس ضالين إلى أن يوعز إليّ المسيح بذلك أو يقال لي في رؤيا الليل إن قد حان وقت الموت في سبيل المسيح، وإني واثق بقوة المسيح ربي إنه ليس ثمة من يستطيع إلحاق الأذى بي. وحينما يريد المسيح أن أموت لأجله، فإني سأخرج فرحاً وأسلم نفسي للقتل".

ولما علم الملك بهذه الأحداث، وجه رسائل إلى "نكوركان" حمي الطوباوي، يأمره فيها بان يذهب ويقنع قرداغ بفتح باب حصنه، وإن لم يفعل ذلك، فإن الحكم الموت القاسي سيُنفذ بنكوركان نفسه. فجاء هذا الرجل وحلّ بعيداً عن حصن الطوباوي على مرمى سهمين، وأرسل يقول الطوباوي أن يصعد إلى السور ويكلّمه. فصعد قرداغ وجلس إزاءه وقال له: "اقترب إلى ههنا، أيها الشيخ، ولا تخفْ." ولما دنا، قال له قرداغ: "لماذا تزعج نفسك يا نكوركان؟ ولِمَ أتيت إلى ههنا؟ فبكى الرجل بكاءً مراً وقال له: "إني معذب بالمصائب التي داهمتني، إذ فقدتُ ختناً لا مثيل له بين الرجـــال، وهوذا الموت يهددني إن لم تفتح باب الحصن وتساعدني." فأجابه الطوباوي: "إنما قد فقدت عقلك بضلال الشياطين لهذا تحسبني مفقوداً. فلو لم تفقد عقلك، لأدركت أني لم أُفقَد، بل وُجدتُ للمسيح

واجد المفقودين. فالمفقود هو أنت إذ تركت الله الخالق وتسجد للخلائق الصماء التي خُلقت لإكرامك وراحتك." فقال له نكوركان: "احسبني كما تشاء، واحتقرني كما ترغب، إنما أنقذني من الموت. فإن ملك الملوك غاضب عليّ بسببك. فاصنع أحد الأمرين: أما أن تطيع الملك فتترك المسيحية وتعود إلى المجوسية وتسجد للنار والشمس والقمر، وتبني معابد النار التي هدمتها، وأما أن تخرج وتموت كما يموت المسيحيون الجهلة، فلا نموت نحن بسببك." فأجابه قرداغ: "إني لا أطيع الملك الوثني الأثيم، ولا أتخلى عن الله الذي خلقني وخلّصني ويهتم بي وهو مزمع أن يسعدني في ملكوته، ولا أسجد للخلائق مثلكم، ولا أمتنع عن الموت في سبيل المسيح، بل أموت فرحاً، وأنتم لن تموتوا بسببي. ويا ليتكم كنتم مدركين لتموتوا عوض حياتكم. وإنك بجنونك قد دعوت المسيحيين الذين يموتون في سبيل ربهم جهلة. ولكن اجلس الآن وابعد عنك القلق والحزن، ريثما أذهب وأسأل المسيح ليطلعني هل قد حان الأوان لأموت في سبيله. فإذا حسن لإرادته وحان الزمان لأنال إكليل الشهادة في نهاية جهادي لأجله، فإني سأخرج بفرح وأسلم نفسي إلى القتلة.

فانتشر الخبر في جميع البلدان الخاضعة لسلطة الطوباوي أن قرداغ يتهيأ للموت في سبيل المسيح. فأقبلت جموع غفيرة من كل البلدان من مسيحيين ويهود ووثنيين، وحلوا حول حصن الطوباوي، وهم ينتظرون مشاهدة يوم استشهاد البطل الصنديد. وأقبل أبوه وذووه أيضاً. وظل الجميع منتظرين هناك مدة وعشرين يوماً. أما الطوباوي فكان عاكفاً عن الصلاة والتضرع، مبتلاً إلى المسيح أن يقويه ويشجعه لكي يختم حياته بإكليل الشهادة. وكان والده يتضرع إليه باكياً ويسأله أن يصعد إلى السور ليراه ويكلّمه ويسمع منه ما يريد أن يقوله له. ولكنه رفض ذلك، بل أرسل واحداً من أتباعه ليقول له: "إن المسيح ربنا ينادي في إنجيله ويقول: "كل من لا يترك أباه وأمه وأخوته وامرأته وبنيه ويتبعني، فلا يستحقني. ولهذا فأنا لا أريد أن أرى وجهك. لأن أفكارك وأقوالك مضادة للطريق التي أنا سالك فيه." وبعد ذلك أرسل إليه نكوركان يقول: "أرسل إليّ شوشان ابنتي لأني مشتاق إلى رؤيتها." فقال الطوباوي لزوجته: "اخرجي إلى أبيك وانظري ما يريد منك. ولكني أعرف أنك ستحصلين منه على فقدان حياتك." وحينما خرجت إلى أبيها قال لها هذا: "يا ابنتي الحبيبة، أشفقي على شيخوختي ولا تفضلي محبة زوجك على محبة والدك، ولا تبيعي حياة شيخوختي برجل تمرَّدَ على الآلهة وعلى الملك. فلا مجال ليكون لك والد آخر. أما زوجك، فإذا مات اليوم، فإنك ستجدين غداً واحداً آخر خيراً منه. فأقنعيه ليفتح الباب ويخرج فننجو من الخطر." فعادت من ساعتها إلى الطوباوي وقالت له: "إن كنت مسيحياً، فاخرج بشجاعة ومت ببسالة، كما يموت المسيحيون. فلماذا تنزوي كالضعفاء الجبناء في هذا الحصن، في حين أن كثيرين يموتون بسببك؟" فأجابها قرداغ: "حقاً من فضلات القلب تتكلم الشفتان، كما قال المخلص، وما أنت ناطقة به إنما هو

من مكائد الوثنية الخبيثة ومن ثمار الشر. ولكن لا تضطربي يا ابنة الهلاك، فإني مستعد لأموت حتى قبل تمليقاتك الماكرة هذه".

بعد ذلك رأى قرداغ رؤيا رهيبة.ففي عشية الجمعة، عكف حسب عادته على الصلاة. ولما أنهى صلاته في الفجر، التفت فرأى ذاته على تلة صغيرة أمام باب حصنه تحيط به جموع غفيرة وتنثر عليه اللآلئ. وحينما كنت تلك اللآلئ تتساقط على جسمه، كانت تتبجس من مواضعها قطرات دم سرعان ما تتحول إلى مشاعل وتطير إلى السماء. وكان رجل يلبس ثياباً بهية وهو مكلل بإكليل من النور وواقفاً فوقه في الفضاء ويقول له: "يا أخي قرداغ". فأجابه هو: "هاءنذا". فقال له: "إن هذه اللآلئ انهالت عليّ أيضاً في أورشليم من أبناء شعبي وعشيرتي. والآن سيأتي أبوك ويرميك هو أيضاً بلؤلؤة وسترتفع حالاً إليّ بفرح." فسأله قرداغ وقال له: "من أنت يا سيدي؟" فأجابه: "أنا الشماس اسطيفانس الذي رُجمت في أورشليم في سبيل بشارة الحياة." وفي الحال استيقظ الطوباوي من نومه وقد تولاه خوف شديد. فدعا معلمه اسحق الذي كان يعلمه المزامير ويقرأ له الكتب المقدسة، وقصّ عليه رؤياه. وفكرا منذهلين في هذه الرؤيا، وأدركا أن الزمان قد حان لكي الطوباوي في سبيل المسيح. فقال قرداغ لاسحق: "أين كُتبتْ استشهاد اسطيفانس القديس؟" فأجابه اسحق: "إنها مكتوبة في سفر أعمال الرسل." فقال له قرداغ: "هلم بها واقرأها لي." ولما سمع قرداغ خبر استشهاد القديس اسطيفانس، غمره فرح عظيم وتشجع كثيراً واشتاق إلى الموت في سبيل المسيح اشتياق المسافر العطشان إلى الماء البارد في زمان الحر الشديد.

وجثا الطوباوي في الحال وصلى وقبّل كتاب الإنجيل المقدس ورسم إشارة الصليب على ذاته. ثم فتح باب حصنه وخرج خروج العريس من خدره. ولما عرفت الجموع ذلك، حدث اضطراب في المعسكرات، وأقبل الجميع مسرعين، المسيحيون واليهود والوثنيون، صغاراً وكباراً، رجالاً ونساءً، وكانوا يهرعون لمشاهدة الطوباوي حينما ينال إكليل الشهادة. وأسرع الفرسان وهم مدججون بالسلاح وأخذوا يضطرون الحاضرين ويقولون لهم: "ليتناول كل واحد حجر ليرجم به قرداغ." واجتمع المجوس مع العظماء وجلسوا يقرأون قرار الحكم الذي أرسله الملك. أما الطوباوي، فحينما رأى جموع الوثنيين واليهود وهم يحملون حجارة ويهجمون عليه ليرجموه، نظر إلى السماء ورسم إشارة الصليب على نفسه، وصلى بصوت عالٍ وقال: "أيها الرب يسوع المسيح ابن الله، ساعدني في هذه الساعة، وأهّلني لأختلط بفرح بجموع قديسيك." وحينما قال هذا جثا على الأرض، وانهالت عليه الحجارة وتكدست فوقه. ولكنه قام ببسالة ونفض عنه الحجارة. وهكذا فعل مرتين. وبينما كان الفرسان والمجوس يحرضون الجموع على رشق الحجارة بشدة، قال لهم الطوباوي: "إني لا أموت إلا حينما يرميني أبي بحجرة." وكان أبوه ثملاً بضلال الوثنية وخائفاً من الموت ويحاول تمليق الملك والعظماء،

فأخذ منديله ولّفه على وجهه ورمى ابنه بحجر. وفي الحال فاضت روح قرداغ البطل وانتقلت إلى دار الخلود.

وفي تلك الساعة فاحت رائحة زكية من الموضع الذي فيه رُجم الطوباوي، وسُمع صوت يقول: "أيها المظفر قرداغ، لقد جاهدت جهاداً حسناً، وأحرزت نصراً بطولياً، فهلمّ بفرح وخذ إكليل النصر".

استشهد القديس مار قدراغ في السنة التاسعة والأربعين لحكم شابور الثاني (٣٥٨م) في يوم الجمعة (الواقعة في الأسبوع الأخير من أسابيع القيظ). وفي عشية السبت، اجتمع قوم من المسيحيين واختطفوا جسده من الحراس وواروه الثرى بإكرام عظيم.

وكانت الجموع تقصد كل سنة موضع رجمه في ذكرى استشهاده وتقيم له عيداً وتذكاراً مدة ثلاثة أيام. وعلى مر السنين تطوّر العيد إلى احتفال كبير يدوم ستة أيام، وأخذ الناس يبيعون ويشترون في الموضع لسد احتياجاتهم، حتى دُعي الموضع "سوق ملقي" نسبة إلى القرية التي يقع فيها حصن مار قرداغ الشهيد. وبعد ذلك شيدت كنيسة فخمة على اسم مار قرداغ على التل الذي فيه رجم.

.. وقد بُني مزار لمار قرداغ بالقرب من ألقوش وبجانبه دير كبير على اسمه. ويقصد المزار كثير من أهالي ألقوش والقرى المجاورة، ولا سيما في يوم عيده، وتنسب إليه بعض العجائب.

(٢٨) استشهاد بني الجلاء

في الثالثة والخمسين لحكم شابور الثاني (٣٦٢م)، وهي السنة الثانية والعشرون لاضطهادنا، توجه شابور بجيشه إلى منطقة الروم وحاصر قلعة بيث زبدى واحتلها ودمّر سورها، وأباد معظم المحاربين فيها بحد السيف، وسبى منها نحو تسعة آلاف شخص من الرجال والنساء، ومعهم الأسقف هليودورس، مع كاهنين شيخين هما دوسا وماريهب وغيرهما من الكهنة والشمامسة والرهبان والراهبات. فأخذوهم إلى الأهواز، لأن الملك كان عائداً إلى هناك.

وفي إحدى المراحل، في موضع يُدعى "دستقرتا"[١١٨]، داهم المرض الأسقف هليودورس فوضع يده على الكاهن دوسا ورسمه أسقفاً ورئيساً للجماعة. وسلم إليه المذبح المتنقل الذي كان معه، لكي يقوم بخدمته كما يليق، ثم توفي هليودورس ودُفن هناك بإكرام.

وواصلوا طريقهم. وكان المسيحيون في كل مرحلة يجتمعون في موضع واحد ويتلون المزامير بأجواق. وكان هذا شأنهم كل يوم، مما أوغر قلوب المجوس عليهم، فاضمروا لهم السوء ووشوا بهم لدى رئيس الحكام "آذرفرزجرد" الذي بمشورته كان قد سُفك دم شهداء

[١١٨] قد تكون "دسقرتا دملكا" المسماة أسكي بغداد وهي واقعة بالقرب من شهريان (المقدادية الحالية).

كثيرين في أرض المشرق. ودخل هذا الحاكم الأثيم على الملك وقال له: "أيها الملك الصالح، إن بين المسبيين، رجالاً ونساءً من ينتمون إلى مذهبه، ويلعنون كلهم جلالتك ويحتقرونها. إنهم يفعلون ذلك كل يوم. وسألتهم أكثر من مرة بالكف عن ذلك، ولكنهم زادوا في لعنك وفي التجديف على آلهة الفرس".

وكان الملك آنذاك في "دورساك" في منطقة الدارين. فأصدر أمراً إلى رئيس الحكام هذا وإلى زعيم آخر يُدعى "هزارفات" (أي رئيس الألف) وقال لهما: "اذهبا وآتيا بالمكر برئيس أولئك المسيحيين وبجميع أبناء مذهبه وقولوا لهم هكذا: لقد سرّ الملك كثيراً بحسن تصرفكم، ومر بأن تبقوا ههنا في هذا الجبل. فإن الموضع خصب وقراه جميلة وأراضيه مروية، وسيكون لكم سبب راحة دائمة... وحينما يجتمع أولئك الذين يلعنون جلالتنا ويحتقرون آلهتنا، اصعدوا بهم إلى هذا الجبل واستنطقوهم هناك. فمن يمتثل أمري ويسجد للشمس والقمر ويجحد الإله الذي يسجد له قيصر، فذاك يستقر في هذه القرى براحة وطمأنينة. ومن لا يخضع لهذا الأمر، يقضى عليه ويباد بالسيف".

فخرج هذا الشخصان بصحبة مائة فارس ومائتي راجل، واستدعوا الأسقف دوسا والخور أسقف ماريهب والكهنة والشمامسة والرهبان والعلمانيين الذين كانوا يلازمونهم، وكلموهم بهذه الأقوال الخداعة. وكان عدد هؤلاء المسيحيين يربو على ثلاثمائة شخص. فأصعدوهم إلى الجبل المسمى "ماسبدان" إلى قرية تُدعى "كبتا" (الجفنة)، وأقاموهم خارج القرية. وعندئذ كشف آذرفرزجرد عن نواياه الشريرة وعن مكره وخداعه وقال لهم: "اعلموا أن الملك قد أمر بإبادتكم في هذا الموضع لأنكم كنتم كل يوم تشتمون الملك وتجدفون على آلهة الفرس. فالآن إذا سمعتم نصيحتنا، فإنكم تحيون وتخلصون. فامتثلوا إذن أمر الملك واسجدوا للشمس والقمر وتخلوا عن الولاء لقيصر، وتمسكوا بمذهب شابور ملك الملوك، لأنكم عبيده وله كل السلطة عليكم. فإذا أذعنتم لهذا الأمر، فإني قد خُوِّلتُ السلطة لكي أدعكم تسكنون هذه القرى الجيدة الخصبة وفي هذه المنطقة المزروعة بالكروم والزيتون والنخيل، كما تلاحظون ذلك، وأمنحكم كل ما تتمنون من الهبات والمعونات. أما إذا لم تذعنوا لأمر الملك، فاعلموا أنكم اليوم تموتون بحد السيف ولن يبقى أحدكم على قيد الحياة، بمقتضى الأمر الذي تلقيناه من الملك.

فأجاب دوسا وقال بأعلى صوته: "يا أيها الشعب الغارق في دم بلاده والمتمرغ في دماء البلدان الأخرى. إنكم قد قتلتم أهل البلاد والغرباء، وقتلتم المواطنين والمسبيين، فماذا استفدتم من ذلك؟ وبماذا تجاوبون عنه؟ فإن العدالة تترصدكم والقصاص المحتوم ينتظركم. فأنتم تتلوثون كثيراً بدماء شهداء المغرب، لكي تختم شهادة دمنا الطاهرة صكوك آثامكم مع جميع دماء الشهداء التي سفكتموها. وهذه الخديعة التي أطلعتمونا عليها هي لنا مدعاة فرح عميق، والأمر الظالم الذي أظهرتموه لنا هو لنا دافع إلى ابتهاج عظيم. فمن هو قاتلنا؟ ليقم عاجلاً.

www.karozota.com

ومن هو مُبيدنا؟ فلينفذ الأمر دون تأخير. فإن إله جميعنا واحد، وهو الذي سلمنا إلى أيديكم بسبب خطايانا، ولكنه اليوم ترحم علينا وتصالح معنا ومن أجله نموت اليوم على أيديكم. ومعاذ الله أن نسجد للشمس والقمر وهي من صنع يديه، أو أن نمتثل أمر ملككم الذي يفترس البشر. فإننا على إيماننا ثابتون، ولإلهنا الحق ساجدون، ذلك الذي يسجد له قيصر ويؤمن به. وإننا بالمجد والغبطة نمضي إلى الموضع الذي نحن إليه منطلقون. ولكن الويل لكم أيها النجسون الذين نشرتم الضلال في المشرق بتعليمكم الذي لا إله له. فإن الله سيدحض سريعاً هذا التعليم ويبيدكم ويقضي على ضلالتكم ويزيل كذبكم من أرض المشرق كلها. ولكن اعلم أننا جميعاً ثابتون على هذا الرأي وهذا الفكر الراسخ، كما قلت لك. فأنجز الآن ما أُمرت به دون مماطلة.

حينئذ أمر الحاكم المشاة الذين معه بأن يقتادوا خمسين خمسين منهم ويقتلوهم سوية. فقتلوا منهم مائتين وخمسة وسبعين. أما خمسة وعشرون من الرجال والنساء، فقد تخاذلوا وسجدوا للشمس، فأسكنوهم في تلك البلاد.

وكان بين القتلى شماس اسمه عبديشوع لم تكن جروحه مميتة. فما أن غابت الشمس حتى استطاع الوصول إلى القرية. فاستقبله هناك رجل فقير وأدخله إلى بيته وغسل جروحه وضمدها. وعند الصباح، أخذ عبديشوع هذا الرجل واثنين من أولاده، وذهب بهم إلى موضع الاستشهاد، وأراهم جثث دوسا وماريهب والكهنة الآخرين. فأخذوها وصعدوا بها قليلاً إلى الجبل، فرأوا مغارة صغيرة هناك، فوضعوا الجثث فيها وسدوا فهوتها بحجارة كبيرة. ثم نزلوا عند عبديشوع فرأوه راكعاً يصلي ويبكي في موضع الاستشهاد.

وكان في تلك الكورة رعاة وثنيون كرمانيون[١١٩]. فهؤلاء رأوا في ثلاثة ليالٍ متتالية أجواقاً من الملائكة يمجدون الله وتولاهم الخوف والهلع أمام هذا المنظر، وأخبروا به في المنطقة كلها. وعلى أثر هذه الرؤيا. انضموا هم أيضاً إلى الإيمان القويم.

أما الشماس عبديشوع، فأخذ يبشر بالمسيح في تلك البلاد، وعزم على المكوث هناك طوال حياته، ليكون قريباً من عظام القديسين الذين استشهدوا هناك. فأمضى ثلاثين يوماً وهو لا يكف عن التعليم والتبشير بالله، وكان يقرن أقواله بأعماله الصالحة ومآثره الجليلة. إلا أن صاحب القرية كان رجلاً أثيماً. فحينما رأى أن عبديشوع يعيد أناس من الضلال إلى معرفة الحق، حركه الشيطان، فقبض على عبديشوع وأشبعه ضرباً واحتجزه أربعة أيام وقال له: "إن تنتقل من ههنا ولا تعلم من بعد هذا التعليم في هذه القرية فإني سأطلق سراحك لتذهب حيثما شئات." فأجابه عبديشوع: "لقد عزمت على البقاء ههنا، وإني لن أكف عن نشر هذا التعليم."

---

[١١٩] أي من منطقة كرمان الواقعة شرقي منطقة فارس.

فاحتدم هذا الأثيم غيظاً على عبديشوع، وأخرجه إلى ظاهر القرية، إلى الموضع الذي فيعه استشهد رفاقه، وأعطى خمسين درهماً لرجل كرماني فطعنه بحربته ومات هناك. وخرج ذاك الفقير مع ولديه وأخذوا جثة عبديشوع ودفنوها وجمعوا فوقها كومة من الحجارة. ولكن غضب الله حل بذلك الرجل الأثيم القاتل وبأهل بيته، فاستولى الشيطان على أولاده الأربعة وقضى عليهم. أما هو فقد أصابه داء الاستسقاء، فجلس على المزبلة وهو يعاني مضض الآلام المبرحة طوال ثلاثين يوماً، ثم مات هناك والتهمه الكلاب وبادت أمواله وهرب عبيده كلهم وتبددوا. وكانت امرأته تستعطي خبزها اليومي، وقد انتبتها الآلام الشديدة حتى قضت نحبها. وسلط الرب جرذاناً على نهر تلك القرية، فحفرته وملأته تراباً. ومهما حاول سكان القرية رفع التراب، كانت الجرذان تعيد الكرة عليه. فعطشت القرية ويبست أشجارها فهجرها سكانها وظلت خربة مدة اثنتين وعشرين سنة.

وبعد هذه المدة، جاء أحد أولاد ذاك الرجل الذي كان قد أحسن استقبال عبديشوع ثم دفنه بعد موته، كما أنه كان قد دفن المسيحيين المستشهدين. جاء هذا الشاب إلى هناك، وصلى عند مغارة الشهداء، ونذر بأن يقيم ذكرى الشهداء كل سنة. وإذ ذاك حفر نهر القرية، وبنى فيها بيوتاً وسكنها بسلام. وقد باركه الرب فامتلك القرية. وكان كل سنة يحتفل بتذكار الشهداء. وتجري آيات من عظام أولئك القديسين.

وجاء رئيس أحد الأديرة مدفوعاً بغيرة مقدسة، فبنى هناك بيتاً للشهداء، وأخذ العظام من المغارة ونقلها إلى ذلك البيت.

(٢٩) جهاد الشهداء الأربعين

الأسقفان= مار عبدا ومار عبديشوع.

الكهنة= عبد الله – شمعون – إبراهيم – آبا – ايهبيل – عنّي – عبديشوع – عبد الله – يوحنان – عبديشوع – ماري – برحذبشبا – رازيقايا – عبد الله – عبديشوع.

الشمامسة= اليهاب – عبديشوع – عنّي – ماريهب – ماري – عبدا – برحذبشبا – شمعون – ماري.

الرهبان= فافا – أواليش – عبديشوع – فقيدا – شموئيل – عبديشوع.

الراهبات= مريم – طيطا – ايمه – ادراني – ماما – مريم – مارح.

(استشهدوا في السنة ٣٦ من الاضطهاد).

كان عبديشوع أسقفاً لمنطقة بيث كشكر، وكان رجلاً نزيهاً ومستقيماً. وكان له ابن أخ منذ صغره حسب تعليم الله وجعله بين الرهبان ورسمه شماساً، وقد حسبه صادقاً وأميناً. إلا أن

هذا كان يخفي نفاقه ومكره، شأن جحزي أمام معلمه إليشاع[١٢٠]. ولكن هذا الفاسق انفضح، كما انفضح ذاك السارق. لأن عدالة الله تكشف خفايا المنافقين. فكان هذا الشماس قد سقط في أحابيل امرأة تمرّغ في حمأة الخطيئة. ولما اطلع مربيه على الأمر، انتهره بشدة ومنعه من الخدمة المقدسة.

إلا أن هذا الأثيم كان يريد مواصلة الخدمة وهو في تلك الحالة الشقية، بالرغم من حظر الأسقف البار. فغرّه الشيطان ودفعه إلى التهلكة. وإذا به يتوجه إلى منطقة الأهواز ويمثل أمام الملك ويقول: "أن في منطقة الكشكريين رجلاً يُدعى عبديشوع رئيس المسيحيين، ومعه كاهن اسمه عبد الله. إنهما جاسوسان يستقبلان الروم ويكشفان لهم أسرار مملكتك، ويراسلان قيصر الروم ويطلعانه على كل ما يجري في المشرق، ويحتقران أمرك ويخالفان كلامك ويكفران ويستهزئان بالشمس والقمر والماء آلهتك".

وما أن سمع هذا الكلام، حتى استشاط غيظاً وأصدر أوامره إلى أخيه أردشير ملك حدياب ليأتيه بهما وأن يسومهما شر العذابات إلى أن يعترفا بكل ما فعلا ويكفرا بإلههما. فأرسل أردشير رجاله وقبضوا عليهما وقيدوهما بالسلاسل وأتوا بهما إلى قصره الواقع خارج مدينة بيث لافاط. ولما مثلا أمامه، سألهما عن هويتهما، فأجاباه إنهما مسيحيان. فقال لهما: "إن كنتما مسيحيين فأنتما عدوان لملك الملوك." فقالا له: "إنما ملك الملوك عدونا إذ يبغض إلهنا الحق ويبيد الذين يعبدونه بالحق." حينئذ قال لهما الأثيم: "أجيباني بصدق عما أسألكما وإلا لأنزلّن بكما شر العذاب والموت." فأجاباه: "إننا صادقان ولا نكذب في كلامنا. أما أنت فامكرْ واكذبْ كعادتك وأنزل بنا الموت الذي تُمليه عليك رغبتك الشريرة، وسنقبله بفرح في سبيل الله." فقال الملك لهام: "لماذا تحتقران النار والماء ولا تسجدان للشمس والقمر، وأنتما موالیان للروم وتستقبلان جواسيسهم وتكتبان رسائل إلى قيصر وتطلعانه على أسرار ملك الملوك".

فقال له عبديشوع: "ما هذه الأمور السخيفة التي تذكرها وتنسبها إلينا ظلماً ونحن منها براء؟ وإني لمتعجب كيف أنكم، مع حكمتكم المزعومة ومعرفتكم الواسعة لم تتوصلوا إلى معرفة صدقنا، مع أنكم قد شختم في تعذيبنا وقتلنا؟ وها أنتم تتدنون كأناس جهلة وتفترون علينا زوراً وتسرعون بشراسة إلى سفك الدماء الزكية التي تسطّر لنا النصر ولكم العار، وتظهر حقنا وتفضح كذبكم، وهي تظفر على رأسنا إكليل المجد دوماً، وتشجبكم دوماً أنتم القتلة المجرمين".

إذ ذاك ثار ثائر الملك أردشير واحتدم غيظاً وأمر بربطهما بجبال من كتان، كل منهما بثلاثة حبال، وبشد ثلاث خشبات على جسم كل منهما: واحد على جوانبهما، وأخرى على أفخاذهما وثالثة على سيقانهما. وكان أذرعهما موثقة على ظهريهما. وشرع الرجال يشدون عليهما هذه

---

[١٢٠] راجع الفصل الخامس من سفر الملوك الرابع.

الخشبات بحضور الملك، فتتصدع عظامهما وأعصاب جسميهما ويُسمَع صوت مثل صوت حِمل حطب يابس عندما يُشَدُّ بقوة. وحينما كان الرجال يكفون عن الضغط، كان الملك يُردِّد عليهما القول عينه: "اسجدا للشمس آلهة شابور ملك الملوك، واعترفا بكشفكما أسرار الملك، فتنجوا." أما القديسان فكانا يصرخان قائلين: "إننا لصامدان في حقيقتنا ولسنا نسجد للشمس خليقة الله، ولا ننسب الكذب إلى أنفسنا، إذ لا صلة لنا بالروم".

وتكرر الأمر سبع مرات، ولم ترتخ عزيمتهما أو تتغير إرادتهما. فتركوهما على رمق أخير من الحياة، وقد انخلعت أعظاؤهما بهذا العذاب الأليم، وتكسرت أضلاعهما وتصدعت عظامهما. ثم حملوهما وألقوهما في السجن. وأمر الطاغية بمنع المسيحيين من جلب الخبز والماء لهما، بل أن يقدموا لهما من خبز المجوس ومياههم القذرة شيئاً زهيداً يكفي لحفظهما في الحياة. إلا أنهما لم يأكلا ولم يشربا شيئاً مما قدم لهما طوال ستة أيام، ومكثا يتضوران من الألم والجوع ثابتين بقوة الله. ولما أوشكا على الموت جوعاً، أنقذتهما أرملة كانت دارها ملاصقة للسجن وفيها كوّة صغيرة تشرف على السجن. فاحتالت في الليل ووضعت خبزاً وماءً في مزودة دلتها بحبل صغير إليهما من الكوة. ولما أبصرا الطعام، لم يراودهما شك في أن اله هو الذي أرسله إليهما، فتناولاه وشربا الماء. وهكذا كان شأن المرأة طوال مكوثهما في السجن. أما الحراس فكانوا منذهلين من بقاءهما على قيد الحياة. فأخبر أردشير أخاه الملك شابور ملك الملوك إنه نكّل بهما شر تنكيل دون أن ينال من عزيمتهما.

حينئذ دعا الملك ذاك الشماس الخائن وسأله هل ثمة مسيحيون آخرون في بلاد كشكر؟ فأجابه الخائن: "هناك أسقف وكهنة وشمامسة كثيرون. إن مرت فسأمضي وأجلبهم إلى ههنا." فأعطاه الملك عشرة فرسان وعشرين راجلاً للقيام بهذه المهمة القذرة. وتوجه إلى منطقة كشكر للقبض عليهم. أما عبدا أسقف مدينة كشكر، فكان قد خرج لزيارة أبرشيته بصحبة كهنة وشمامسة من كنيسته، وهم لا يدرون شيئاً من أوامر الملك. وحضر في إحدى القرى فيها رهبان وراهبات. وبينما كان نائماً في الليل، رأى رؤيا أذهلته. فأيقظ الكهنة الذين كانوا معه وقص عليهم خائفاً ما رآه وقال: "رأيت ثعباناً أسود كبيراً وقبيحاً ورهيب المنظر، وأخذ يدب ويفحّ ويرهب الأرض. ورأى عصابة من العصافير عددها أربعون، فانفض عليها وابتلعها الواحد تلو الآخر حتى أتى على جميعها." فاعترى الجميع انذهال وعجب من هذه الرؤيا، وقاموا وصلوا ثم عادوا ثانية إلى النوم. وإذا بالأسقف عبدا يشاهد الرؤيا ذاتها مرة ثانية بوضوح، فعاد وأيقظهم وقال لهم: "بينما كنت راقداً وعيناي مفتوحتان، وأنا أرفعهما إلى السماء وأمجد الله في قلبي، وأفكر في الرؤيا الأولى، وظننت أننا قد نموت جميعنا بالشهادة، إذا برهبة اكتنفتني، ولم أعلم بعد أين أنا. ورأيت الأسقف شمعون برصباعي طائراً ومحلقاً فوق رأسي، وكان منظره شبيهاً بالبرق، وكان جليلاً ومجيداً مثل ملاك السماء. فاشتاقت نفسي

إلى كلامه شوقاً مذيباً، وتقت إلى أن يدنو مني. ولما أبصرته مرتفعاً عني، صرخت وقلت له وأنا خائف: لماذا لا أستطيع أن أطير وآتي إليك؟ فأجابني قائلاً: إنك الآن لا تستطيع، ولكنك بعد قليل ستتمكن من أن تطير وتأتي إليّ وتقول لي كل ما يختلج في فكرك".

ولما أنهى قصته، تعجب الجميع مما رواه، فقاموا وصلوا صلاة الصبح. وفي تلك الساعة وصلت زمرة الأشرار وألقوا القبض على الأسقف عبدا والرجال الثمانية والعشرين الذين معه، وكذلك على سبع نساء كن هناك، كبّلوهم بالقيود، واقتادوهم بعنف وقساوة إلى مدينة كرخ ليدان في منطقة الأهواز، لأن الملك كان قد غادر بيث لافاط وأقبل إلى تلك المدينة. فأتوا بهم إلى باب القصر. وأرسل الملك إليهم حاكم المنطقة مع اثنين من أكابر المجوس لاستجوابهم. ولما مثلوا بين يدي الحاكم، قال لهم: "لماذا تتمادون في الضلال وتضلون الناس وتهلكونهم بخداع تعليمكم؟" فأجاب الأسقف عبدا وقال له: "نحن واثقون بأننا في الصراط المستقيم وأن من يتبعنا حكيم ولا يهلك ولا يضلّ لأنه يسير في النور. وهو إنما يسمعنا بدافع الرجاء العتيدة فيعود من ضلاله." فقال الحاكم: "إن الملك يأمركم بالسجود للشمس، لكي تنجو اليوم من العذابات والموت الذي أنوي إنزاله بكم. وإن لم تطيعوا أمره، فإنه قد خوّلني السلطة للتنكيل بكم كما أشاء." فقال له عبدا: "ليس بوسع ملكك وأمره ولا بوسعك أو بإمكان سلطتك أو عذاباتك أن تفصلنا عن محبة إلهنا وعن الإيمان الحق بيسوع المسيح. وإننا لن نقدم السجود للشمس المخلوقة عوض الله الخالق، ولن نستبدل الملك العظيم القدوس بملك صغير أثيم".

فاستشاط الحاكم غيظاً وأمر بضرب كل منهم مائة سوط. ولكنهم عذبوا الطوباوي عبدا بضربات أشد قساوة، لكونه الناطق بلسانهم. ثم قال لهم الحاكم: "لماذا تتجرأون وتحتقرون شابور ملك الملوك؟ فإنه إله تمتد سلطته على الخليقة إلى الأبد". فأجابه مار عبدا: "إن شابور الملك ليس إلهاً، بل هو إنسان، وهو كإنسان يأكل ويشرب ويلبس ويكدّ ويتعب ويفرح ويتضايق، ويعتلّ ويشفى، ويمرض ويموت. وسلطانه العالي قد ناله من عند الله تأديباً للبلدان والشعوب المخالفة لعدالة." ولما سمع المجوس هذه الأقوال، سخطوا كلهم وأخذوا يشبعونه لطماً على فمه لئلا يواصل تجديفه هذا على الملك.

ودخل الحاكم والمجوس على الملك. فقال لهم: "كيف رأيتم هؤلاء السحرة؟ وما رأيهم؟ وماذا قولوا؟" فأجاب الحاكم وقال: "أيها الملك الصالح، لا يُسمح لفم إنسان أن ينطق أمامك بما يجدّف به هؤلاء على جلالتك. فأن ما يقولنه عنك يتعذر إعادته أمامك." فسمح الملك وقال له: "انطق بكل ما قالوه ولا تخفْ. فلست أنت الذي تحتقرني بل أولئك هم الذين يحتقرونني أنا ومملكتي." وإذ ذاك قال له الحاكم: "عشت أيها الملك إلى الأبد، ودام تاجك على راسك أبداً. إنني امتثالاً لأمرك خرجت وعذّبتهم بقساوة لكي أدفعهم إلى السجود للشمس ولكنهم لم يرضخوا لأمرك. وقلت لهم أيضاً أن ملك الملوك إله حي إلى الأبد ومسيطر على الأرض

كلها. أما هم فقالوا مجدّفين على جلالتك: إن شابور الملك ليس إلهاً، بل هو إنسان كواحد من البشر، وإنه مثلهم يمرض ويموت." فضحك الملك ضحكة عالية وقال له: "إن هؤلاء الناس لحكماء فيما قالوه عني. فأنا إنسان لا إله، وأنات مزمع أن أموت شأن واحد من البشر. وإني لأحسبك جاهلاً أيها الحاكم لأنك استأت من هذا الأمر الذي بدا لك أمراً جديداً".

وفي الحال استدعى الملك "طوسداغ" رئيس الأمناء الذي كان متولياً أمر جميع فيلة الملك، وأمره بأن يستعد لاستجواب هؤلاء الأسرى المسيحيين وأوصاه قائلاً: ""أنظر إذا رضخوا لإرادتي وسجدوا للشمس، فلن يموتوا. فقد لاحظت أن المجوس يبغضونهم بغضاً شديداً ويتذرعون بشتى الوسائل لقتلهم." فخرج هذا الأمين من المدينة وخُيَلاء بصحبة القائد الأعلى لمنطقة فارس كلها مع الحاكم والمجوسين المذكورين أعلاه وجميع غفير من أبناء المدينة. وأخرجوا الشهداء المقيّدين إلى الجهة الجنوبية من المدينة، وهم عبدا الأسقف والرجال الثمانية والعشرون الذين معه، وأوقفوهم أمامهم بهيئة تدعو إلى الخوف والرهبة. ووجّه الأمين إليهم أسئلة عنيفة وقال لهم: "من أنتم يا ترى حتى تخالفوا أمر ملك الملوك؟" فأجابه القديسون وقالوا: "نحن إنما نطيع أمر الله الخليقة كلها ولن نرضخ لإرادة ملك أثيم." فقال لهم الأمين: "إنما الملك شفقة بكم أرسلني إليكم لكي أنصحكم لتسجدوا اليوم للشمس زلا توفّروا علة للموت الذي صدر عليكم بالسيف." فأجابه القديسون: "أنت بصفتك أميناً للملك وصديقه ولا تشفق علينا موتنا ولا تأخر قتلنا. فإننا نرذل ونحتقر نصيحتك وأمر ملكك، ولا نسجد للشمس فنصبح أضحوكة مثلكم أنتم الذي تاه عقلكم وراء ضلال المجوس. فاعلم يقيناً أننا نسجد لإله واحد ولأجله نستشهد اليوم وهو سيمنحنا حياة أخرى أبدية لا موت فيها." وإذ ذاك أصدر الأمين حكم الموت عليهم. فشرع العظماء يحلون وثاقهم ويقرّبونهم مثل خراف للذبح، والشهداء فرحون.

وكان ثمة أخوان هما برحذبشبا وشموئيل، وقد تبعا الشهداء طوعاً من بلادهم ليوفرا لهم احتياجاتهم. ولم يكن قد ألقي القبض عليهما. وكانا في ذلك النهار قد ذهبا إلى المدينة لجلب طعام للشهداء، ولم يعلما أن هؤلاء قد اقتيدوا من السجن في الساعة الثالثة ونفذ فيهم حكم الموت. فلما بلغهما هذا الخبر، اعتراهما الانذهال وأسرعا إلى مكان الاستشهاد وارتميا على جثة الأسقف عبدا واحتضناه وأخذا يقبلانه ويأخذان من دم الشهداء ويمسحان به جسديهما، وشرعا يلتمسان من القتلة أن يقتلوهما، وهما يقولان: إن الموت ألذّ لنا من هذه الحياة التعسة والمرة. وصارا يجدّفان على الملك في سبيل الحصول على الاستشهاد. فتشاور العظماء الثلاثة فيما بينهم بشأنهما وقرّ رأيهم على عدم قتلهما إلى أن يطلعوا الملك على أمرهما، لأن اسميهما لم يكونا مسجلين في اللائحة التي أعطيت لهم. فأرسلوا وأطلعوا الملك على ما جرى. أما هذان القديسان، فما كانا يكفّان عن الصراخ والقول: نحن أيضاً مسيحيان مثل هؤلاء الذين

قتلتموهم، ونعترف بإلههم الحق ونكفر بآلهتكم الكاذبة. ونحن جميعنا أبناء إيمان واحد بالله. فصدر عليهما أيضاً حكم الموت، فأعدما في تلك الساعة وفي الموضع عينه، فاختلط دمهما بدماء رفاقهما. وتكلل الشهداء يوم الجمعة الموافق ١٥ أيار.

وفي اليوم التالي، تذكر الملك الأسقف عبديشوع والكاهن عبد الله. فسأل هل أنهما ما يزالان على قيد الحياة؟ فقيل له: أجل، إنهما على قيد الحياة. فأمر بقتلهما إذا كانا ما يزالان على رأيهما. فأخرجوهما من السجن وقد بلغ منهما الهزال حداً لم يبق من جسديهما سوى الجلد والأعصاب والشعر، ولم يبق لهما صورة إنسان، إذ كانت أضلاعهما وعظامهما قد تكسرت وقامتهما منحنيتين محطمتين. فأخذوهما إلى الموضع الذي فيه استشهد رفاقهما. وخرج الحاكم إلى هناك وسألهما وقال: "إن كنتما ترضخان لأمر الملك ستعيشان وتنجوان من القتل." فأجاب المجاهدان بقوة وقالا له: "يا عديم القلب، ألا تخجل أن تدفعنا نحن الذين مات جسدانا إلى أن تقتل نفسينا أيضاً؟ ولكن لا تتوهم أيها القذر بأننا قد غيرنا رأينا الأول. فإننا صامدان في حقيقتنا، ونعترف بالإله الأوحد الحق. فلا تنظروا إلينا وتتهاونوا، بل أرسلونا لنلتحق بأخواننا الذين قتلتوهم البارحة ظلماً. فهؤلاء الذين كانوا متأخرين عنا في الجهاد قد سبقونا إلى الإكليل." إذ ذاك أصدر هذا القذر أمراً بقطع رأسيهما في الموضع الذي فيه استشهد أخوتهما. وكان في المدينة مسبيون من الروم. فبذلوا كل اهتمامهم وسرقوا جثث الشهداء كلها ودفنوها باحتراس في أماكن خفية. وكذلك حفروا الأرض التي سقتها دماؤهم واحتفظوا بهذا التراب للشفاء.

أما النساء السبع فقد أمر الملك بإرسالهن إلى مدينة بيث لافاط ليُقتَلن هناك تخويفاً للمنطقة كلها. وأمر حاكم المنطقة باستصحابهن للأشراف على قتلهن. ولما أدخلوهن إلى المدينة، حدث فيها اضطراب كبير وضجّ الناس احتجاجاً على الدم الزكي الذي يُسفَك فيها. وفي يوم الجمعة التالية لقتل الشهداء، أخرجهن الحاكم إلى شرقي المدينة وسألهن: "هل ترضخن لإرادة الملك وتتزوجن فتحيين وتخلصن من الموت الصادر عليكن؟" فأجابته القديسات: "نحن إنما نلتجئ إلى الله وله نسجد ولا إله لنا سواه. والآن افعل ما أُمِرتَ به دون تأخير. فاعلم أننا لا نطيع أمر الملك الأثيم، ولا نسجد للشمس التي هي خليقة، ولا نرضى بالزواج." إذ ذاك أوعز الملك إلى ثلاثة رجال بأن يستلوا سيوفهم ويقطعوا رؤوس سبعتهن. وهكذا استبسلن بالمسيح رجاء انبعاثهن.

استشهدت هؤلاء القديسات في الثاني والعشرين من شهر أيار، واختُطفت جثثهن في الليلة ذاتها، ودفنها أناس من المؤمنين كانوا في المدينة.

(٣٠) استشهاد بدما رئيس الدير

في ذلك الزمان أيضاً، ألقي القبض، بأمر الملك، على بدما رئيس الدير من مدينة بيث لافاط. وكان بدما من أسرة غنية وشريفة. وحينما تنصر، وزّع أمواله كلها على المساكين، وأقام لـــه ديراً في ظاهر المدينة وسكن فيه، وشرع يقوم بأعمال ترضـــي الله، ويواســـي المتضـــايقين ويساعد المحتاجين الذين يقصدونه دوماً. وكان متمسكاً بصوم صارم، إذ لا يتناول الطعام إلا مرة في الأسبوع.، ويتوقف هذا الطعام على وجبة واحدة من الخبز والماء. وكان مواظباً على السهر والصلاة، فيمكث واقفاً وعاكفاً على الصلاة ويداه مرفوعتان من المساء حتى الصباح، حتى ذاع صيت قداسته وأعماله الفاضلة، مما حدا الملك إصدار الأمر بإلقاء القـــبض عليـــه وزجّه في السجن مع سبعة من أخوته الرهبان.

ظل بدما ورفاقه السبعة في السجن أربعة أشهر واحتملوا آلاماً مبرحة في سبيل إلههم دون أن ينكروه أو يتراجعوا عن مبادئهم القويمة. وحدث أن رجلاً شريفاً اسمه نرسا، رئـــيس مدينـــة أرنون (أريوان)[١٢١] في منطقة باجرماي كان في السجن هو أيضاً لعدم سجوده للشمس، إذ كان مسيحياً بالاسم. إلا أنه في الأخير تخاذل وتراجع وفضّل المال وإكرام الملـــك علـــى المجـــد السماوي، ورضي بأن يمتثل أمر الملك في كل شيء. وفكّر الملك بدهاء، وأمر بحـــل وثـــاق بدما والمجيء به إلى فناء قصر الملك في مدينة بيث لافاط. وأمر بإخراج نرسا مقيّداً بصحبة أمينين من أمناء الملك. وطلب إلى نرسا أن يقتل الطوباوي بدما لكي يُحَـــلَّ وثاقـــه ويُطلَـــق سراحه. فتناول هذا المتخاذل سيفاً وأقدم على بدما. فنظر إليه بدما وقال له: "يا نرسا، أإلـــى هذا الحد بلغت وقاحتك حتى أنك تسفك دم عبيد الله؟ الويل لك، الويل لك، ماذا أنـــت فاعـــل؟ وإلى أين تهرب من دينونة الله الرهيبة ومن عدله؟ أما أنا فإني مشتاق إلى الموت بالشهادة في سبيل المسيح، وإني لأموت فرحاً، ولكني كنت أتمنى أن أموت على أيدي أناس آخرين وليس على يدك." إلا أن نرسا سيطر على خوفه وعاطفته، وهجم على بدما وضرب عنقه بالســـيف أربع مرات حتى فاضت روحه واستشهد. وأصبح نرسا عاراً حتى لدى غير المؤمنين أنفسهم، وبعد رمان قُتل هو أيضاً بالسيف.

استشهد المجاهد بدما في العاشر من شهر نيسان (٣٧٥؟). وقد رُفعت جثته ليلاً ودُفنت بإكرام لائق.

أما الأخوة السبعة الذين كانوا مع بدما في السجن، فقد ظلوا فيه أربع سنين، إلـــى أن تـــوفي شابور الملك (سنة ٣٧٩)، وإذ ذاك أطلق سراحهم.

---

[١٢١] أرنون أو ماحوزا داريون كانت تقع جنوبي الزاب الكبير على مسافة متساوية بين الطون كوبري ومصب نهر الزاب في دجلة.

(٣١) استشهاد عقبشما الأسقف ويوسف الكاهن وايثالاها الشماس

في السنة السابعة والثلاثين من اضطهادنا، أصدر الملك أمراً صارماً يخوّل الحكام تعذيب المسيحيين وقتلهم. وكان المجوس يشون بالرعاة النشطين الذين لم يختفوا خلال الاضطهاد ويقولون عنهم: "إن المسيحيين ينقضون تعليمنا ويعلّمون الناس عبادة إله واحد ويحرضونهم على عدم السجود للشمس وإكرام النار وعلى تدنيس المياه وعدم الزواج والإنجاب، وعدم الخروج مع الملك في الحرب وعدم القتل، وعدم ذبح الحيوانات وأكلها دون تردد، ودفن الموتى في الأرض. ويقولون أن الحيات والعقارب وسائر حشرات الأرض هي من صنع الله وليست من الشيطان. وإنهم يفسدون كثيرين من عبيد الملك ويعلّمونهم السحر الذي يدعونه معرفة كتب..." ولما كان القضاة يسمعون هذه الأقوال، كانت نار الحقد والغضب تتأجج في صدورهم على المسيحيين.

في هذا الوقت، ألقي القبض على عقبشما أسقف حنيثا[١٢٢]، وكان اسم قرية فقعا. وكان شيخاً جليلاً يناهز الثمانين من عمره وهو ما يزال محتفظاً بقوته وبرشاقة قده وبشهرة حسنه في العالم. وكان رحوماً يهتم بالفقراء والغرباء، ويرد الكثيرين من الوثنيين إلى الحقيقة. وكان عاكفاً على الصوم والصلاة ويذرف الدموع الغزيرة كل يوم حتى أن الأرض التي كان يركع عليها تبتل بالدموع.

وقبل القبض عليه بأيام قليلة، بينما كان أحد الأخوة واسمه فافا بادوقا يفلّي رأسه، قبّل صلعته وقال: "طوبى لهذه الصلعة التي ستموت بالشهادة في سبيل المسيح." لأن الطوباوي كان أصلع. فاحتضنه الطوباوي وقبّله وقال له: "لتتحقق نبوءتك يا بني، وليسمعها الله سريعاً فيمنحني هذا الحظ الذي نطق به فمك." وكان ثمة أسقف آخر، فقال لهذا الأخ مازحاً: "وأنا يا ابني، أتعلم ماذا سيحدث لي؟" فقال له الراهب: "أنت ستموت في طريقك إلى أرض آران"[١٢٣]. وجرى كما قال الراهب، إذ أن عقبشما مات شهيداً، والآخر ذهب ومات في آران.

وإذ كان عقبشما يجتاز مقيّداً بالقرب من بيته، قال له واحد من أصدقائه كان يرافقه: "فوّض أمر دارك إلى من يعتني بها لئلا تخرب." أما هو فأشار إلى داره وقال: "إن هذه الدار ليست داري وهذا المال ليس مالي. فالمسيح وحده إرثي ولا أحسب معه شيئاً".

وحينما أتوا به إلى مدينة أربيل، أحضروه أمام الحاكم آذركركشيد. فساله هذا وقال له: "هل أنت مسيحي؟" فأجابه بصوت عالٍ: "أجل، إني مسيحي، وأسجد للإله الحق." فقال الحاكم: "إذن فصحيح ما سمعت أنك تعلمه في البلاد كلها مما يناهض ملك الملوك؟" فقال عقبشما: "كل ما

---

[١٢٢] حنيثا أسقفية كانت تقع بالقرب من وادي راوندوز.

[١٢٣] آران منطقة تقع شمالي نهري أراكس وكور وغربي بحر قزوين.

قيل لك بشأني صحيح، وحقاً أني أعظ بالإله الأوحد وأحث الناس على التوبة والعودة إليه من طرقهم الشريرة، كما جاء في كتبنا المقدسة." فقال الحاكم: "سمعت أنك حكيم، وأنت الآن رجل طاعن في السن، فلم تضلّ ولا تسجد للشمس وتركم النار. فإن المشرق كله يعبدهما؟" فقال له القديس: "إن بلاد المشرق لفي جهل كبير إذ تركت الخالق وسجدت للخليقة. وأنتم قد خدعتموها بتعليمكم الكاذب الذي يدعو إلى عبادة آلهة متعددة ليست سوى خلائق أبدعها الإله الأوحد".

ح- أتدعو كذباً التعليم الذي يتبعه ملك الأرض كلها، يا منكود الحظ؟

ع- أين هي حقيقة تعليمكم الذي ينكر الحق إذ يحسب الخلائق كائنات ينبغي السجود لها؟

ح- امتثل الآن أمر الملك واسجد للشمس فتنجو من العذابات التي تنتظرك. فإني أشفق على شيخوختك لئلا تنحدر إلى القبر ملّوثة الدم.

ع- صه أيها المنافق اللئيم ولا تنطق بكلام الزور هذا ولا تكرره عليّ. فإني قد تربيت منذ صغري في الإيمان الحق، والآن في شيخوختي يجب عليّ أن أزداد تمسكاً بالسيرة الصالحة فأنال الإكليل ظافراً، وأحتقر كلامك الأثيم.

إذ ذاك أمر الحاكم بإخضاعه للتعذيب. فانهالت عليه الضربات حتى سالت دماؤه. فقال له الأثيم:

ح- أين إلهك؟ فليأتِ ويخلّصك من يديّ.

ع- إن إلهي موجود ويستطيع أن ينقذني من يديك القذرتين. ولكن لا تفخر، فإنك مثل زهرة تذبل ووردة تذوي. أنت ميت في حياتك إذ لست حياً في الله خالقك. فإنك ستموت موتاً زمنياً ثم تقوم لتموت موتاً أبدياً في جهنم. والنار التي تكرمها، فيها سيتعذب جسدك مع نفسك حينما تتجلى دينونة الله العادلة.

فأمر الحاكم بأن يربط بسلاسل ثقيلة ويزجّ به في ظلام السجن.

وفي تلك الأيام ألقي القبض على يوسف كاهن قرية بيث كاثوبا، وكان شيخاً جليلاً يناهز السبعين من سنه، مليئاً بغيرة إلهية وفاضلاً في سيرته ومهتماً بخدمته الكهنوتية. كما ألقي القبض أيضاً على الشماس ايثالاها من منطقة بيث نوهدرا[١٢٤]، وكان له من الغمر ستون سنة، وكان طلق اللسان شديد اللهجة مضطرماً بمحبة الله. فأتوا بهما مقيدين إلى مدينة أربيل وأحضروهما أمام الحاكم ذاته. فقال لها الحاكم: "أيها التعسان، لِمَ تخدعان الناس البسطاء

[١٢٤] كانت بيث نوهدرا منطقة كنسية مترامية الأطراف تشمل مساحة واسعة تمتد بين سهل نينوى إلى جبال كردستان الشمالية، يفصلها بين باعربايي نهر دجلة غرباً، وعن حدياب نهر الزاب الكبير جنوباً، وعن مرج الموصل نهرا الخازر والكومل.

الودعاء بسحر تعليمكما؟" فقال له الطوباوي يوسف: "إننا لسنا بسحرة، بل نعلّم الناس الحق لكي يعودوا عن عبادة الأصنام المائتة فيحيوا".

ح–أي من المذهبين حق: المذهب الذي يتبعه ملك الأرض والعظماء والأغنياء؟ أم المذهب الذي تتمسكون به أنتم الفقراء البؤساء؟

ي– إن إلهنا لا يُسرُّ بالكبرياء والعظمة والغنى في هذا العالم. لذا فنحن فقراء محتقرون لكي نستحق مجد العالم الآخر الذي يُزيل مجد العالم الحاضر.

ح– لأنكم أناس عاطلون ولا تكلّفون أنفسكم عناء العمل والكد، أنتم تفتخرون بالفقر.

ي– بما أنك عيّرتنا بالبطالة، فاسأل وتحقق من أننا لو أردنا الاغتناء لكفانا جهدنا لجمع المال الذي أنت تكتسبه عن طريق الجشع والنهب. فنحن نُعطيه للمساكين في حين أنتم تسلبونه من المساكين.

ح– إن المال شهي والجميع يحبونه، فمن يصدّقك إذ تقول أنكم تبغضونه؟

ي– نحن لا نرغب فيه إذ نراه ضيفاً عابراً لا يمكث عند أحد، ولن يمكث عندك أيضاً أنت الذي تحبه. فالغنى يهرب من الأغنياء، والفخر من المتكبرين، وسيصبحون تراباً في القبر شأن الناس أجمعين.

ح– نحن في غنى عن الكلام الكثير. فأجبني عن أمر واحد أسألك عنه: أتسجد للشمس الآلهة وتنجو من العذابات التي تنتظرك أم لا؟

ي– لا تظن أيها الأثيم إني أسجد للشمس التي قلتُ عنها لكثيرين إنها ليست بإله، بل هي خليقة.

فاحتدم الحاكم غيظاً وأوعز إلى عشرة رجال في جلده بقضبان رمان غليظة وشائكة، حتى أوشك أن يفارق الحياة. وكان يوسف ينظر إلى السماء ويسأل العون من الرب، وقد تخضب جسمه كله بالدم. ثم رفع صوته وقال: "أشكرك أيها المسيح ابن الله، لأنك أهلتني لأغتسل بمعمودية ثانية وأتطهر من جميع خطاياي. ولدى سماع المجوس هذه الأقوال، كان الغضب يتأجج في صدورهم، فيزدادون في ضربه وتعذيبه، حتى لم يبق موضع صحيح في جسمه. وأمر الحاكم بأن يزج به في السجن الذي كان فيه عقبشما.

ثم أحضروا أمامه ايثالاها المظفر. فقال له الحاكم: "اسجد للشمس وكل الدم وتزوّج وارضخ لأمر الملك فتحيا وتنجو من العذاب والإعدام الصادر بحقك." فصرخ ايثالاها وقال: "خير لي أن أموت لأحيا إلى الأبد من أن أحيا لأموت إلى الأبد. فكُلِ الدم أنت لأنك مثل كلب نهم، واسجد أنت للشمس لأنك أعمى القلب ولست ترى النور البهي المشرق على الكون والذي انتشرت بشارته في أقاصي المسكونة." ولكن الحاكم كظم غيظه وقال له: "من يصدقك فيبغض الحياة ويحب الموت، سوى القليلي العقل من أمثالكم؟" فقال له القديس: "إنما أنت قليل العقل.

وكذلك الضالون من أتباعك، لأنكم لا تعرفون الحق. فإن معلمنا قد أوصانا بأن نحب تلك الحياة التي أنتم تدعونها موتاً، وأن نبغض ذلك الموت الذي تدعونه حياة." إذ ذاك ثار ثائر الحاكم، وأمر بربط يدي الطوباوي تحت ركبتيه، وبإدخال خشبة غليظة تحت فخذيه حتى تمرّ فوق ذراعيه، وضغط كل ستة رجال على كل من طرفي الخشبة. إن هذا لعذاب شنيع وخال من الرحمة. واستمروا على تعذيبه هكذا مدة طويلة، بينما كان هو يوجه كلمات الاحتقار إلى الحاكم، قيدعوه دنساً وقذراً ولاعق الدم كالكلب وغراباً وسخاً يستقر فوق الجثث. أما الحاكم الأثيم فكان يحرق الأرم ساخطاً على المعذبين لكونهم عاجزين عن إسكاته. إلا أن التعذيب أدى إلى انخلاع عظامه وانفكاكه مفاصله، حتى اضطروا إلى حمله وإدخاله إلى السجن عند رفيقه.

وبعد خمسة أيام، أخرجوهم من ذلك السجن وأتوا بهم إلى بستان قريب من معبد النار. وجلس الحاكم لاستنطاقهم وقال لهم: "أما زلتم على رأيكم السخيف ولا تطيعون أمر الملك، أيها السحرة الأشرار؟" فأجاب الثلاثة بصوت واحد وقالوا له: "إننا على عزم ثابت وفكر صالح وإيمان مستقيم لثابتون. وإننا لكذلك كلما استجوبتنا. فنحن نعبد الإله الأوحد ولا نطيع أمر ملكك الأثيم. فاصنع ما شئت، أيها الطاغي المارد." فأمر الحاكم وأتوا بثلاثة حبال رفيعة من الكتان وبسطوها على الأرض للقديسين، ورموا على كل منها ثلاث خشبات ثم شدوها على كل من القديسين الثلاثة، على سيقانهم وأفخاذهم وجوانبهم، وشرع رجال أقوياء يشدونها بعنف، حتى سمع صوت عظام الشهداء وهي تتكسر ومفاصلهم ترض. ثم سألوهم أن يرضخوا لأمر الملك لكي ينجو من العذاب. ولكن الشهداء كانوا يقولون بصوت عالٍ: "إننا نتكل على إلهنا الحقيقي ولا نرضخ لإرادة الملك." وفي هذا العذاب كله، كان انتصارهم يتضاعف ويزداد..

بعد ذلك حملوهم وأدخلوهم إلى السجن مثل جثث هامدة. وكان المجوس كل يوم يذيقونهم ضروب التعذيبات والإهانات، بالإضافة إلى مضض الجوع والعطش. ولم يدعوا أحداً يجلب لهم ثياباً دافئة ولا طعاماً، إذا كان الحاكم قد أصدر أمراً صارماً يقضي بجلد كل من يدخل عندهم مائة جلدة وبتر إذنيه وأنفه. إلا إن السجناء الآخرين الذين معهم كانوا يخرون أحياناً إلى المدينة ويستعطون خبزاً ويجلبونه لهم، مشفقين على شيخوختهم وحالهم البائسة.

وبعد ثلاث سنين، جاء الملك إلى منطقة مادي. فأخرج الحاكم السجناء الثلاثة مقيدين وذهب لمواجهة الملك. وكان الثلاثة في حالة من الهزال يرثى لها وتدفع أقسى القلوب إلى الرحمة والشفقة والدموع لما أصابهم من الذل والهوان. ولما بلغوا إلى حيث كان الملك نازلاً، أحضرهم الحاكم بين يدي آذار شابور رئيس حكام أرض المشرق كلها. وعند مثوله لديه، لم يسجدوا أمامه، وكان عنده جمع من العظماء والحكام. فسألهم آذار شابور وقال لهم: "هل أنتم

مسيحيون؟" فأجاب القديسون: "أجل، إننا نمسيحيون ونعبد الإله الواحد رب الكل." فقال لهم: "إنكم رجال طاعنون في السن، ويبدو لي من ملامحكم إنكم قد عانيتم عذاباً شديداً. فأشير عليكم أن تشفقوا على أنفسكم لئلا تموتوا شر ميتة. فاسجدوا للشمس واخضعوا لأمر الملك، لأن الحكم صادر بحق كل من يسير على نهجكم." فأجابه الطوباوي عقبشما: "أعلم أن لك شؤوناً كثيرةً في السلطة الأثيمة التي أنت تقلدها. فلا تتوقف وتنشغل بإسداء المشورة السيئة إلينا، ولا يخطرن ببالك إن أحداً منا سيسمعك. فأسرع واصدر أمرك بالموت أو العذابات دون إبطاء. فإننا لسنا نخشى وعيدك ولن نرضخ لأمر ملكك لنتخلى عم وحقيقة إلهنا لا في حياتنا ولا في موتنا." فقال له الأثيم: "إن الموت يحرركم ، ولهذا تتمنونه. ولكن لا أمنحكم إياه، حتى أريكم موتكم نصب أعينكم ثم أقتلكم لتكونوا عبرة ترعب السحرة من بني مذهبكم." فقال له عقبشما: "إننا لا نخاف من تعذيباتك ولا من تهديداتك أو من سيفك. فإن الله الذي قوانا إلى الآن وسط العذابات التي أنزلها بنا رفاقك الأثمة، هو الذي سيقوينا الآن أيضاً أمامك. فجرب ما شئت من العذابات على شيخوختنا واختبر صبرنا، لتقف على حقيقتنا وتتحقق من ضلالك." فاعترت الحاكم سورة غضب عارمة، وأمر بأن يأتوا من السوق بسبعة أزواج من السياط اطرية الجديدة، ثم قال للشهداء: "أقسم بالشمس الإله وبحظ شابور ملك الملوك، إنكم إن لم تمتثلوا أوامري، فإني سأعبث بأجسادكم وأمرغ شيخوختكم في الدم ولن شفق على جسدكم، بل سأمزقه بهذه السياط حتى بعد موتكم، لكي لا يبقى شيء منه." فقال له عقبشما: "لأنك أقسمت بما ليس إلها، ووعدت بمن لا حظظ له، فإني أخشى أن لا تنجز قسمك. أما نحن فعلى حقيقة إيماننا لصامدون، سواءاً في الحياة أو الموت فجسدنا هو بين يديك، أما نفسنا فنستودعها لله. فأفعل ما شئت عاجلاً، لأننا إياه نتوقع."

وإذ ذاكك أمر الحاكم مغضباً بطرح الطوباوي عقبشما أرضاً ويربط ذراعيه. وأخذ خمسة عشر رجلاً يسحبون ذراعاً وخمسة عشر أخرى، وشرع رجلان ينهالان عليه ضرباً بالسياط على ظهره وصدره يمزقون جسمه تمزيقاً، حتى أخذت لحمانه تتناثر مع الدماء. ولما سيئل أيضاً بأنه سيمنح الحياة إذا امتثل أمر الملك، أجابهم القديس بكل ما تسنى له من القوة وقال: "إني أحتقر إرادة الملك الأثيم، وإني ثابت في إرادة إلهي القدوس." ثم خارت قواه ولم يستطع من بعد إلى الكلام سبيلاً. وظلوا هم يصرخون وينادونه ويعدونه بالنجاة إذا رضخ لأمر الملك. أما الطوباوي فكان يومئ برأسه نحو السماء مشيراً إلى رفض هذا العرض المخوزي. وفي وسط هذه الآلام الهائلة، فاضت روح القديس، بينما كانت الضربات تتواصل على جسده حتى انخلعت مفاصله وتناثرت أشلاؤه بالضرب والسحب الأليم. ولما تحققوا من أنه قد فارق الحياة، كفوا عن لتعذيب، فسقطت جثته على الحضيض. وجروها ورموا بها خارج المدينة

وأقاموا عليها حراساً. إلا أنها سرقت بعد ثلاث أيام بحيلة دبرتها بنت ملك أرمينية التي كانت رهينة في حصن مادي.

وكان استشهاد عقبشما في العاشر من تشرين الأول.

وبعده أحضروا الطوباوي يوسف. فقال له الحاكم آذار شابور: "رأيت كيف مات رفيقك الجاهل شر ميتة لعدم طاعته أمر الملك؟ فالآن أطعنا أنت كرجل حكيم وأسجد للشمس وأنجز ما يأمرك به الملك، فتحيا وتنجو من الموت الأليم الذي يهددك." فأجابه يوسف:: "إني لا اسجد للشمس لأنها ليست إلهاً، ولا أنجز ما يأمر به الملك، لأن أوامره شريرة، ولا أستبدل إلهنا الخالق بآلهتكم المخلوقة. فأفعل ما بدا لك." وإذ ذاك أوعز الحاكم إلى الرجال الثلاثين الأولين في سحبه من ذراعيه، وأمر الجلادين بضربه بالسياط، حتى أضحى جسمه كله جرحاً واحداً. وكان بين الفينة والفينة يكررون عليه الدعوة بالانصياع لأوامر الملك، ولكن دون جدوى. وبعد أن نكلوا به، أغمي عليه وظنوا أنه فارق الحياة، فتركوه مجند لا على الحضيض، ثم جروه ورموا به خارجاً. ولما علموا بعد حين إنه ما زال على قيد الحياة، أمروا بالاحتفاظ به وبحراسته.

ثم أحضروا إيثالاها. فقال له الحاكم الأثيم: "لا تكن سخيف الرأي نظير رفيقيك اللذين أميتا شر ميتة، بل امتثل أمر الملك وأسجد للشمس الإله، فتحيا وتحظى بالإكرام والعطايا الكثيرة.ط فأجابه إثيلاها: "إني لمتعجب منك كم أنك غبي لا تتبين. حقاً إنك بهيمة لا عقل لها. فإن هذين اللذين كانا أكبر مني سناً قد احتملا واكتسبا المجد الأبدي، أفلا ينبغي لي أن أكون أكثر منهما بسالة، فأنال معهما اسماً صالحاً وإكليلاً جليلاً لا يعتريه فساد؟ فأنا إذن ثابت في حقيقتي ولست أطيع أمر ملكك الذي هو عدو كل الخيرات ومنافٍ لجميع الأفضل." ولما سمع الحاكم إهانة الملك، ثار ثأره وامتقع لونه وأمر بأن يجره عشرون رجلاً من إحدى ذراعيه وعشرون من الأخرى، وأوعز إلى الجلادين في الانهيال عليه ضرباً لا رحمة فيه، حتى تناثرت لحمانه وتمزق جسمه كله. أما هذا الشهيد المظفر فكان يقول بأعلى صوته: "ما أضعف تعذيباتك وأوهنها، أيها الدنس الحقير! ألا جدد المعذبين لكي تزداد نفسي ثباتاً وجسدي قوة وبأساً." وإذ ذاك ألتفت الحاكم إلى من حوله وقال لهم: "ترى ما هذا الأمر الغريب؟ وما الذي يحدد هؤلاء السحرة إلى الاشتياق إلى الموت اشتياق الجائع إلى الخبز والماء." فأجابه هؤلاء: "إنما يذعنون على تعليمهم القائل بوجود عالم آخر غير منظور."... وانخلعت أعضاء المجاهد كلها من جراء الضرب، وتصدعت مفاصله ومرافقه وتفككت عظامه، ولم يبق بينها سوى أربطة واهية من الجلد فقط. وبينما كان رجلان يسندانه، قال له الحاكم: "إذا رضخت لأمر الملك، فإني سأوعز إلى الأطباء في معالجتك حتى تنال الشفاء." فقال له الطوباوي: "إن ما قلته عن الأدوية لأمر هين، ولكنك حتى ولو قلت كلمة واحدة فأشفى عن أصدقك فأتخلى عن إلهي الذي خلق

السماء والأرض، وأسجد للشمس خليقته التي أقامها لخدمة الإنسان." فقال له الحاكم: "وهل بقي فيك شيء صحيح حتى إن أردت الرضوخ لأمر الملك ونلت الحياة؟ ولكني سأجعلكم عبرة لجميع الوقحين أمثالكم." فقال له القديس: "حسناً تنبأت رغماً عنك. أجل، أجل سنكون عبرة حسنة لجميع الصادقين أمثالنا، وإننا سنخلف انتصاراً جليلاً للأجيال القادمة وهو جهادنا العظيم وثباتنا حتى النصر والإكليل الذي لا يعتريه فساد المضفور والمحفوظ لشيخوختنا التي تكتسب شباباً في مجد ربنا في اليوم الأخير."

حينئذ دعا آذار شابور حاكم حدياب آذار كركشيد وقال له: "إذا كان هذان الضالان ما زالا على قيد الحياة، فخذهما وأنطلق إلى بلادك وهناك ليرجمهم بنو مذهبهم. إني لهذا تركتهم ولم أقتلهم ههنا." فأعدوا حمارين لنقلهما. فشدوهما على الحمارين كحمل لا حياة فيه، وربطوهما بحبال لئلا يسقطا لكونهما غير قادرين على سند ذاتهما على ظهر المطايا لما أصاب جسديهما من التمزيق والخلع والتعذيب. وكلما بلغوا مرحلة للإستراحة، كان يرمون بهما على الأرض بحقد، كما يرمي حمل الحطب الو الحجارة. وبلغوا بهما إلى مدينة أربيل، وزجوهما في غياهب السجن مثل جثث هامدة تجرري الدماء والقيح من جروحهما الكثيرة. وأقاموا على السجن حراساً وأمروا بالا يدعوا أحد من بني مذهبهما يدخل عليهما.

وكانت في المدينة امرأة شريفة ومؤمنة تدعى يزداندوخت، وقد ورد ذكرها سابقاً إذ قلنا كيف كانت تكرم الشهداء وتهتم بهم وبجميع الأسرى المسيحيين في أربيل. فما إن سمعت بخبر هذين الشهيدين، حتى استدعت رئيس السجن عندها، وقدمت له رشوة دسمة، والتمست منه كي يسمح بأن ينقل الشهيدان عندها لتراهما. فوعدها خائفاً.فأرسلت عبيدها إلى السجن، ونقلوا الشهيدين إلى دارها ليلاً. فأتت بلفائف وأدوية عالجت بها جروحهما، وكانت تقبل أياديهما المخلوعة وأذرعهما المتفككة، وتبكي بمرارة على الضيقات التي احتملتها هذان الشخل\أن القديسان المطروحان أمامها دون حراك. فقال لها الطوباوي يوسف: "إنك لست تتصرفين تصرف امرأة كاملة ببكائك علينا." فقالت له: "إني لست أبكي على موتكما. فإنها لكانت لي فرحة عظيمة لو أنكما قتلتما على الفور. ولكني أتضايق لكونكما مكثتما في هذا العذاب الأليم." أما هو فقال لها: "إن هذا الضيق كله راحة. فقد قال الرب: ما أضيق وأحرج الطريق المؤدي إلى الحياة، وقليلون هم الذين يجدونه[١٢٥]. وقال أيضاً: من يصبر إلى المنتهى فهو يخلص[١٢٦]. وقال الرسول عن نفسه: إني جلدت ثلاث (خمس) مرات، ورجمت مرة بالحجارة[١٢٧]. فالأناس

---

[١٢٥] متى ١٤/٧.

[١٢٦] متى ٢٣/١٠.

[١٢٧] ٢قور ٢٤/١١.

الذين لا يستحقهم العالم كانوا في ضيق كبير. أما أنت فأفرحي كمؤمنة. فإنه كلما طال جهاد المسيحيين وصبرهم، ازدادت مكافأتهم وعظم إكليلهم." وقبل انبلاج الفجر، أعادهما العبيد إلى السجن حيث مكثا ستة أشهر يحتملون عذابات هائلة، حتى شهر نيسان.

واستبدل الحاكم الأول، وعين مكانه شخص آخر يدعى زرادوشت، وكان يفوق سلفه شراسة وطغياناً. وقد أجلب معه أمراً صارماً من الملك العاتي يقضي بأن يرجم المسيحيون العلمانيون رؤساءهم بالحجارة. فعم الرعب منطقة كلها، ولاذ كثير من الأشراف بالفرار، واختبأ المؤمنون القلائل في الجبال والأماكن الخفية لئلا يضطروا إلى سفك الدم الزكي. ولما وصل زرادوشت الأثيم المنطقة ودخل معبد النار للسجود، قال له سندة المعبد إن ثمة ساحرين من الذين يدعون مسيحيين، وقد مضى عليهما في السجن ثلاث سنين ونصف السنة، وقد عذبهما الحاكم آذار كركشيد مر العذاب، ولكنهما لم يرضخا لإرادته. فأمر الحاكم الجديد بإحضارهما على الفور. ولما حضرا. وجها إليهما كلاماً عنيفاً وقال لهما: "أيها الشعب المتمرد الوقح، ألم يفزعكم حتى الآن أمر الملك العظيم شابور سيد الأرض كلها الذي دمر ممالك عظيمة وغزى المدن والقلاع، واخضع البلدان العديدة، واستولى على جميع المناطق؟ وفيما أنتم تسكنون بلاده ومدنه، تتمردون عليه وتحتقرون قوانينه وأوامره؟" فقاتل له يوسف بأعلى صوته: "إن كنا متمردين على الملك كما قلت. وأعداء كما زعمت، فلماذا لم يشن علينا حرباً ويجند ضدنا جيشاً مهيأ بجميع العدد والأعتدة، كما فعل ضد الشعوب التي ذكرتها، بل اكتفى بإرسالك أنت الجبان الضعيف الذي لم تخرج مع الرجال البواسل في المباريات، بل أمضيت أيامك بالبطالة والانهماك في اللذات. لذا عليك أن تخجل لأنك لم تأتي لقمع المتمردين على الملك، بل لكي تخدع الضعفاء وتضلهم ليبتعدوا عن الله، أما نحن، فلن نتسرب مرارتك الفاسدة في آذاننا، ولن تنال من حقيقتنا ومحبتنا للرب." فقال الحاكم: "أتظن أيها الوقح إنك باحتقارك لي هذا ستدفعني إلى قطع رأسك على الفور فتنجو من عذابات طويلة. ولكني الآن أسكت أن تحين الفرصةلكي أقوم بما أمرت به." فأجابه القديس: "أعلم أن عوامل الحقد كامنة في قلبك كالأرقم المتعطش إلى اللدغ، وإن جسمك مصاب باليرقان نظير الأفعى السامة الجائعة إلى الخراب. فاكشف إذن عن خيلتك أيها الماكر، وأظهر سلطتك أيها المتمرد، واستل سيفك وبرد غليلك بدمنا الزكي، وأرسلنا سريعاً مع كنوزنا الطائلة إلى الموضع الذي ننتظره، فنذهب إلى الملكوت الذي ينقض مملكتكم ويبطل سلطتكم الزائلة."

إذ ذاك أمر الحاكم بأ يعلقوه منكس الرأس بإبهامي رجليه بأوتار جديدة، ثم انهالوا عليه ضرباً بالسياط على جروحه. فأخذ الدم والصديد يسيلان من صدره وجنبيه وظهره، حتى إن معظم المشاهدين شرعوا ينحنون ويبكون لما يعانيه هذا الشيخ الجليل من الآلام الهائلة. فدنا منه المجوس وأسروا بأذنه قائلين: "إننا ندخلك إلى معبد النار، إن كنت تخجل من الجمع الناظر

إليك، وهناك اسجد للنار سراً فتنجو." إلا أن المجاهد الصنديد قال لهم بأعلى صوته: "ابعدوا عني يا أبناء النار ويا محبي النار. اذهبوا وغذوا النار التي ستحرقكم في جهنم." وظل معلقاً منكس طوال ساعتين وهو يعاني مر العذاب. وبعد ذلك أمر الحاكم بإنزاله وقال له: "ألا تريد أن تحيا أيها الوقح؟" فأجابه القديس: "إني أريد أن أحيا بواسطتك." فقال له الحاكم: "أفتريد أن أمنحك الموت" فقال له يوسف: "إن الموت الذي تنزله بي هو لي حياة، والحياة التي أنالها منك هي موت." فقال الحاكم: "لقد أوشكت الحياة أن تفارق في جسدك، وما تبقى منها سأبيدها بالعذابات التي أجددها عليك." فقال له يوسف: "لا سلطة لك على إبادة النفس. فلقد كتب: لا تخافوا الذي يقتل الجسد ولا يستطيع قتل النفس. بل خافوا بالأحرى ممن يقتل الجسد والنفس ويلقيهما في جهنم[١٢٨]. فقد مارست سلطتك بالتنكيل بجسدي، ولكنك لست قادراً على منع نفسي من الرجاؤ الصالح ومن القيامة الموعودة لنا التي فيها سيكون لكم أنتم الأثمة البكاء وصريف السنان مدى الأبدية." فقال له الأثيم ساخراً: "إن كان الأمر هناك كذلك، فأي عقاب ستنزل بي؟" فقال له الطوباوي: "إن ربنا الوديع قال لنا: أحبوا أعداءكم وباركوا من يلعنكم، وأحسنوا من يبغضكم ويضطهدكم"[١٢٩] فأضاف الأثيم هازئاً: "فستحسن إذن إلي هناك عوض الشرور التي ألحقها بك ههنا؟" فقال له القديس: "ليس في العالم الآخر مجال ليحسن المرء إلى غيره. بل إني في هذا العالم أصلي من أجلك لكي تعود إلى الله فيترحم عليك، وتعلم إنه هو الإله ولا إله سواه." قال له الحاكم: "دع عنك شؤون ذلك العالم، فإني مرسلك إليه الآن لم ترضخ لإرادة الملك." قال القديس: "إنما أمنيتي أيضاً هي أن ترسلني إلى ذلك العالم الذي في سبيله أحتمل هذه العذابات." قال الأثيم: "إني مزمع أن أرعب الكثيرين بمنظرك." قال القديس: "إني لقد انتصرت في ما أنزلته من العذابات، وسأصبر على ما تجلبه علي، وأترك برهاناً حسناً للصغار والشباب الذين ينظرون إلى شيخوختي، لكي يتشجعوا ويسخروا من كبريائك التي انتصرت عليها أنا الشيخ بقوة الله. فإني لم أستسلم ولن أستسلم إلى أرادتك حتى الرمق الأخير من حياتي."

إذ ذاك أمر الحاكم بحمله من أمامه، إذ لم يكن يسعه السير على قدميه. فأعادوه إلى السجن.

وبعد ذلك، قال الحاكم لإيثالاها: "أأنت أيضاً على هذا الرأي المتمرد، ولا تطيع وتسجد معنا للشمس فتحيا." فأجابه إيثالاها: "وحياة المسيح ابن الله الذي أنا متكل عليه، إني أكثر تمسكاً من الجميع بهذا الرأي الصحيح. فإني لا أستبدل الخالق بالخلائق، ولن أقدم السجود الواجب للخالق وأعطيه لأعمال يديه." فأمر الحاكم بتعليقه مثل رفيقه. وبينما كان معلقاً سقاسي أفداح الآلام

---

[١٢٨] متى ١٠/٢٨

[١٢٩] متى ٥٥/٤٤

وقتاً طويلاً، رفع صوته وقال: "إني مسيحي، فليسمع الجميع إني مسيحي، ومن أجل هذا الاسم أحتمل هذه العذابات."

وكان رجل مانوي مسجوناً هناك. فقدموه هو أيضاً للعذابات والضربات. وسرعان ما جحد تعليمه الضال بإيمانه المزيف. فأنزلوا مار إيثالاها ليرى كيف رضخ المانوي لإرادتهم. فلما رآه إيثالاها أنه ثقد وقتل النمل الذي يدعوه المانويون نفساً حية، تهلل الطوباوي وطفح البشر على محياه، وأخذ يضرب الأرض بقدميه ويقفز وتهتز يداه اليابستان. ثم صرخ بأعلى صوته وقال: "الويل لماني، الويل له، فإنه خاب وخيب معه إلهه الوهمي. طوبى لي، طوبى لي، إذ انتصرت وانتصر بي المسيح القدوس ابن مريم الموجود من البدء إلى الأبد."

لما سمع الحاكم هذه الأقوال، اضطرب وأمر بجلد الطوباوي بقضبان قاسية، حتى خارت قواه وأغمي عليه، فجروه ورموا به خارجاً وهو عريان. إلا أن واحداً من المجوس أخذته الشفقة عليه فألقى ردائه عليه وستره. ولما رأى رفاقه ذلك، وشوا به إلى الحاكم، فأمر بجلده مائتي جلدة حتى أغمي عليه... ولعل الله ينظر إلى عمله الصالح هذا ويترحم عليه ويمنحه الخلاص. أما إيثالاها فحملوه وألقوه في السجن من جديد.

وبعد خمسة أيام، أقبل شابور طمثابور إلى قريته "بيث طباحا"[١٣٠]. فأخذ الحاكم السجينين وأحضرهما أمامه. فقال طمثابور لهما: "إني مشفق على شيخوختكما، فكلا الدم وأنا أطلق سراحكما." فأجابه القديسان سوية: "كلوا أنتم الدم، فإنكم تسفكون الدم سراً وعلناً." فأمر بجلدهما. فدنا منهما أناس يتظاهرون بالشفقة عليهما وقالوا لهما: "إننا نقدم لكما عصير العنب عوض الدم فأشرباه لئلا تموتا." فأجاب القديسان: "معاذ الله أن نلحق مذمة بشيخوختنا، أو أن نخفي حقيقة إيماننا فنكون عثرة للآخرين." فجلدا ثانية أربعين جلدة. ثم قال لهما هذا الأثيم: "يؤتى لكما بلحم طاهر، فكلا منه وأطلق سبيلكما." فقالى له: "إن اللحم الطاهر الذي أنت تعطيه هو دنس، والرضوخ لإرادتك أثم ونفاق. أما نحن فلا شأن لنا من جميع هذه الأمور، والموت لنا خير منها جميعاً."

فتشاور الحاكم وطمشابور فيما بينهما. وقر رأيهما على أن يجمعا أشراف المسيحيين في أربيل وجوارها ليرجموا أحدهما هناك. فألقي القبض على جمع غفير من الرجال والنساء والصبيان ليدفعوهم إلى اقتراف هذه الجريمة. ومن جملة الذين ألقي القبض عليهم كانت الشريفة يزداندوخت. وأتوا بالقديس يوسف أمام طمشابور وأقاموه في الوسط وقد تغيرت ملامحه حتى أضحى مثل الخيال، واضطر رجل أن يسنده لئلا يهار. وكان مع الحاكم جمع غفير من العظماء والأشراف والمجوس. فأوعز يوسف إلى الحاكم في الدنو منه كأنه يريد أن يقول له

---

[١٣٠] بيث طباحا موقع كان يطل بالقرب من أربيل، وهو اسم يعني "موضع الذبح" أي المجزرة.

شيئاً. فنهض الأثيم باهتمام، ظاناً أن يوسف سيرضخ لإرادته، ودنا منه ليخاطبه. ولكن يوسف ملأ فمه بصاقاً وقذفه على وجه الحاكم وقال له: "ألا تخجل أيها الدنس القذر من أن تجلبني للإستنطاق أنا الذي كدت أفارق الحياة؟ ألا تعلم مما أحتمله من العذابات إني ثابت على حقيقة إيماني حتى الموت؟" فضحك طمشابور والعظماء ضحكاً شديداً على الحاكم الذي اعتراه الخجل، وقالوا له: "من اضطرك إلى الدنو منه؟ط وفي تلك الساعة أخرجوه لكي يرجم، وأخرجوا نحو خمسمائة رجل عنوة ليقوموا برجمه. وحفروا حفرة في الأرض أجلسوه فيها موثوقاً. ثم أخذوا يرغمون الناس على قذفه بالحجارة. واضطروا يزداندوخت ذاتها إلى ذلك. ولكنها رفضت قائلة: "لم يسبق للنساء أنهن قتلن الرجال قط، كما أنتم ترغموننا على ذلك. لقد تركتم محاربة الأعداء وعكفتم على سفك دماء المواطنين المسالمين." فربطوا مخرزاً في طرف قصبة وقالوا لها: "إن كنت لا ترجمينه بحجر، فخذي هذا وأغريزه في جسمه، لنقول عنك إنك امتثلت أمر الملك." فشرعت تبكي وتنتحب وتقول بأعلى صوتها: "خير لي من أن أغرزه في جسمي من أن أغرزه جسم جندي المسيح الباسل. فإذا أردتم فاقتلوني أنا أيضاً معه. ولكن معاذ الله أن أشترك معكم في سفك الدم الزكي." وأخذت الحجارة تنهال عليه وتهشمه، حتى اختلط دم الطوباوي بمخه، وارتفعت فوقه الحجارة وغطته، ما خلا رأسه الذي ظل ظاهراً. حينئذ أشفق عليه أحد العظماء، فأوعز إلى أحد الرجال في أن يرمي حجرة كبيرة على رأسه. ففعل، وفي الحال تهشم رأسه وفاضت روحه. وأقاموا رجالاً يحرسون جثته ثلاثة أيام. وفي صباح اليوم الرابع، حدثت عاصفة شديدة رافقتها البروق والرعود والبرد الشديد والرياح العاصفة، حتى استعوذ الرعب والهلع على قلوب الجميع، وأصيب الحراس أنفسهم بالنار والكبريت الهاطل هناك. وفي أثناء تلك الفوضى، رفعت جثة القديس واختفت، ولم ير لها أثر بعد ذلك.

استشهد هذا الطوباوي في جمعة الأسبوع الأول من سابوع الفنطوقسطي (الرسل). أما إيثالاها، فقد اقتاده طمشابور إلى منطقة بيث نوهدرا إلى قرية كبيرة تدعى "دستجرد"[١٣١]. وهناك أيضاً أتوا برئيس البلد وأشراف المسيحيين رجالاً ونساء، وأخرج الطوباوي خارج البيلدة وربطوه في موضع مرتفع، ثم اضطروا هؤلاء الناس إلى رجمه حتى فارق الحياة. وأقاموا حراساً على جثته مدة يومين. وفي الليلة الثالثة، جاء مسيحيو المنطقة وسرقوا جثته ودفنوها بإكرام حسبما تسنى لهم.

---

[١٣١] "دستجرد" اسم أطلق على أماكن عديدة. وهنا يطلق على موقع قديم أقيمت فيه مدينة دهوك الحالية في شمال العراق. وهناك على تلة مشرفة على قصبة دهوك أقيمت كنيسة على اسم الشهيد مار إيثالاها، فهم يحتفلون بذكرى هذا الشهيد ويقيمون له كل سنة عيداً شعبياً كبيراً (شيرا)

وفي تلك الأيام جرت أعجوبة باهرة في موضع رجمه. فقد نمت فيه شجرة آس نمواً سريعاً أصبحت مصدر بركات لسكان المنطقة المؤمنين مدة خمس سنين. وبعد ذلك دفع الحسد قوماً فاتأصلوها. وقد أكد رواة صادقون إنهم رأوا مرات عديدة في موضع الرجم فرقاً من الملائكة صاعدين نازلين ليلاً وهم يسبحون الله العلي العظيم.

استشهد هذا القديس في الأربعاء من الاسبوع الأخير من سابوع الفنطقوسطي (الرسل).

جهاد مار سابا الفتى ورفاقه الشهداء[١٣٢]

حينما استولى شابور الثاني منطقة بيث عربايي، أقام عليها حاكمين من قرابته، وعهد إلى كل منهما بالحكم إلى كل منهما بالحكم على قسم من المنطقة. وحينما افتتح سنة ٣٦٣ بلاد بث زبدي وقتل فيها كثيرين، وسبى عدداً غفيراً من أهلها إلى منطقة الأهواز، أخذ أحد الحاكمين وهو "زميسب" قوماً من هؤلاء المسبيين المسيحيين وأسكنهم في ولايته.

في تلك الغضون، أصدر شابور أمراً يقضي بقتل المسيحيين الذين يرفضون السجود للشمس والانضمام إلى ديانة المجوس. فدعا الحاكم المسيحيين الساكنين في ولايته وبلغهم أمر الملك، وناشدهم بالامتثال له. ولكنهم رفضوا العرض رفضاً باتاً وناقشوا الحاكم وابدوا تمسكهم الشديد بديانتهم. وإذ ذاك أمر الحاكم بتعذيبهم يدعى "كوبي". غير إن المسيحيين كانوا صامدين وهم يواظبون على الصلاة وسط محنتهم القاسية.

وكان للحاكم ابن وحيد يدعى "بيركوشنسف" قد تربى بصحبة صبي من المسيحيين المنفيين اسمه انسطاس، وارتبط معه بمودة عميقة. وكان الفتى بيركوشنسف يتردد مع صديقه إلى الكنيسة ويتلقة تعليم المسيحيين ويرتل المزامير ويتلوا الصلوات معهم، حتى اسنهواه، الدين المسيحي. وبينما كان ذات ليلة نائماً، ظهر له الشهيد مار قرياقوس ودعاه باسمه وقال له: "يا أخي بيركوشنسف، ذهب إلى الشهداء، فأنهم ينتظرونك." وما أن نهض من نومه، حتى توجه إلى الشهداء وألتمس منهم أن يقبلوه بين عداد من المؤمنين، وقص عليهم ما شاهده وسمعه في الرؤيا. وفي بادئ الأمر، رفض المسيحيون طلبه. ولكنهم نزلوا عند رغبته لما رأوا فيه من صدق النية وثبات العزيمة. فمنحوه سر العماد، وناولوه القربان ودعوا اسمه "سابا".

وحينما بلغ الحاكم أمر تنصر ابنه، استحوذ عليه وعلى امرأته حزن عميق وغضب شديد على المسيحيين واتهمهم بأنهم قد سحروا ولده الوحيد، واستدعاهم وانهال عليهم شتماً وإهانة لكونهم تجرأوا وتلمذوا ابنه. فأجابه المسيحيون وقالوا له: "إنما هو ابنك الذي اضطرنا إلى جعله مسيحياً، وإن الأمر كان من شأنه أن يوليك فرحاً لأن أبنك تخلى عن عبادة المخلوقات وتمسك

---

[١٣٢] إني أنجز ههنا ما ورد في كتاب شهداء المشرق ١ص ٣٩٨- ٤١٥.

بعبادة الخالق." فثار ثأر الحاكم، وأمر بجلدهم حتى تناثرت لحمانهم على الأرض. ثم أمر بهدم كنيستهم وبقتلهم جميعاً. وأوعز إلى الأثيم "كوبي" في تنفيذ هذا الأمر. فقتلهم جميعاً وألقى جثثهم أمام دار أحد المسيحيين اسمه "تاديق". وكان بين الشهداء شخص اسمه إيثالاها ما يزال في رمق من الحياة. فأخذه تاديق إلى داره، وعالجه واهتم به.

ثم أمر "زميسب" بإحضار ابنه "بيركوشنسف". وما أن دخل عليه حتى أخذ الحاكم يبكي وينوح ويناشد الفتى بالعدول عن رأيه والعودة إلى ديانة آبائه. ألا إن الفنى ضل صامداً في رأيه، وقال لأبيه أن يكف عن البكاء والحزن، إذ لا جدوى منهما، ولا سبيل إلى العودة عن عبادة الإله الحق. واستخدم الحاكم كل ما تيسر من الوسائل لإقناع أبيه، ولكن لم يجن من ذلك فائدة. إذ ظل الفتى ثابتاً في إيمانه.

وما أن بلغ الخبر شابور الملك، حتى كتب إلى عظماء المقاطعة وأوعز إليهم في احضار بيركوشنسف وفي بذل قصارى جهدهم في سبيل إرجاعه إلى ديانة المجوس، وتعذيبه وقتله إذا ظل مصراً على رأيه. فأحضروا بيركوشنسف وأخذوا يناشدونه بأن يجحد الدين المسيحي، امتثالاً لأمر الملك وصوناً لكرامة والده وعشيرته. فأجابهم الفتى بشجاعة وقال: "لو أدركتم ما في الدين المسيحي من الحقيقة والقوة الإلهية، لما ترددتم من احتمال كل المشقات في سبيله." فانتهروه قائلين: "أو تريد أن تحملنا نحن أيضاً على اتباع هؤلاء السحرة في غيهم؟ فالأولى بك أن تسمع إلى نصيحتنا وتنقذ نفسك من الموت وتجنب والدك الخزي والعار." فقال لهم الفتى: "إن كلامي الأول والأخير هو إني مسيحي، ولن أرتد عن مذهبي القويم." فصاحوا به مغضبين وهددوه وتلوا رسالة الملك عل مسامعه لكي يخيفوه بها. ولكنه شرع يضحك ويقول: "إن كان هذا الأمر ملككم، فلم تتأخرون عن إنجازه؟"

وإذ ذاك فوضوا إلى اللئيم "كوبي" أمر تعذيب الفتى إلى أن يذعن لإرادتهم. ثم انصرفوا إلى منازلهم وهم في حيرة من أمرهم. فأمر كوبي بجلد القديس. فطرح على الأرض، وانهالوا عليه أربعين من جلادين ومزقوا جسمه بسيور جديدة، حتى أغمي عليه. فحملوه ورموا به في السجن، وأوصدوا أبواب السجن وختمت بختم كوبي... وفي الليل، تراءى للفتى ملاك الرب ومار قرياقوس الشهيد. فدنا الشهيد من سابا وأمسكه بيده اليمنى وأقامه، وضمد الملاك جراحه وأعطاه طعاماً، ثم شجعاه قائلين له: "لا تخف! فإنك ستنتصر قريباً على أعدائك. وقد أوشكت أن تبلغ ميناء الحياة والراحة، حيث تعطى السعادة الأبدية لجميع الذين يحتملون العذابات من اجل اسم ربهم القدوس." ثم انصرفا وتركا الفتى في غمرة فرح سماوي لا يوصف.

ولما سمع تاديق المؤمن بما أصاب الفتى القديس من العذابات، أخذ طعاماً وتوجه إلى السجن بصحبة إيثالاها، والتمسا من السجان الدخول إلى السجن. ولكنه اعتذر قائلاً: "إني لا أتمكن

من الدخول لأن الأبواب مختومة. ولكني رأيت في منتصف الليل نوراً ساطعاً أضاء الموضع الذي هو فيه، وسمعت أصوات أناس يكلمونه."

ونالت أمه المسكينة السماح بإحضاره لديها، وشرعت تناشده بالعودة عن رأيه والانقياد لأوامر الملك، وهي تبكي وتتوسل إليه بهذا الشأن. ولكن سابا خاطبها بشجاعة وقال لها: "لا جدوى من بكائك، يا أماه، فالأجدى لك أن تنبذي عبادة الأصنام وترجعي إلى عبادة الله الحي وتحصلي على السعادة المعدة لكل الذين يعبدونه ويحفظون وصاياه بإخلاص." فصرخت الوالدة وقالت: "أو تريد ا توقعني أنا أيضاً في مكائد أولئك السحرة الذين أغووك؟" فأجابها انسطاس خادم بيركوشنسف وصديقه: "لو اتبعت آراء ابنك لكنت سعيدة. فكفي الآن عن البكاء والنحيب ولا تزيدي أشجاننا." فثار ثأرها وانقضت على انسطاس وعضته واقتطعت قطعة من لحمه بأسنانها وقالت له: "إنما أنت أيها الشقي وأبواك الملعونان قد جلبتم علينا هذه المصيبة الأليمة." فقال لها ابنها: "لا تعاملي هذا الفتى بهذه المعاملة، فإنما قال الحق والصواب." أما هي فطردت انسطاس، وانهالت على ابنها تقبله وتبكي وتتوسل إليه قائلة: "اشفق يا إبني على شبابك وعلينا، إذ ليس لنا ابن آخر غيرك يكون سنداً لشيخوهتنا." فطلب سابا أن تستدعي انسطاس لديها ليكون عزيزاً عليه. فأرسلت واستدعت أنسطاس وكوبي، ثم أسرت إلى كوبي بالتنكيل بانسطاس وقتله، لكونه هو سبب المصيبة التي حلت بها.

فاقتاد كوبي سابا وانسطاس، وأمر بتعذيب أنسطاس، لعله بذلك يرد بيركوشنسف عن رأيه. وبعد أن جلد أنسطاس جلداً قاسياً، أمر كوبي بقطع رأسه وإلقاء جثته في بشر كانت هناك على مقربة من دار تاديق. أما سابا فظل ثابتاً في عزمه وشجاعته رغم ما تلقاه من ضروب العذابات من كوبي الأثيم، ورغم ما بلذته أمه من الجهود والدموع في سبيل إرجاعه من عزمه.

واستدعاه أبوه أيضاً وعانقه وقبله والتمس منه بدموع حارة أن يتخلى ع الديانة المسيحية. فقال له الفتى: "كفاك البكء، يا أبت، ولا حاجة إلى المزيد من الكلام. فإنني لن أتخل عن يسوع المسيح." فاستحوذ الحزن واليأس على قلب الوالد المسكين. ونزولاً عند نصيحة الأعيان وأهل بيته، ترك الفتى واستدعى "أبورزد" أمين الملك وأمر كوبي باحضار الفتى عندهم. فحضر وهو مثقل بالسلاسل. ولدى دخوله، سجد أمام أبيه والحاضرين معه. وإذ ذاك انهمرت الدموع من مآقي أبورزد والحاضرين لدى مشاهدتهم الفتى وما آلت إليه حاله من الهزال من جرائء التعذيبات التي تلقاها. فنهض الأمين من مكانه، وعانق الفتى وقبله وأجلسه عن يمينه وأمر بفك قيوده ، وبلغه سلام الملك شابور. فسجد الفتى بإكرام لسلام الملك. ثم أخذ أبورزد يخاطبه قائلاً: "لقد وعد الملك بأن يكرمك يمن عليك بعطاياه الجزيلة إذا سجدت للشمس والقمر والنار، يولي أباك إكراماً كبيراً." فأجابه الفتى: "ليحتفظ الملك بإكرامه وهداياه. أما أنا فلست أبغي

سوى كرامة الإله الحق، وله وحده أسجد، وإياه اعبد." وإذ ذاك توعد الأمين بالعذاب والموت. إلا إن الفتى أجابه بشجاعة: "افعل ما شئت، فإني لن أمتثل إرادة ملكك الكافر قط، ولن اسجد للشمس، بل للإله الأحد الحق القادر أن يزيل نورها ومجدها." وإذ ذاك استشاط الأمين غيظاً وأمر بإحضار قضبان شائكة، وأوعز إلى الجلادين في لده بقساوة حتى تمزق جسمه وتناثرت لحمانه. أما الفتى فرفع عينيه إلى السماء وقال: "أيها الرب يسوع المسيح، هلم إلى معونتي في ساعة الضيق هذه." وبعد هذا الجلد الأليم، أمر أبورزد بإلقائهي زنزانة، ونع تقديم الطعام ل أو دخول أحد عليه. فطرح في السجن وهو يقاسي آلاماً مبرحة من جراء جروحه ومن الحر الشديد، إذ كانوا في شهر تموز.

وفي الصباح اليوم التالي، أرسل أبورزد من يتحقق أمر الفتى ويرى هل هو ما يزال على قيد الحياة. فوجد القديس صحيحاً لا جرح فيه. فأحضره أبورزد وقال له: "قل لي يا فتى، من الذي فتح أبواب السجن وأتاك بالأطباء فأبرأك؟" فأجابه سابا: "المسيح الذي أومن به هو الذي أتاني وابرأني، دحضاً لأكاذيب آلهتكم." وإذ ذاك أمر الأمين بربطه على سلم وبجرده دون شفقة. وإذ كان القديس يصلي ويطلب معونة الرب، قال له الأمين متهكماً: "أين المسيح الذي تستنجد به؟ فليأت الآن. وينقذك من يدي." فقال القديس: "إن المسيح قد أعانني وهو لن يتخلى عني. أما أنت فكاف التيه والصلف، فإن نجمك أوشك على الأفول." فأنر الأمين بإعادته إلى السجن، وأوعز إلى المجوس في الدخول عليه لكي يحاولوا إقناعه بالعدول عن رأيه، وأمهلهم عشرة أيام للقيام بهذه المهمة. إلا أن جهود المجوس باءت بالفشل، وظل الفتى ثابتاً في إيمانه.

وفي اليوم الثامن من الأجل المضروب، جاء تاديق وإيثالاها إلى السجن وتمكنا من إقناع السجان ليسمح لهما بحمله إلى منزل تاديق. وهناك غسلا جروحه وضمداها، ومكناه من تناول القربان. وفي الليلة التي أمضاها في دار تاديق، ظهر له مار قرياقوس وقال له: "طب وتهلل يا أخي سابا، لأنك جاهدت جهاد حسناً، وابتهج لأنك ستقتل يوم الجمعة نظير ربك فتنال إكليل الشهادة." فاستيقظ سابا وقص ما شاهده على تاديق وإيثالاها. ففرح الجميع وشكروا الله. وفي الصباح الباكر، عانق تاديق وإيثالاها الفتى سابا وأرجعاه إلى سجنه.

وبعد انقضاء الأيام العشرة المحدودة، أمر أبورزد بإحضار سابا. ولما مثل بين يديه، سأله الأمين هل كان ما يزال على رأيه. ولما أجابه القديس إنه ثابت في عزمه، أمر أبورزد الجلادين بأن يأخذوه ويقتلوه. ولما هم الجلادون بأخذه، حدث اضطراب كبير بين سكان الدار اللذين تشبثوا بالفتى ولم يفسحوا للجلادين مجالاً لأخذه، وكان يصرخون ويقولون لهم: "أخرجونا نحن أيضاً واقتلونا معه." ولما انحنى أبورزد باللائمة على أبيه زميسب، حاول هذا مرة أخرى إقناعه ابنه ورده عن رأيه. ولكن جهوده ذهبت أدراج الرياح. وإذ ذاك تقدم الأب مع جميع أهل داره وعانقوا الفتى وقبلوه باكين منتحبين، ثم سلموه إلى ابورزد وجلاديه.

واقتاد الجلادون سابا إلى أمام دار تاجيق لكي يقتلوه هناك. وإذ ذاك استأذن الفتى أبورزد بأن يسمح له بالصلاة قليلاً، فصلى قائلاً: "أيها الرب القدير، يا سامع صوت الخطأة التائبين، أتضرع إليك أن تقبل صلاة عبدك الخاطئ الذي يصرخ إليك في اللحظة الأخيرة من حياته الأرضية. اقبل يا رب تضرعات اللذين يدعونك باسمي، واحفظهم من جميع الشرور والآفات. وترحم علي أنا الذي جحدت دين آبائي، واعترف بي في السماء كما اعترفت بك على الأرض، واقبلني بين أجواق الشهداء الذين سفكوا دماءهم في سبيلك. كن يا رب حصناً منيعاً لجميع المؤمنين في هذا البلد، الآن وكل أوان وإلى أبد الدهور. آمين."

ولما أنهى صلاته، أوعز أبورزد إلى جنوده في قطع رأسه. إلا إن أحداً منهم لم يقدر على ذلك. وإذ ذاك تقدم كوبي وأبدي استعداده لتنفيذ هذا الأمر. وكان الفتى مربوط اليدين ومنحني الرأس. فاستل كوبي سيفه وانقض على الفتى وضرب عنقه خمس مرات. إلا أن الخوف استحوذ عليه فلم يستطع قطع رأسه. وإذ ذاك قال له الفتى الشهيد بلطف: "لقد أصبحت جباناً أيها الرجل؟ ولم ارتخت يداك؟ أمض في أمرك. فإنما إلى الحياة ترسلني وليس إلى الموت." وإذ ذاك طعنه في جنبه وقتله. وألقوا جثته في الحفرة التي فيها ألقي الشهداء الذين قتلهم أبوه زميسب.

وهكذا استشهد الفتى سابا في السادس عشر من شهر آب، وله من العمر اثنتا عشرة سنة وثمانية أشهر. وقد دامت عذاباته ٤٩٠ يوماً.

وفي تلك الليلة ذاتها أتى تاديق وإيثالاها وأخذ جثة القديس ووضعاها في صندوق من ذهب، ودفنا أيضاً مار انسطاس رفيق القديس سابا.

أما كوبي الأثيم، فقد أصابه مرض خبيث بعد جريمته بأيام قلائل، فانتفخت ذراعاه وجسمه كله وأنتن جسده، فمات أشنع ميتة.

استشهاد مار باسوس وأخته سوسان واسطيفانس ولونجينا

حينما استولى شابور الثاني على منطقة بيث عربايي برمتها، أقام زميسب وإليا عليها، كما قلنا سابقاً. وهذا بدوره عين أبورزد حاكماً على مقاطعة بيث زبدى. ورزق أبورزد توأمين، سمى الابن باسوس والابن سوسان، وبذل الأب قصارى جهده في تربية هذين الطفلين وتهذيبهما حسب الديانة المجوسية.

وكان في دار أبورزد عبد مسيحي أرزني الأصل اسمه اسطيفانس يقوم بخدمة الصبيين. فشرع هذا يكلمهما عن الدين المسيحي ويشرح لهما ما في من الحقيقة الرائعة وما في المجوسية من الضلال والخرافات. فلقيت الحقيقة المسيحية تربة خصبة في قلب الولدين، وأخذا يعكفان على تلاوة المزامير والصوم والصلاة، ونما فيهما الشوق إلى العماد المقدس

والتمساه مرات عديدة من اسطيفانس. فأشار عليهما بالانتظار ريثما يرسل الله لهما كاهناً ليمنحهما هذا السر المقدس.

وفي أحد الأيام، شاء الولدان أن يذهبا إلى الجبال لمشهادة قطعان والدهما. ولما بلغا موضعاً يدعى "راجولا"، ويسعيان في أثره، ولكنه اختفى عن انتظارهما. وإذا بهما يشاهدان في الجبل مغارة صغيرة، فقصداها لعلهما يجدان فيها الأيل. وحينما دخلا المغارة، رأيا فيها شيخاً جليلاً متوشحاً رداء من الشعر الغليظ، وقد أسود لونه وهزل جسمه كثيراً من المعاناة والصوم والصلاة طوال سبع وعشرين سنة. فتولاهما الخوف من منظره وساورتهما فكرة الفرار من ذلك الموضع. وإذا ؟؟؟ يصبح فجأة يهيء منظر ساطع الوجه. وأقبل إليهما وأخذ يشجعهم ويطمئنهما حتى زال روعهما عليه بإكرام. فاستقبلهما الناسك بلطف ومحبة. وأجلسهما إلى جانبيه. وبعد حديث طويل، أطلعه الولدان على رغبتهما الشديدة في العماد، والتمسا منه تلك النعمة بإلحاح. فلبى الكاهن الناسك – واسمه لونجينا – طلبهما ومنحهما العماد.

وعاد الولدان إلى البيت فرحين، وقصا على اسطيفانس ما حدث لهما مع لونجينا. وشرع الثلاثة يترددون بين الفينة والفينة إلى مغارة الناسك ويسترشدون بتعاليمه ونصائحه. وكان الناسك القديس عالماً بما ينتظرهما من الشدائد. وأخذ يقوي عزمهما على التمسك بعبادة الإله الواحد وعلى نبذ١ التعاليم المجوسية. وشجعهما ليكونا مستعدين لاحتمال كل العذابات، حتى الموت، في سبيل الحقيقة. فوعد الولدان بأن يكونا أمينين تجاه المسيح ومستعدين لتجشم كل الضيقات من أجل اسمه.

وأظهر الولدان غير شديدة على الديانة المسيحية، وصارا يرشدان العديد من الفتيان إلى الإيمان الصحيح. وكان أبوهما في تلك المدة قد توجه إلى منطقة فارس وظل فيها تسعة أشهر للقيام بمهام كلفة بها الملك الفارسي. وبعد عودته إلى داره بأيام قليلة، جرى عيد للوثنيين. فدخل أبورزد معبد الآلهة وقدم لها البخور والسجود. ولم يشترك باسوس وسوسان واسطيفانس في تلك العبادة، مما أثار شكوك الوالد واستياءه العميق. وعندما سأل زوجته عن سبب تصرفهم هذا، قالت له: "منذ ذهابك إلى بلاد فارس، لاحظت الولدان يواظبان على الذهاب إلى الجبل عند رعاتنا. وعندما سألتهما عن ذلك، أجاباني: "إننا نفضل هدوء الجبال على العيش بين أقوامك يعكفون على التمسك بالضلال." فأراد الوالد أن يقف على حقيقة الأمر. فدعا أحد عبيده وأرغمه بالتعذيب على اطلاعه على دخيلة الأمر. فباح له العبد بكل شيء تخلصاً من العذاب.

إذ ذاك استشاط أبورزد غيظاً واستدعى باسوس وسأله عن حقيقة ما نقل إليه. فاعترف الولد بكونه مسيحياً وبأنه لن يتخلى عن ديانته الجديدة قط. فانهال الأب عليه ضرباً ورفساً ولطماً، حتى أشفق عليه الحاضرون وأنقذوه من بين يديه والتمسوا منه أن يرجى الأمر إلى يوم آخر،

لئلا يعكر بهجة العيد وأفراحه. ثم مالوا إلى الصبي ودعوه بلطف إلى السجود معهم للآلهة. ولكن باسوس ظل صامداً في إيمانه، ورفض جميع عروضهم، وأعلن إنه لن يسجد إلا ليسوع المسيح، وإنه ينبذ الآلهة وأضاليلها.

ولما سمع المجوس هذا الكلام، جن جنونهم ولم يحاولوا من بعد أن يمنعوا أباه من تعذيبه، بل حرضوه على قتله. إلا إن الحراس أتاحوا له فرصة الهرب. فخرج باسوس مع أخته سوسان وخادمه اسطيفانس، وأنطلقوا مسرعين إلى الناسك. ولكن أبورزاد أحسي بالأمر، فلاحقهم مستلاً سيفه. فأدرك أولاً اسطيفانس، وأنقض عليه وقطعه إرباً إرباً. أما باسوس وسوسان فكانا يستمران في الصعود إلى الجبل. فبلغ الضعف من سوسان مبلغة، حتى خارت قواها وسقطت على الأرض، وبينما كان أخوها يشجعها ويساعدها على النهوض. وإذ بالوالد قد أقبل وهو يصر أسنانه غيظاً. فقال باسوس لأخته: "هوذا قد حان الأوان الذي فيه تنالين إكليل الشهادة، فاستعدي له من كل قلبك." وتركها وأخذ يسرع في الصعود والذهاب إلى مغارة معلمه لونجينا. ولما أدرك الوالد ابنته سوسان، قبض عليها ورضها على أن تكفر بالمسيح. ولكنها أعلنت بشجاعة إنها تكفر بالآلهة الكاذبة وليس بإلهها وخالقها ومخلصها. وإذ ذاك ضرب الوالد عنق ابنته بالسيف وقطع رأسها، فسقطت جثتها على صخرة هناك.

ثم واصل الوالد ملاحقة ابنه الصاعد إلى مغارة الشيخ القديس. ولدى وصوله إلى المغارة، شاهد الناسك واقفاً على مدخلها. فعاجله بضربة سيف حز رأسه. ولما دخل أبورزد إلى المغارة لم يجد فيها ابنه، لأن الإله شق الصخرة فوق المغارة وأخرج منها باسوس وأوصله إلى قمة الجبل. وهناك كعف على الصلاة والاستعداد للاستشهاد. ولما خرج الوالد من المغارة دون العثور على ابنه، أبصر رعاة يرعون غنمهم عند قمة الجبل، فذهب إليهم وسألهم عن ابنه. فقال له واحد منهم: "إني الآن أبصرت ابنك مختفياً في شق صخرة هناك." فأسرع الوالد إلى الموضع المشار إليه. ولما رأى باسوس أباه مقبلاً إليه صرخ قائلاً: "يا رب أقبل روحي.ط والتمس باكياً من أبيه أن يهدئ غضبه ويتخلى عن عبادة الأصنام. إلا إن هذا الوالد كان قد انقلب إلى وحش ضار لا أثر للشفقة في قلبه. فهجم على ابنه، وقطع يديه ثم رأسه ورمى بجثته في ذلك الشق عينه.

وما إن عاد الوالد، حتى ذهب تواً إلى معبد الآلهة ليقدم الذبائح مرضاة لها بقتل ولديه. وإذا بحريق شب في المعبد وقضى على أبورزد وعلى جميع المجوس الذين معه. وكذلك أصاب الراعي المخبر برص شنيع نخر جسمه شيئاً فشيئاً... وأقبل المسيحيون من القرى المجاورة، ودفنوا سوسان ولونجينا عند المغارة. أما باسوس، فدفنوه في موضع قريب من قمة الجبل، وبنوا فيه هيكلاً كبيراً وسموه باسم القديس، وأما يداه فأخذهما أهل "حديل" إلى قريتهم ووضعوهما في مكان لائق.

جرى استشهاد مار باسوس ورفاقه في الحادي عشر من شهر أيار، وكان له ولأخته اثنتا عشر سنة وثلاثة اشهر.

قصة كرخ بيث سلوخ (كركوك) والذين استشهدوا فيها حتى مطلع القرن الخامس

إن مدينة كرخ سلوخ العريقة في القدم قد تنصرت على أيدي القديسين أدي وماري. ويقال إن هذين الرسولين لدى دخولهما إلى المدينة، استقبلهما رجل اسمه يوسف. وحينما تتلمذ واعتمد، بنى كنيسة دعيت "دير يوسف". وأخذت المسيحية تنتشر في المدينة شيئاً فشيئاً. وظلت الديانة المسيحية مزدهرة فيها من عهد الملك بالش حتى السنة العشرين من ملك شابور الأول ابن أردشير. وفي عهد شابور، ظهرت فيها بدعة ماني وأحدثت فيها الكثير من الفوضى الدينية.

وفي عهد الملك الروماني هادريانس[١٣٣]، اشتدت وطأة الاضطهاد على السيحيين في الغرب. ففر منها كثير من الأساقفة والمؤمنين والتجأوا إلى الشرق. وكان من بينهم الأسقف "توقربطي" الذي جاء إلى كرخ سلوخ واستقر فيها وصار أسقفاً لها بأذن من مطران شهر قرد. لأن رئاسة المنطقة كانت تعود إلى أسقف شهر قرد، ويأتي بعده كرسي كرخ سلوخ، ثم لاشوم، والرابع خربة جلال، والخامس دارا، فأقام توقريطي كنيسة في المدسنة ووضع لها النظم والقوانين لتسيير بموجبها وبعد ذلك جدد الأسقف يوحنان هذه الكنيسة.

بعد وفاة توقريطي، خلفه عبد يشوع على كرسي أسقفية المدينة، ثم توالى الأساقفة من بعده حتى مجيء "معنا".

كان "معنا" أسقفاً فاضلاً، وفي عهده أثير اضطهاد على المسيحيين، وهدمت الكنيسة وحدث انقسام مؤسف في صفوف المؤمنين. ولم يتوقف الاضطهاد عند القتل حسب، بل شمل النهب أيضاً والتعذيب والمضايقات. وكانت ثمة بتولات نذرن أنفسهن لله. فوشى بعن المانيون فقتلن في موضع يدعى "حورا" يقع خارج المدينة. وفي موضع استشهاد هؤلاء العذارى والقديسات نبتت تينة أضحت مزار تجري في المعجزات والأشفية. إلا إن المانييون قطعوا هذه الشجرة وأحرقوا جذورها بالنار. لكن الله عاقبهم بداء البرص الذي أبادهم لعد عذاب أليم. وقد دعي الموضع منذ ذلك الحين "بيث تينا". كل سنة، حينما يحتفل المؤمنون بذكرى الجمعة العظيمة، يقومون أيضاً بتطواف مهيب إلى ذلك الموضع.

وحينما اشتدت وطأة الاضطهاد على المسيحيين، شرع بعض المؤمنين مع أسقفهم الباسل والنشط يقيمون بيوتاً صغيرة في المرتفع الواقع بالقرب من المدينة بجانب حقل يدعى "حاصا"، لتكون لهم بمثابة الكنيسة، وأخذوا يقيمون فيها المراسيم الدينية سراً. ولما أحس الوثنيون بذلك،

---

[١٣٣] هادريانس: امبراطور روماني (١١٧– ١٣٨) ابن ترايانس بالتبني وخلفه في الملك.

قصدوا الموضع، وهجموا على الأسقف مثل ذئاب مفترسة وانهالوا عليه ضرباً وتعذيباً. وإذ رأوا إنه لا يذعن لإرادتهم ولا يستبدل الحقيقة بالكذب، رجموه في المرتقى الكائن فوق "حاصا" وقصى شهيداً.

وخلفه اسحق. وكان من عشيرة شهيرة. إلا إن أشراف المدينة الذين يدغون مسيحيين بالاسم فقط قاموا برجمه، مدفوعين إلى ذلك بأمر الملك الفارسي. فاستشهد الطوباوي اسحق في تل فوق قرية "كنار"، في منطقة "نيقاطور –أوانا".

وخلفه في الأسقفية يوحنان الذي حضر مع مار يعقوب أسقف نصيبين ويوحنان أسقف أربيل في مجمع الثلاثمائة والثمانية عشر المقدس (نيقية سنة ٣٢٥).

وخلفه عقبالاها. وكان هذا الطوباوي عاكفاص على الخير والفضية منذ الخامسة عشرة من عمره. وكان يتصدق على المساكين والغرباء بالأموال التي يأخذها من والده سراً. وكان والده يشغل منصباً رفيعاً في بلاط الملك، وقد جحد اتلمسيحية وسجد للنار إرضاءً للملك. . فغادر الطوباوي منزل والده وذهب إلى الغربة. إلا إن أعماله العظيمة مآثره الجليلة دفعت الناس إلى اختياره أسقفاً لمدينة كرخ سلوخ. وما إ تستقر به المقام، حتى شيد الكطنيسة التي كانت قد استؤصلت في عهد "معنا"، وزودها بجميع لوازم الخدمة الدينية. وبعد وفاة والديه، وهب الكنيسة كل ما ورثه عنهما. ونصر وعمد كثيرين. وكذلك تلمذ ونصر قرية "تيشين[١٣٤] التي تدعى بهذا الاسم نظراً إلى القبائل التسعين التي جلبها الملك شابور وأسكنها فيها. وكان خمس هذن القرية يعود إلى والدي الطوباوي وقد ورثهما عنهما.. وسرعان ما انتشر خبر مآثر عقبالاها في البلاد كلها ووصل إلى بهرام بن شابور ملك الفرس[١٣٥]، وكان له ابنة يعذبها الشيطان. فاستدعي عقبالاها إلى هناك ووضع يده على الصبية ونالت الشفاء. فالتمس من الملك ألا تستأصل الكنائس، وأن تبنى المهدومة منها. ولبى الملك رغبته. ودأب القديس على العمل في توطيد الدين المسيحي والقضاء على جميع بذور الشقاق والشكوك بين المسيحيين ودحض البدع الموبوءة واستئصالها من أبرشيته، إلى أن توفاه الله.

واختارت الأبرشية برحذبشبا خلفاً له. وكان يشهد له بالأعمال الصالحة والآيات والمعجزات. وبعد موته خلفه "اخسنانيا" (فيلوكسينس)، وكان رجلاً وديعاً ومتواضعاً وفاضلاً.

وخلف مار شابور براز، وهو من سكان المدينة ذاتها. وكان أيضاً رجلاً جليلاً وفاضلاً ينتمي غبى قبيلة أردشيربن شابوربراز. فتخلى هذا عن منصب الإدارة واعتزل العالم وصار ناسكاً

---

[١٣٤] لقد شملت مدينة كركوك الحالية الموضع المسمى "تسعين" الذي يقع الآن في الجنوب الغربي من محطة القطار.

[١٣٥] قد يكون بهرام الرابع كرنمشاه (٣٨٨– ٣٩٩) ابن شابور الثالث...

في أحد الأديرة. وكان هناك يشتغل مع اخوته الرهبان بكل صفاء وقداسة. ولما دعي إلى الأسقفية، شرع ينتشر الحقيقة ويستأصل البدع، ونصر جميع أهل عشيرته التي كان سلوقس قد أتى بها من "اصطخر" وأسكنها هناك. وبنى في بيتهم أرضاً بيتاً للغرباء فيه يقبل المرضى والمتضايقون والفقراء والمحتاجون. وخصه بأموال تكفي لأجور الأطباء وللوازم الضرورية للذين يقصدونه.

وبعد موته، خلفه يوحنان، وكان ذا سيرة فاضلة وشجاعة عظيمة وكان ذي سيرة فاضلة وشجاعة عظيمة وكاملاً في كلا الأمرين: الكهنوت والشهادة. وكان إذ ذاك يزدجرد (الأول ٣٩٩- ٤٢٠) ملكاً على البلاد الفارسية. وكان هذا الملك في بداية عهده مسالماً مدة سبع سنين. ولكن في السنة الثامنة أثار اضطهاداً على كنيسة الله، وقتل ابنته التي كانت زوجته، وقضى على كثيرين من عظماء مملكته. وذهب إلى منطقة "طشول" وأخضع أمراءها، وبنى فيها مدينة سماها باسمه "شهرستان يزدجرد". وبينما كان هناك، طرد المسيحيين من جيشه، لأنه ظن إن الأعداء إنما ينتظرون عليه بسبب المسيحيين. واختار ثمانية آلاف رجل من المجوس وخصاهم وأقامهم في خدمته. وكان ثمة نظام حميد وهو إنه في الأيام السبعة الأولى من كل شهر، كان أناس معروفون يدخلون على الملك ويرفعون عليه شكوى المظلومين ويطلعونه على الذين لا يحسنون إدارة أمور الدولة. فألغى يزدجرد هذا النظام. حينما عاد من طشول إلى العاصمة، كتب إلى طهمزجرد مونرازبد الذي كان في نصيبين، وكان منظم المجوسية، أن يأخذ معه أذرفراجرد مسؤول منطقة أرزون، وسورين حاكم حديات وبيث كرماي، فيذهب ثلاثتهم إلى كرخ بيث سلوخ ويحاولوا الضغط على المسيحيين في تلك المنطقة لكي يحملوهم على جحود المسيح والسجود للنار. وإذا لم يسجدوا للشمس والنار والماء، فليسلموا إلى التعذيبات والتنكيلات، ثم إلى الموت بالسيف.

فجاء طهمزجرد ورفاقه ودخلوا المدينة في الخامس عشر من تموز، وألقوا القبض على أشراف المدينة ورؤسائها. وعذبوهم ثم زجوا بهم في السجن. وأرسلوا رجالاً لا يعرفون للرحمة معنى وأوصوهم بأن يأتوهم بجميع المسيحيين مخفورين، لكي يهلكوهم بمختلف أنواع الموت، إن لم يجحدوا إيمانهم.

ولما رأى يوحنان أسقف الكرخ ما حدث، كتب إلى بطريرك انطاكيا يلتمس منه الصلاة لأجله ولأجل أبرشيته المنكوبة، لكي يساعدهم الله ويخرجهم من هذا الجهاد الذي دعوا إليه. أما يوحنان ذاته، فمنذ دخول طهمزجرد إلى الكرخ في الخامس عشر من تموز حتى عشرين من آب لم يغادر الكنيسة، بل كان مع رعاياه في الكنيسة، وهم يبتهلون إلى الله ليأتي إلى نجدتهم.. وفي تلك الأيام، أمر طهمزجرد بفضل الراعي عن رعيته وبإلقائه في السجن مع جمع غفير من المسيحيين كانوا قد سبقوه إليه. وهناك أخذوا يضغطون عليه ويضايقونه لكي يسجد

للشمس. وبينما كان يوحنان خارجاً من الكنيسة إلى طريقه إلى السجن، رأى الحاكم طهمزجرد، فقال له بصوت عال: "السلام عليك أيها الحاكم والمحكوم، السلام عليك أيها المؤدب والمؤدب، السلام عليك أيها المجوسي والمعترف والشهيد. إلا زد يا طهمزجرد، وألف لك فرقة لكي تلاقي معها وجه الختن الذي دعانا إلى ملكوته. فأرى إنك مثل شمعون الصفا ستصلب منكس الرأس في سبيل المسيح."وكان بين المسجونين مع الطوباوي يوحنان أناس عظماء من عشيرة شهيرة في الكرخ، منهم اسحق بن هرمزجرد، وأردشير بن أرزانيا، وإبراهيم وسبعة آخرون معهم. فمنهم من ثبت في الحقيقة ومنهم من جحد. أما اسحق بن هرمزجرد، الذي كان في السجن في سبيل الحق، ففتح فاه وقال لطهمزجرد أقوالاً نبوية شبيهة بما قالهالطوباوي يوحنان: (يا طهمزجرد، إنك مزمع أن شهادة حسنة في سبيل الرب، فتكون عوض الذئب حملاً، وتقدم جسدك ذبيحة حية مقدسة مقبولة مرضية عند الله."

وأصدر طمهزجرد أمراً على الوثنيين والمانيون بنهب أموال المسيحيين سكان الكرخ. أما الذين أمروا بالقبض على المسيحيين والمجيء بهم من مختلف المناطق، فقد قاموا بهذا العمل بهمجيو وشراسة، وجمعوا واقتادوا، ليس الرجال والنساء من العلمانيين فقط بل الأساقفة أيضاً والكهنة والشمامسة. فأتوا بمطرافوليط أربيل وبأسقف نوهدرا وأسقف معلتا، ومعهم مطرافوليط شهرقرد ونائبه يوحنان أسقف الكرخ وثالثه أسقف لاشوم ورابعه أسقف ماحوزا، وخامسه أسقف خربة جلال، وسادسه أسقف بلدة دارا الواقعة على ضفة الزاب الصغير. فجاء هؤلاء الرعاة مع أقليروسهم وكثير من رعاياهم إلى الكوخ فرحين، وهم يرتلون المزامير والتسابيح والصليب يتقدمهم وكأنه في تطواف مهيب. ويقال أن عددهم كان يربو على مائة وثلاثة وثلاثين شخصاً، بالإضافة إلى سكان الكرخ الذي كان عددهم عشرين ألفاً. ولما شسمع السجناء أصوات التسابيح من القادمين إليهم، فرحوا فرحاً عظيماً. أما أتباع طهمزجرد، فحينما رأوا تلك الألوف العديدة من الناس وسمعوا أصوات تسابيحهم ترتفع إلى عنان السماء، تولاهم الخوف والهلع، لأنهم ظنوا إن ثمة انتفاضة.

وصعد طهمزجرد إلى الموضع الذي يدعى "بيث تيتا" حيث قتل الشهداء في عهد الملك شابور، وجلس على منصة القضاء، وعرض أمام تلك الجموع مختلف آلات التعذيب، وقال لهم: "لقد أمر الملك يزدجرد بأن تباد حياتكم بهذه الآلات الرهيبة إذا لم تطيعوا أوامره وتلبوا إرادته وتسجدوا للشمس وتكرموا النار والماء." ومع هذه الآلات، كانوا قد أتوا بستة عشر فيلاً، لكي تدوس بأقدامها جميع الذين لا يجحدون المسيح. أما اسحق المبارك، فأخذ آلات التعذيب تلك وشرع يقبلها ويضعها على عينيه ويقول: "سلام على هذه الحدائد التي بواسطتها ندخل بلاط الملكوت السماوي وننعم بمضال النور التي هيأها لنا المسيح ربنا منذ إنشاء العالم." ثم فتح فاه وقال للحاكم: "لماذا أنت واقف أيها الحاكم؟ اقترب وأنجز ما أمرت به. فإننا

جميعاً مستعدون لنموت فرحين في سبيل يسوع المسيح ربنا." فلما سمع الحاكم هذه الأقوال، أمر بتمديد اسحق على الأرض، وغرز أودتاد في يده ورجليه وجرد جسمه بأمشاط حديدة، حتى انتزعت لحمانه من عظامه. وبينما كان اسحق ممتداً على صخرة في موضع بيث تيتا، وكان الأثمة يعذبونه، كان دمه يجري وينحدر إلى الشق الموجود في بيت تيتا. وفي غضون ذلك، أمر طهمزجرد بأن يأتوا بجميع السجناء المسيحيين لكي يحاكموا بجانب بيث تيتا، وأن يعذبوا مثل اسحق، إن لم يكفروا باسم المسيح. أما المسيحيون، فحينما عرفوا أن قد حان أوان استشهادهم، اجتمعوا كلهم مع رؤسائهم وأقاموا قداساً وتناولوا الأسرار المقدسة، وعانقوا وقبلوا بعضهم بعضاً بقبلة مقدسة، ثم خرجوا باحتفال حاملين الصليب المقدس، وقصدوا موضع بيث تيتا. ولما رأوا القديس اسحق ممداً على الأرض تعمل في جسمه أسنان الأمشاط الحديدية، رفعوا صلواتهم ومجدوا الله، وشجعوا الطوباوي لئلا تثبط عزيمته في العذاب. وإذ ذاك أمر الحاكم، فأتوا بنفط ورشوه على عظام القديس وأضرموا فيها النار. فارتفعت لهب النار وأخذت تلتهم عظامه. وإذ أوشك أن ينتقل إلى ربه، رفع صوته وبارك الشعب ثم فاضت روحه بشهادة رائعة.

وأمر الحاكم بأن يأتوا من بعده بالقديس يوحنان أسقف الكرخ، وأدنوه من الموضع الذي فيه استشهد اسحق، فقطعوا يديه وأخذ الدم يجري وينحدر إلى ذلك الشق من موضع بيث تيتا. فأسرع أولئك القديسون إلى موضع القتل والموت وهم يرتلون المزامير والتسابيخ. فأمر الحاكم بأن تتلى أمامهم رسالة الملك التي كانت تَعِدُ بمواهب ومناصب لكل من ينكر المسيح، وتنذر بالسيف والنار والعذاب كل من لا يمتثل أمر الملك. فأجاب القديسون وقالوا: "لتكن مواهب الملك له، وليمنح المناصب للآخرين. أما نحن فنحن فلنا كنز في السماء لا ينفذ إلى الأبد. ومن هناك ننتظر المسيح مخلصنا الذي سيغير جسدنا الوضيع ويجعله شبيهاً بجسده المجيد." وحينما سمع الحاكم هذا الكلام، أمر بالتنكيل بالمسيحيين: فمنهم من بنروا رجليه، ومنهم من قطعوا لسانه، وغيره قلعوا عينيه، وآخر سلخوا جلد رأسه. في الأخير أمر الحاكم بأن يأتوا بقصب وأغصان، وطلبوا قطران الأرز ليدهنوا به الحطب، ولم يجدوا القطران في بلادنا، فدهنوها بالنفط، وأجلسوا القديسين في وسطها وعلى رأسهم الأسقف يوحنان. وأضرموا النار بالحطب، وأحرقوا أجسام الشهداء وهكذا أدوا الشهادة للمسيح. أما عددهم فكان: الأسقف يوحنان والكهنة داديشوع وشوحا ليشوع وبختيشوع مع ثمانية وعشرين من وجهاء الكرخ وأمنائه. فاستشهد جميعهم في هذا اليوم الأول وهو الرابع والعشرون من شهر آب الموافق يوم الجمعة من الأسبوع السادس من سابوع الرسل.

وفي السبت التالي الموافق ٢٥ آب. أخرجوا إلى الموضع عينه الذي فيه استشهدت الفرقة الأولي من سكان الكرخ ثلاثة آلاف آخرين كُتبت أسماءهم في سفر الحياة. وخرج طهمزجرد

وأمر بإقامة مذبح، واضطر أهل الكرخ إلى تقديم الضحايا. إلا أن هؤلاء الأبطـــال صـــرخوا وقالوا له: "معاذ الله أن نترك المسيح الذي صار ضحية عوضنا، فنذبح للشياطين المـــاردين." وكلما أضافوا لهم التعذيبات، ازدادوا صموداً وقوة بالمسيح. وكان بينهم كاهنان هما اســـحق واسطيفانس مع آخرين من الأقليروس. فأمر الحاكم برجم هؤلاء في المرتقى الواقع فوق قرية "كنار". أما الراهبتان اللتان معهم، وكانتا من الكرخ نفسه، فصلبوهما في منتصف المرتقى ثم رجموهما على صليبيهما. واستشهدت الجماعة المباركة المؤلفة من ثلاثة آلاف في الموضــع الذي فيه أحرقت جماعة يوحنان في اليوم الأول. أما إبراهيم وشمعون ومعنا، فأتوا بهم مقيدين بالسلاسل، وحفروا لهم مواضع في أعلى المرتقى حيث رُجم أصحاب اسطيفانس، وأرســـلوا جنوداً رشقوهم بالسهام في المنخفض الذي كانوا جالسين فيه، ثم احموا مسامير وغرزوها في بآبئ عيونهم مع مسامير أخرى محمرة بالنار ثقبوا بها أجسامهم. فاستشهد هؤلاء فـــي اليـــوم الثاني وهو الخامس والعشرون من آب الموافق يوم السبت.

وفي الأحد، وهو اليوم الثالث لاستشهاد المظفرين، أمر طهمزجرد فأخرجوا إلى موضع الحكم ثمانية آلاف وتسعمائة وأربعين شخصاً أتوا بهم من القرى والمدن البعيدة والقريبة. وكان معهم مطرافوليط شهرقرد وأساقفة لاشوم وماحوزا وخربة جلال وأسقف بلدة دارا. وهناك أجلســـوا الأساقفة وحدهم مكبلين بالسلاسل، وشرعوا يستنطقون فرقاً فرقاً من تلك الجماعة الغفيرة من القديسين. وحينما اعترف جميعهم باسم المسيح ببسالة، ورأى الوثنيون أن لهم رأيـــاً واحـــداً، عيّن الحاكم ثلاثة آلاف مجوسي من الذين لا يعرفون للرحمة معنى لكي ينكلّوا بهـــم. فقتلـــوا منهم بحد السيف، ومنهم حرقاً بالنار، وآخرون نشروا، وغيرهم رجموا، ودسّوا فـــي أعـــين آخرين ومناخيرهم خلا وخردلاً إلى أن فاضت روحهم. وقصارى القول، قضى الوثنيون على تلك الجموع بمختلف وسائل التعذيب والتنكيل..

حينئذ أرسل أحد الحكام الذين مع طهمزجرد إلى الأساقفة المذكورين أعلاه، فجاء وسألهم: "من هو رئيسكم؟" فسكتوا جميعاً. وكان ثمة غلام أسير هو ابن أرملة من الكرخ اسمه "دينـــدوي". فقام هذا الغلام، وقال ببسالة لهؤلاء الآباء: "تشجّعوا يا آباءنا بـــالرب ولا تخـــافوا، وأجيبـــوا الأعداء. وإلا فسلموا الرئاسة إلى الكرخ، فنتقبل نحن عوضكم عذابات المضـــطهدين." وفـــي الحال، اتفق مطرافوليط شهرقرد والأساقفة الذين معه، وكتبوا كتاباً وختموه بتوقيعهم، وقالوا: "بك تليق المطرافوليطية أيها الغلام، إذ قد صرت في هذه الساعة الرهيبة ايليا الثـــاني وداود الصبي." ومن ذلك اليوم استقرت رئاسة المطرافوليطية في الكرخ. فوضعوا أيديهم (رســـموه) وباركوه بأيديهم المكبلة بالقيود. ولما رأى الوثنيون أن المسيحيين ما زالوا بشهامتهم ســـائرين حسب قوانينهم دون خوف، قطعوا رؤوسهم بالسيف. وفي بادئ الأمـــر قتلـــوا دينـــدوي ثـــم الأساقفة والذين معهم، وكان بعضهم من الكرخ وغيرهم من أماكن أخرى.

وكان ثمة امرأة من عشيرة زادوق اسمها شيرين تخبز في البيت. فما أن بلغها خبر استشـــهاد هؤلاء القديسين، حتى تركت خبزها وعجينها، وأخذت ولديها، أحدهما على كتفهـــا والآخـــر بيدها، وركضت والتقت الحاكم طهمزجرد في أسفل "حورا" فأمسكت بلجام حصانه واستحلفته باللغة الفارسية بألا يحرمها من تلك الطريق التي سلكها الشهداء. وتوقف الحاكم وقـــد تـــولاه الدهش من هذا الأمر. وحاول أن يثني المرأة غعن عزمها، ولكن دون جدوى. فأمر بأن يُقطع رأسها ورأس ابنها الأكبر. أما الولد الصغير فارتمى فوق جثتي أمه وأخيه وصار يبكي ويأخذ من دمهما ويمسح به عينيه وجسمه. وكلما حاول الحاكم والوثنيون أن ينتزعوه ويقنعوه بالهدايا والكلمات الطيبة، كان يفلت منهم ويركض إلى جثتي أمه وأخيه ويرتمي فوقهما ويقبّلهما باكياً. إذ ذاك أجهز هؤلاء القساة عليه أيضاً.

بعد هذه المجزرة الرهيبة، فتح الرب عيني طهمزجرد فرأى سلما موضـــوعة علـــى الأرض ورأسها يبلغ السماء، وعليها يصعد جميع الذين قتلهم. وكان الرب واقفاً في أعلاها وهو يضع الأكاليل المجيدة فوق هاماتهم. وفي الحال طرأ تغيير مفاجئ على عقل الحاكم واختلجت فيـــه عواطف الندامة، وصرخ بأعلى صوته: "إنني مسيحي!" وهكذا تمت النبوءات التي قيلت عنه. وأخذ يرثي ويبكي ويبتهل إلى المسيح كي يغفر له دم الشهداء الذي سفكه..

ولك سمع الملك يزدجرد أن طهمزجرد تخلى عن المجوسية واعترف بالمسيح، أمر باستنطاقه وتعذيبه. وبعد أن جربوا عليه السلاسل والتعذيب والسجن وشتى أنواع العذابات ولم يتخـــاذل في جهاده، أمر الملك بأن يُعلَّق على الصليب منكس الـــرأس. وهكـــذا استشـــهد الطوبـــاوي طهمزجرد شهادة حسنة، وذلك في يوم الاثنين الموافق الخامس والعشرين من أيلول. ولـــدى استشهاده، صلى إلى الله وطلب منه أن يساعد كل من يذكر اسمه، وأن ينجيه من كل محنـــة ومرض.

وبعد ذلك، بنى الطوباوي مارون أسقف الكرخ، مدفوعاً بحب الله، ديراً في موضع استشـــهاده أولئك القديسين، وأقام لهم ذكرى كل سنة في حرارة إيمانه. فهو مع مار بابوي الجاثليق عقدا مجمعاً لأساقفة بيث كرماي وحدياب، وكتبوا وحددوا بأن يكون تذكار لهؤلاء الشهداء القديسين يدوم ثلاثة أيام ويمتد إلى الجمعة والسبت والأحد من الأسبوع السادس من سابوع الرسل. ذلك لأن المطرافوليط حدياب أيضاً استشهد هناك، وكذلك أسقف بيـــث نوهـــدرا وأســـقف معلتـــا والآخرون الذين معهم.

انتهى

www.karozota.com